سُورَةُ الأنبيَاءِ

مكية وآياتها اثنتا عشرة ومائة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٤﴾ بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾

اللغة :

(النجوى) : الكلام السّر وهي اسم من التناجي ولا تكون إلا خفية ، وفي القاموس : « وهو وصف بالمصدر يستوفى فيه المفرد والجمع يقال : هم نجوى » .

(أضغاث أحلام) : أخلاط رآها في النوم وقد تقدم بحثها .

الاعراب :

(اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون) اقترب فعل ماض مبني على الفتح وللناس متعلقان باقترب ويجوز أن تكون تأكيداً لإضافة الحساب اليهم كقولك أزف للحي رحيلهم . والأصل أزف رحيل الحي ثم أزف للحي الرحيل ثم أزف للحي رحيلهم ، وحسابهم فاعل اقترب لأن كل آت قريب مهما يطل الأمد والواو للحال وهم مبتدأ وفي غفلة خبر ومعرضون خبر ثان . (ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون) الجملة تعليل للجملة السابقة فلا محل لها وما نافية ويأتيهم فعل مضارع والهاء مفعول به ومن حرف جر زائد لسبقه بالنفي وذكر مجرور لفظاً مرفوع محلاً على الفاعلية ومن ربهم صفة لذكر ومحدث صفة ثانية ويجوز تعليق من ربهم بيأتيهم أو بمحذوف حال من ذكر لأنه وصف بمحدث وإلا أداة حصر لأن الاستثناء مفرغ وجملة استمعوه في محل نصب على الحال من مفعول يأتيهم وقد مقدرة وهم الواو حالية وهم مبتدأ وجملة يلعبون خبر هم والجملة نصب على الحال من فاعل استمعوه ، هـذا وقد استدل بوصف الذكر بكونه محدثاً على أن القرآن محدث لأن الذكر هنا هو القرآن وأجيب بأنه لا نزاع في حدوث المركب من الأصوات والحروف لأنه متجدد في النزول فالمعنى محدث تنزيله وإنما النزاع في الكلام النفسي . (لاهية قلوبهم وأسروا النجوى الذين ظلموا هل هـذا إلا بشر مثلكم) لاهيـة حـال من فاعـل يلعبـون أيضـاً فتكون حالاً متداخلة ويجوز أن تكون حالاً من فاعـل استمعوه فتكـون الحالان مترادفتين لأن الحـال يجوز تعـددها وقلوبهـم فاعل لاهية وأسروا فعل وفاعل والنجوى مفعول به والذين بدل من واو وأسروا النجوى

إشعاراً بأنهم الموسومون بالظلم الفاحش الذي جاءوا به وسيأتي المزيد من إعراب هذه الكلمة في باب الفوائد ، وجملة ظلموا صلة وهل حرف استفهام وهذا مبتدأ وإلا أداة حصر وبشر خبر ومثلكم صفة والجملة الاستفهامية في محل نصب بدل من النجوى لأنها بمثابة التفسير لها وأجاز الزمخشري أن تكون في محل نصب مقول قول محذوف ويجوز أن تكون في محل نصب محكية للنجوى لأنها في معنى القول ، ولا أرى مانعاً من أتكون جملة لا محل لها لأنها مفسرة . (أفتأتون السحر وأنتم مبصرون) وهذه الجملة تنطبق عليها الأوجه المتقدمة والهمزة للاستفهام والفاء عاطفة على مقدر وتأتون السحر فعل مضارع وفاعل ومفعول به والواو للحال وأنتم مبتدأ وجملة تبصرون خبر وجملة وأنتم تبصرون حالية من فاعل تأتون مقررة للانكار . (قال ربي يعلم القول في السماء والأرض وهو السميع العليم) ربي مبتدأ وجملة يعلم القول خبر والجملة مقول القول وفي السماء والارض متعلقان بمحذوف حال من القول أو بيعلم وهو الواو عاطفة وهو مبتدأ والسميع العليم خبران لهو وحذف متعلقهما للعلم به أي السميع لما أسروه والعليم به . (بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر) أضربوا عن قولهم هو سحر فقالوا هو أضغاث أحلام فأضغاث أحلام خبر لمبتدأ محذوف والجملة في محل نصب مقول قالوا بل افتراه ثم أضربوا عن ذلك فقالوا اختلقه فافتراه فعل ماض وفاعل مستتر ومفعول به ثم أضربوا أيضاً فقالوا هو شاعر مبتدأ وخبر . (فليأتنا بآية كما أرسل الأولون) الفاء الفصيحة لأنها أفصحت عن شرط مقدر كأنه قيل وإن لم يكن كما قلنا فليأتنا واللام لام الأمر ويأت فعل مضارع مجزوم بلام الأمر وعلامة جزمه حذف حرف العلة والفاعل مستتر تقديره هو ونا ضمير متصل في محل نصب مفعول به كما يجوز في الكاف أن تكون نعتاً لآية أي

كائنة مثل الآية التي أرسل بها الأولون وعندئذ فما موصولة ويجوز أن تكون نعتاً لمصدر محذوف وما مصدرية أي فليأتنا بآية اتياناً كائناً مثل ارسال الاولين •

الفوائـد :

قوله تعالى « وأسروا النجوى الذين ظلموا » قال أبو البقاء : « الذين ظلموا في موضعه ثلاثة أوجه : أحدها : الرفع ، وفيه أربعة أوجه :

آ ـ أن يكون بدلاً من الواو في وأسروا •

ب ـ أن يكون فاعلاً والواو حرف للجمع لا اسم •

جـ ـ أن يكون مبتدأ والخبر هل هذا والتقدير يقولون : هل هذا ؟

د ـ أن يكون خبر مبتدأ محذوف أي هم الذين ظلموا •

وثانيها : أن يكون منصوباً على اضمار أعني •

وثالثها : أن يكون مجروراً صفة للناس •

والمعروف أن الفعل يجب أن يبقى مع الفاعل بصيغة الواحد وان كان مثنى أو مجموعاً قال ابن مالك :

وجرد الفعل إذا ما أسندا لاثنين أو جمع كفاز الشهدا

إلا على لغة ضعيفة لبعض العرب فيطابق فيها الفعل الفاعل ، وحكى البصريون عن طيء وحكى بعضهم عن ازدشنوءة نحو ضربوني قومك

وضربنني نسوتك وضرباني أخواك وفي الحديث «أومخرجيّ هم» وقال عمرو بن ملقط الجاهلي :

أ'لفيتا عينـاك عنـد القفا أولى فأولى لك ذا واقيـه

فألفيتا بالبناء للمجهول فعل ماض وعيناك نائب الفاعـل فألحق الفعل علامة التثنية مع اسناده الى الظاهر ونائب الفاعل كالفاعل وعند ظرف بمعنى قرب متعلق بألفيتا وذاواقية حال من المضاف إليه وهو الكاف وواقية مصدر معناه الوقاية كالكاذبة مصدر معناه الكـذب وأولى ، فأولى لك دعاء أي قاربك ما يهلكك قال العيني : فإن قلت : ما موقع أولى من الاعراب ؟ قلت : يجوز أن يكون في محل الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف تقديره دعائي أولى لك ، فأولى لك عطف على أولى الأول كرر للتأكيد وقال أبو البقاء في إعراب أولى لك فأولى فيه قولان أحدهما فعلى والألف فيه للإلحاق لا للتأنيث والثاني أفعل وهو على القولين هنا ولذلك لم ينون ويدل عليه ما حكى أبو زيد في النوادر وهي أولات بالتاء غير مصروف لأنه صار علماً للوعيد فصار كرجل اسمه أحمد فعلى هذا يكون أولى مبتدأ ولك الخبر والثاني أن يكون اسماً للفعل مبنياً ومعناه ويلك شر بعد شر ولك تبيين ، وهذا البيت يصف به رجلاً إذا اشتد الوطيس فهو يلتفت الى ورائه مخافة أن يتبع فتلفى عيناه عند قفاه من شدة الالتفات ، وقال أبو فراس :

تنج الربيـع محاسناً ألقحنهـا غر السحائب

وأبو فراس من المولدين والغرض من كلامه التمثيل لا الاستشهاد.
وارتأى الشيخ مصطفى الغلاييني رأياً جميلاً وسنورد نص كلامه:

« وما ورد من ذلك من فصيح الكلام فيعرب الظاهر بدلاً من المضمر وعليه قوله تعالى (وأسروا النجوى الذين ظلموا) أو يعرب الظاهر مبتدأ والجملة قبله خبر مقدم ، أو يعرب فاعلاً لفعل محذوف فكأنه قيل بعد قوله وأسروا النجوى : من أسرها ؟ فيقال أسرها الذين ظلموا وهو الحق وهذا لا يكون إلا حيث يستدعي المقام تقدير كلام استفهامي كما ترى في الآية الكريمة » ونحسب أن القول قد اشبع فحسبنا ما تقدم .

مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُوا۟ خَٰلِدِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّآ أَحَسُّوا۟ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُوا۟ وَٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴿١٣﴾

اللغــــة :

(قصمنا) : القصم أبلغ من الكسر وفي القاموس « قصم من باب

ضرب قصماً الشيء : كسره ، وقصم الرجل : أهلكه ، ويقال : قصم الله ظهر الظالم أي أنزل به البلية » وللقاف مع الصاد فاء وعيناً للكلمة سر عجيب ، انهما تدلان على الكسر والمحق والاهلاك فقولهم : قصب الشاة يعني قطعها قطعاً أو عضواً عضواً ومنه سمي القصاب أي الجزار والقصّابة مؤنث القصاب ولها معنى آخر وهو ما تسميه اليوم « الناي » أي قصبة ينفخ بها للغناء وعن بعض العرب : قلت أبياتاً فغنى بها حَكَمُ الوادي فو الله ما حرك بها قصّابة إلا خفت النار فتركت قول الشعر ، وهي الوتر ، ونفخ في القصابة : في المزمار ، وأقصدته المنية أهلكته ومنه قصد الرجل أتى اليه ونحا نحوه ، وقصرته حبسته وقصرت نفسي على هذا الأمر إذا لم تطمح الى غيره وقصرت طرفي لم أرفعه الى مالا ينبغي وهنّ قاصرات الطرف : قصرنه على أزواجهنّ ، وقص الشعر والريش وقصّصه معروف وجناح مقصوص ومقصص ، وقصع الصؤاب بين ظفريه قتله وقصعت الرحى الحب فضخته وصبي قصيع قميء لا يشب ، وقصف القناة والعود كسرهما وقصف ظهره ورجل مقصوف والعامة تقول لمن تدعو عليه يا مقصوف وهي فصيحة لا غبار عليها وعصفت ريح فقصفت السفينة وعود قصف : سريع الانكسار ، قال الطرماح :

تميم تمنّى الحرب ما لم ألاقها

وهم قُصُفُ العيدان في الحرب خورها

وقصله قطعه قطعاً وَحيّاً وسيفٌ قاصل وقصّال ومِقْصَل وقصل فرسه يقصله : علفه القصيل ومنه المقصلة وهي آلة للاعدام قوامها سكين تسقط على رأس المجرم فتقطعه ، وقصا يقصو قَصْواً وقُصُواً وقصاً وقَصَاءً الرجل تباعد وفي البعد اشارة الى الهلكة لأنها بعد أيضاً .

(أترفتم) : نعمتم من العيش الرافه والحال الناعمة والإتراف ابطار النعمة .

الاعراب :

(ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها أفهم يؤمنون) ما نافية وآمنت فعل ماض والتاء للتأنيث والجملة مستأنفة مسوقة لتقرير كفرهم واستبعاد إيمانهم وقبلهم ظرف متعلق بآمنت ومن حرف جر زائد وقرية مجرور لفظاً فاعل آمنت محلاً وجملة أهلكناها صفة لقرية والمراد بالقرية أهلها كما سيأتي في باب البلاغة ، أفهم الهمزة للاستفهام الانكاري والفاء عاطفة وهم مبتدأ وجملة يؤمنون خبر . (وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً نوحي اليهم) الواو عاطفة وما نافية وأرسلنا فعل ماض وفاعل إلا أداة حصر ورجالاً مفعول أرسلنا وجملة نوحي اليهم صفة لرجالاً ، وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية . (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) الفاء الفصيحة واسألوا فعل أمر وفاعل وأهل الذكر مفعول به وإن شرطية وكنتم فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط والتاء اسمها وجملة لا تعلمون خبرها وجواب الشرط محذوف دلت عليه الفاء الفصيحة . (وما جعلناهم جسداً لايأكلون الطعام وما كانوا خالدين) الواو عاطفة و ما نافية وجعلناهم فعل وفاعل ومفعول به وجسداً مفعول ثان إذا كانت جعل بمعنى التصيير وإن كانت بمعنى الخلق فجسداً حال مؤولة بالمشتق أي متغذين ، وجملة لا يأكلون الطعام في محل نصب نعت لجسداً وجسد مفرد أريد به الجمع وانما وحدّه ليشمل الجنس عامة لأن الجسد لا بد له من غذاء ، والواو عاطفة وما نافية وكانوا خالدين كان واسمها وخبرها والجملة معطوفة

على لا يأكلون • (ثم صدقناهم الوعد فأنجيناهم ومن نشاء وأهلكنا المسرفين) ثم حرف عطف وصدقناهم فعـل وفاعل ومفعول والوعد منصوب بنزع الخافض لأن صدق يتعدى لاثنين الى ثانيهما بحرف الجر والأصل في الوعد ، فأنجيناهم عطف عـلى صدقناهم ومن نشاء عطف عـلى الهاء وجملة نشاء صلة وأهلكنا المسرفين عطف عـلى أنجيناهم والمسرفين مفعول به • (لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم أفلا تعقلون) اللام جواب لقسم محذوف وقـد حرف تحقيق وأنزلنا فعـل وفاعل واليكم متعلقان بأنزلنا وكتاباً مفعول به وفيه خبر مقدم وذكركم مبتدأ مؤخر والجملة صفة لكتاباً وسيأتي معنى فيه ذكركم في باب الفوائد والهمزة للاستفهام الانكاري التوبيخي والفاء عاطفة على مقدر ينسحب عليه الكلام أي ألا تتفكرون فلا تعقلون شيئاً من الاشياء المذكورة لكم، (وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوماً آخرين) الواو عاطفة أو استئنافية مسوقة للتمثيل بالأمم التي هلكت قبلهم وكم خبرية مفعول به مقدم لقصمنا ومن قرية تمييز لكم الخبرية مجرور بمن وقد تقدم ذلك وجملة كانت ظالمـة صفة لقرية والمراد بالقرية أهلها وكانت ظالمة كان واسمها المستتر وخبرها وأنشأنا عطف عـلى قصمنا وبعدها ظرف متعلق بأنشأنا وقوماً مفعول به وآخرين صفـة لقوماً • (فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون) الفاء عاطفة ولما ظرفية حينية أو رابطة وإذا الفجائية وقد تقدم الكلام حولها والخلاف فيهـا مشبعين وهم مبتدأ وجملة يركضون خبر هم ومنها متعلقـان بيركضون وقد استدل بعضهم بهذه الآية عـلى أن لما حرف وسماها ابن هشام رابطة لأنه لا عامل لها إذا اعربت ظرفاً بمعنى حين ونرى أن معنى المفاجأة التي دلت عليه اذا هو العامل وسيأتي مزيد بحث عن لما في باب الفوائد • (لا تركضوا وارجعوا الى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسألون)

لا ناهية وتركضوا فعل مضارع مجزوم بلا الناهية وعلامة جزمه حذف النون والواو فاعــل وجملة لا تركضوا مقول قول محذوف والقائل اختلف فيه فقيل هم الملائكة وقيل هم من كان هناك من المؤمنين وهذا القول على سبيل الاستهزاء بهم طبعاً ، وارجعوا فعل أمر معطوف على لا تركضوا والى ما متعلقان بارجعوا وجملة أترفتم صلة وفيه متعلقان بأترفتم ومساكنكم بالجر عطف على ما ، ولعلكم تسألون لعل واسمها وخبرها والترجي هنا استهزاء بهم وتهكم بما كانوا يظنونه بأنفسهم من أنهم مظنــة السخاء ومطلع الكــرم والمعنى ارجعوا الى نعيمكــم ومساكنكم لعلكم تسألون شيئاً من دنياكم حسبما تتصورون أنفسكم من أنكم أهل النوال والعطاء حيث يسألكم الناس في العوادي والنوازل ويندبونكم للملمات ويستشيرونكم في المعضلات وسيأتي المزيــد عن هذا البحث الشيق في باب البلاغة .

البلاغــة :

١ ــ المجاز المرسل في قوله « قرية » إذ المراد أهلها وقد تقــدم مثال ذلك كثيراً .

٢ ــ التهكم بقوله « وارجعوا الى ما اترفتــم فيه ومساكنكم لعلكم تسألون » وقد ألمعنا الى المراد من هذا التهكم ونزيد عليه هنا احتمالين هامين مترتبين على هذا التهكم :

آ ــ انهم كانوا أسخياء حقيقة يجودون بالنوال ويبسطون أيديهم بالعطايا ولكنهم كانوا يفعلون ذلك رئاء الناس واكتساباً للشهرة والثناء وفي ذلك من الايلام والايجاع ما فيه ، إذ يرون أن ما أنفقوه وما بذلوه لم يكن إلا زيادة في برحائهم وإمعاناً في عذابهم .

ب ـ انهم كانوا بخلاء يكرهون البذل ويصدون عمن جاء يستندي سحاب أكفهم ويمتري اخلاف جدواهم فقيل لهم ذلك ليزيدهم إيلاماً على إيلام وايجاعاً على إيجاع •

الفوائد :

١ ـ قوله « كتاباً فيه ذكركم » أي فيه ما يوجب الثناء عليكم لكونه نازلاً بلسانكم وبين ظهرانيكم وعلى رسول منكم وقيل فيه ما تنشدونه من حسن الذكر وبعد الصيت وطيب الأحدوثة وقيل فيه الموعظة لكم والارشاد لما ينفعكم في دينكم ودنياكم وجميع ذلك محتمل •

٢ ـ بحث لما : تقع لما في العربية على ثلاثة أوجه :

الأول : أن تختص بالمضارع فتجزمه وتنفيه وتقلبه ماضياً كـ « لم » إلا أنها تفارقها في خمسة أمور :

١ ـ انها لا تقترن بأداة شرط فلا يقال : إن لما تقم ويقال : إن لم تقم •

٢ ـ ان منفيها مستمر النفي الى الحال أما منفي لم فيحتمل الاتصال والانقطاع مثل : « لم يكن شيئاً مذكوراً » ولهذا جاز أن تقول : لم يكن ثم كان ، ولكن لا يجوز أن تقول : لما يكن ثم كان •

٣ ـ ان الغالب في منفي لما ان يكون قريباً من الحال بخلاف منفي لم •

٤ ـ ان منفي لما متوقع ثبوته بخلاف منفي لم .

٥ ـ ان منفي لما جائز الحذف لدليل كقوله : « فجئت قبورهم بدءاً ولما » أي ولما أكن بدءاً قبل ذلك أي سيداً ولا يجوز : « وصلت الى حمص ولم » تريد ولم أدخلها .

الثاني : أن تختص بالماضي فتقتضي جملتين وجدت ثانيتهما عند وجود أولاهما نحو : لما جاءني أكرمته ويقال فيها حرف وجود لوجود وبعضهم يقول وجوب لوجوب وقيل هي ظرف لفعل وقع لوقوع غيره وقال جماعة : انها ظرف بمعنى حين .

الثالث : أن تكون حرف استثناء بمعنى إلا فتدخل على الجملة الاسمية نحو : « إن كل نفس لما عليها حافظ » فيمن شدد الميم وعلى الماضي لفظاً لا معنى نحو انشدك الله لما فعلت أي ما أسألك إلا فعلك .

قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴿١٥﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ

ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ﴿٢٠﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ هُمۡ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾

اللغــة :

(حصيداً) : فعيــل بمعنى مفعول يستوي فيه الواحــد وغيره وستأتي قاعدته في باب الفوائد وهو الزرع المحصود .

(خامدين) : يقال خمدت النار وهمدت كل منهما من باب دخل لكن الاول عبارة عن سكون لهبها مع بقــاء الجمر والثاني عبارة عن ذهابها بالكلية .

(لهواً) : في المصباح : « اللهو معروف ، تقول أهل نجد : لهوت عنه ألهو لُهيّاً والاصل على فعول من باب قعد ، وأهل العالية لهيت عنه ألهى من باب تعب ومعناه السلوان والترك ولهوت به لَهْواً من باب قتل أولعت به أيضاً ، قال الطرطوشي : وأصل اللهو الترويح عن النفس بما لا تقضيه الحكمة وألهاني الشيء بالألف شغلني » اهـ . وفي القاموس والتاج : « لهى لهواً لعب كالتهى وألهاه ذلك والملاهي آلاته وتلاهى بذاك والأُلهوّة والأُلهيّة والتلهية ما يتلاهى به ولهت المرأة الى حــديثه لَهْواً ولُهُوّاً : أنست به وأعجبها واللّهوة المرأة الملهو بها كاللهو وبالضم والفتــح ما ألقيته في فم الرحى والعطية أو أفضل العطايا وأجزلها كاللهية والحفنة من المال أو الألف من الدنانير

والدراهم لا غير ولهي به كرضي أحبه وعنه سلا وغفل وترك ذكره كلها كدعا لهياً ولهياناً ، وقال شارح القاموس قوله : لها لهواً لعب قضية اتحادهما وقد فرق بينهما جماعة فقيل يشتركان في أنهما اشتغال بما لا يعني حراماً أو لا قيل واللهو أعم مطلقاً فاستماع الملاهي لهو لا لعب وقال الجوهري : قد يكنى باللهو عن الجماع ويدل على ما قاله امرؤ القيس :

ألا زعمت بسباسة اليوم أنني كبرت وان لايحسن اللهو أمثالي

(فيدمغه) : فيذهبه وبابه قطع وفي القاموس : دمغه قهره ودمغ الحق بالباطل : أبطله ومحقه وسيأتي تفصيل ذلك في باب البلاغة .

(يستحسرون) يكلون ويتعبون يقال : استحسر البعير أي كلّ وتعب ويقال حسر البعير وحسرته أنا فيكون لازماً ومتعدياً وأحسرته أيضاً فيكون فعل وأفعل بمعنى واحد وسيأتي مزيد بيان عن الاستحسار في باب البلاغة .

الاعراب :

(قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين) يا أداة نداء وويلنا منادى مضاف يدعون الويل والثبور لأن هذا وقته ويجوز أن تكون يا للتنبيه وويلنا مصدر لفعل محذوف والجملة مقول قولهم وإن واسمها وجملة كنا ظالمين خبرها وكان واسمها وظالمين خبرها . (فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيداً خامدين) الفاء عاطفة وما زالت فعل ماض ناقص والتاء علامة التأنيث وتلك اسم اشارة اسمها في محل رفع ودعواهم

خبرها منصوب بفتحة مقدرة على الألف والهاء مضاف اليه والميم حرف دال على جمع الذكور والمراد بالدعوى تلك الكلمات وهي « يا ويلنا إنا كنا ظالمين » وحتى حرف غاية وجر وجعلناهم فعل وفاعل ومفعول به أول وحصيداً خامدين مفعول به ثان لأن حكمهما حكم الواحد،إذ أن معنى جعلناهم حصيداً خامدين:جعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد والخمود ومثال ذلك قولك جعلته حلواً حامضاً أي جامعاً للطعمين أي مزاً، ولك أن تجعل خامدين صفة لحصيداً، (وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين) الواو حرف عطف أو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لعرض البدائع والعجائب التي انطوى عليها خلق السموات والارض وما فيهما للعظة ولتكون مطارح اعتبار وحافزاً للتفكير والاستدلال وما نافية وخلقنا فعل وفاعل والسماء مفعول به والارض عطف على السماء وما عطف على السماء والارض وبينهما ظرف متعلق بمحذوف صلة الموصول ولاعبين حال من فاعل خلقنا • (لو أردنا أن نتخذ لهواً لا تخذناه من لدنا إن كنا فاعلين) لو شرطية امتناعية وأردنا فعل وفاعل وأن وما بعدها في تأويل مصدر مفعول أردنا وفاعل نتخذ ضمير مستتر تقديره نحن ولهواً مفعول به ولاتخذناه اللام واقعة في جواب لو واتخذناه فعل وفاعل ومفعول به من لدنا متعلقان بمحذوف مفعول به ثان لاتخذ وإن يجوز أن تكون نافية بمعنى ما وكنا فاعلين كان واسمها وخبرها والجملة حالية من فاعل اتخذناه أي حال كوننا غير فاعلين ويجوز أن تكون إن شرطية وجوابها محذوف يدل عليه جواب لو ولعل هذا أولى وأشبه الوجهين بمذهب العربية • (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون) بل اضراب عن اتخاذ اللهو واللعب وتنزيه منه تعالى لذاته ونقذف فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره نحن وبالحق جار ومجرور متعلقان بنقذف وعلى الباطل متعلقان

بمحذوف حال أي مستعلياً على الباطل ، فيدمغه عطف على نقذف فإذا الفاء عاطفة واذا فجائية وقد تقدم ذكرها وهو مبتدأ وزاهق خبرها ولكم الواو استئنافية ولكم خبر مقدم والويل مبتدأ مؤخر ومما متعلقان بالاستقرار الذي تعلق به الخبر وهو مما ، أي استقر لكم الويل من كل ما تصفون ومما يجوز أن تكون موصولة وأن تكون مصدرية وعلى كل جملة تصفون لا محل لها • (وله من في السموات والارض) الواو عاطفة وله خبر مقدم ومن مبتدأ مؤخر وفي السموات والارض صلة • (ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون) الواو عاطفة ومن معطوفة على من الأولى وعنده ظرف متعلق بمحذوف صلة وجملة لا يستكبرون حالية من من الأولى وعن عبادته متعلقان بيستكبرون وجملة لا يستحسرون عطف على جملة لا يستكبرون ويجوز أن تكون الواو للاستئناف ومن عنده أي الملائكة مبتدأ خبره جملة لا يستكبرون والجملة مستأنفة • (يسبحون الليل والنهار لا يفترون) جملة مستأنفة مسوقة لتقرير ما يصنعه من عند الله في عبادتهم ويسبحون فعل مضارع وفاعل ويجوز أن تكون الجملة حالية والليل والنهار ظرفان متعلقان بيسبحون وجملة لا يفترون حال من فاعل يسبحون • (أم اتخذوا آلهة من الارض هم ينشرون) أم المنقطعة عاطفة وتفيد الانكار واتخذوا فعل وفاعل وآلهة مفعول به ومن الأرض صفة وهم مبتدأ وجملة ينشرون خبر وجملة هم ينشرون صفة لآلهة ومفعول ينشرون محذوف أي يحيون الموتى ويجوز جعلها جملة مستأنفة لم يدعوا لآلهتهم انها تنشر الموتى ولكنهم بمجرد دعواهم ألوهيتها يترتب عليهم أن يدعوا ضمناً انها تنشر الموتى وسيأتي مزيد بحث حول الضمير الذي هو « هم » في باب البلاغة • (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون) لو شرطية

امتناعية وكان فعل ماض ناقص وفيهما خبر كان المقدم وآلهة اسمها المؤخر وإلا بمعنى غير صفة لآلهة ظهر اعرابها على ما بعدها ولا يصح أن تكون استثنائية لأن مفهوم الاستثناء فاسد هنا إذ حاصله انه لو كان فيهما آلهة لم يستثن الله منهم لم تفسدا وليس كذلك فإن مجرد تعدد الآلهة يوجب لزوم الفساد مطلقاً وسيأتي مزيد بسط لهذا المبحث الهام ، ولفسدتا اللام واقعة في جواب لو وجملة فسدتا لا محل لها من الاعراب فسبحان الله الفاء عاطفة لترتيب ما بعدها على ما قبلها من ثبوت الوحدانية بالبرهان وسبحان مفعول مطلق لفعل محذوف ولفظ الجلالة مضاف اليه ورب العرش بدل أو صفة للفظ الجلالة وعما متعلقان بسبحان وجملة يصفون لا محل لها لأنها صلة ما ويجوز أن تكون ما مصدرية • (لا يسأل عما يفعل وهم يسألون) الجملة مستأنفة مسوقة لبيان تفرده سبحانه بالسلطان ، بحيث لا يسأله أحد عما يفعله ولا نافية ويسأل فعل مضارع مبني للمجهول ونائب الفاعل مستتر تقديره هو وعما متعلقان بيسأل وهم الواو عاطفة أو حالية وهم مبتدأ وجملة يسألون خبر •

البلاغــة :

في هذه الآيات فنون عديدة أولها :

١ ــ الاستعارة في قولهم « يا ويلنا » فقد خاطبوا الويل وهو الهلاك كأنه شخص حي يدعونه لينقذهم مما هم فيه •

٢ ــ التشبيه البيلغ في قوله « جعلناهم حصيداً خامدين » •

فقد شبههم بعد حلول العذاب بهم بالحصيد أولاً وهو الزرع المحصود ووجه الشبه بين المشبه والمشبه به هو الاستئصال من المنابت ثم شبههم

ثانياً بالنار المنطفئة ولم يبق منها إلا جمر منطفىء لانفع فيه ولا قابلية لشيء من النفع منه فلا ترى إلا أشلاء متناثرة وأجزاء متفرقة قد تسددت وقد ران عليها البلى .

٣ ـ الاستعارة المكنية في قوله « بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق » فقد شبه الحق والباطل وهما معنويان بشيئين ماديين محسوسين يقذفان ويدفعان ثم حذف هذين الشيئين واستعار ما هو من لوازمهما وهما القذف والدمغ لتجسيد الاطاحة بالباطل واعتلاء الحق عليه وتصوير إبطاله وإهداره ومحقه كأنه جرم صلب كصخرة أو ما يماثلها في القوة والصلابة قذف به على جرم رخو أجوف فدمغه وهي من استعارة المحسوس للمعقول وقد تقدم بحث ذلك مفصلاً مع استيفاء أقسام الاستعارة بالنسبة لطرفي التشبيه .

٤ ـ قوة اللفظ لقوة المعنى : وقد تقدم الكلام عن هذا الفن ونعني به نقل اللفظ من وزن الى وزن آخر أكثر منه ليتضمن من المعنى الدال عليه أكثر مما تضمنه أولاً لأن الألفاظ أدلة على المعاني وأمثلة للابانة عنها فاذا زيد في الالفاظ أوجبت القسمة زيادة المعاني وهذا الضرب من الزيادة لا يستعمل إلا في مقام المبالغة وهو هنا في قوله تعالى « ولا يستحسرون » فقد عدل عن الثلاثي وهو حسر الى السداسي وهو استحسر وقد كان ظاهر الكلام أن يقال يحسرون أي يكلون ويتعبون ، لأن أقل ملل منهم أو كلال إزاء الملائكة وإزاء عبادتهم لله سبحانه لا يتصور منهم ولكنه عدل عن ذلك لسر يخفى على النظرة السطحية الأولى وهو أن ما هم فيه من انهماك بالعبادة وانصراف بالكلية لها يوجب غاية الحسور وأقصاه .

٥ ـ التصريح بالضمير : وذلك في قوله : « هم ينشرون » وقد كان يكفي أن يقول ينشرون ولكنه عدل عن ذلك الى التصريح بالضمير لإفادة معنى الخصوصية أولاً كأنهم قالوا ليس هنا من يقدر على الإنشار غيرهم وثانياً لتسجيل الزامهم ادعاء صفات الألوهية لآلهتهم وهذا الادعاء قد أبطله الله في الآية التالية لهذه الآية بدليل التمانع المغترف من بحر هذه الآية وهي « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا » كما سيوضح في الاعراب ، وهذا من جوهر الكلام وخالصه .

٦ ـ المذهب الكلامي : وذلك في قوله « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا » وذكر ابن المعتز أن الذي سماه هذه التسمية هو الجاحظ والكتاب الكريم مشحون به وتعريفه هو انه احتجاج المتكلم على ما يريد اثباته بحجة تقطع المعاند له على طريقة أرباب الكلام وله طرق متعددة وقد أوصلها الرماني في تفسيره المسمى بالنكت في اعجاز القرآن الى خمسة ضروب ومنها اخراج الكلام مخرج الشك للمبالغة في العدل فملزوم قوله « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا » انهما ما فسدتا فليس فيهما آلهة إلا الله ، وايضاح ذلك إن دليل التمانع هو انه لو وجد مع الله إله آخر ربما قالوا لو فرضنا وجود إلهين فإما أن يكونا جميعاً موصوفين بصفات الكمال اللاتي يندرج فيها القدرة على احياء الموتى وانشارهم وغير ذلك من الممكنات أو لا يتصف بها واحد منهما أو أحدهما دون الآخر وعندئذ تفسد الرعية بتدبير الملكين لما يحدث بينهما من التغالب والتناكر والاختلاف وعن عبد الملك بن مروان حين قتل عمرو بن سعيد الأشدق : « كان والله أعز علي من دم ناظري ولكن لا يجتمع فحلان في شول » وللمتكلمين في طريقة التمانع جولات واسعة تؤخذ في مظانها ، وسيرد إيضاحها في باب الفوائد .

الفوائـــد :

« إلا » بمعنى « غير » :

الأصل في « إلا » أن تكون للاستثناء وفي « غـير » أن تكون وصفاً ثم قد تحمل احداهما على الأخرى فيوصف بإلا ويستثنى بغير فإن كانت إلا بمعنى غير وقعت هي وما بعدها صفة لما قبلهـا وذلك حيث لا يراد بها الاستثناء وانما يراد بها وصف ما قبلها بما يغاير ما بعدها كقوله تعالى « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا » فإلا وما بعدها صفة لآلهة لأن المراد نفي الآلهة المتعددة واثبات الإله الواحد الفرد ولا يصح الاستثناء بالنصب لأن المعنى يكون حينئذ : لو كان فيهما آلهة ليس فيهم الله لفسدتا وذلك يقتضي أنه لو كان فيهما آلهة فيهم الله لم تفسدا وهذا ظاهر الفساد ،وسامح الله ابن يعيش شارح مفصـل الزمخشري حيث أجاز النصب على الاستثناء في الآية الكريمة غير مقدر ما يترتب على النصب من فساد وعبارة ابن يعيش « قال الله تعالى : لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا والمراد غير الله فهذا لا يكون إلا وصفاً ولا يجوز أن يكون بدلاً يراد به الاستثناء لأنه يصير في تقدير لو كان فيهما إلا الله لفسدتا وذلك فاسـد لأن لو شرط فيمـا مضى فهي بمنزلة إن في المستقبل وأنت لو قلت إن أتاني إلا زيد لم يصح لأن الشرط في حكم الموجب فكما لا يصح أتاني إلا زيد كذلك لا يصح إن أتاني إلا زيد فلو نصب على الاستثناء فقلت لو كان فيهما إلا الله لجاز » . ثم لا يصح أيضاً أن يعرب لفظ الجلالة بدلاً من آلهة لأنه حيث لا يصح الاستثناء لا تصح البدلية ثم إن الكلام موجب فلا تجوز البدلية ولو صح الاستثناء لأن النصب واجب في الكلام الموجب التام وأيضاً لوجعلته بدلاً لكان التقدير:

لو كان فيهما إلا الله لفسدتا لأن البدل على نية طرح المبدل منه كما هو معلوم ولعدم صحة الاستثناء هنا وعدم جواز البدلية تعين أن تكون إلا بمعنى غـير .

ولتتمة هذا المبحث الدقيق ننقل الفصل الممتع الذي أورده العلامة ابن هشام في مغني اللبيب ورده على المبرد مع تعليقات مناسبة ليستوفي الموضوع حقه قال ابن هشام بعد أن ذكر أن لإلا أربعة أوجه :

« والثاني أن تكون صفة بمنزلة غير فيوصف بها وبتاليها جمع منكر أو شبهه فمثال الجمع المنكر: « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا » فلا يجوز في إلا هذه أن تكون للاستثناء من جهـة المعنى إذ التقدير حينئذ لو كان فيهما آلهة ليس فيهم الله لفسدتا وذلك يقتضي بمفهومه أنه لو كان فيهما آلهة فيهم الله لم تفسدا وليس ذلك المراد ، ولا من جهة اللفظ لأن آلهة جمع منكر في الاثبات فلا عموم له فلا يصح الاستثناء منه فلو قلت قام رجال إلا زيداً لم يصح اتفاقاً ، وزعم المبرد أن « إلا » في الآية للاستثناء وان ما بعدها بدل محتجاً بأن «لو» تدل على الامتناع وامتناع الشيء انتفاؤه وزعم أن التفريغ بعدها جائز وان نحو « لو كان معنا إلا زيد » أجود كلام ويرده انهـم لا يقولون « لو جاءني ديّار أكرمته » ولا « لو جاءني من أحد أكرمته » ولو كانت بمنزلة النافي لجاز ذلك كما يجوز ما فيها ديار وما جاءني من أحد ولما لم يجز ذلك دل على أن الصواب قول سيبويه إن إلا وما بعدها صفة» . الى أن يقول: « وشرط ابن الحاجب في وقوع إلا صفة تعـذر الاستثناء وجعل من الشاذ قول حضرمي بن عامر الصحابي وقيل عمرو بن معدى كرب :

وكـل أخ مفـارقه أخوه لعمر أبيك إلا الفرقـدان

ومعنى الشذوذ فيه انه ليس استثناء إذ لم ينصب بعد الكلام التام الموجب فتعين انه صفة ولم يتعذر الاستثناء فهو شاذ إذ كان يمكنه أن يقول إلا الفرقدين ، ونحسب أن البحث طال فحسبنا ما تقدم .

أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ (٢٤) وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ (٢٥) وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ (٢٦) لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ (٢٧) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ (٢٨) * وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (٢٩)

الاعراب :

(أم اتخذوا من دونه آلهة » أم حرف عطف للاضراب والانتقال الى إظهار بطلان ما اتخذوه آلهة مع خلوها من خصائص الألوهية ، واتخذوا فعل ماض وفاعل ومن دونه في محل نصب مفعول به ثان لاتخذوا وآلهة هو المفعول الأول . (قل هاتوا برهانكم) هاتوا فعل

أمر مبني على الكسر دائماً إلا مع واو الجماعة فيضم وواو الجماعة فاعل وبرهانكم مفعول به • (هذا ذكر من معي وذكر من قبلي) هذا مبتدأ والاشارة للقرآن وجميع الكتب السماوية وذكر خبر ومن مضاف اليه ومعي ظرف مكان متعلق بمحذوف صلة الموصول وذكر عطف على ذكر الأولى ومن مضاف اليه والظرف صلة والجملة مستأنفة • (بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون) بل حرف اضراب وأكثرهم مبتدأوجملة لا يعلمون خبر والواو فاعل والحق مفعول به ، فهم الفاء للتعليل وهم مبتدأ ومعرضون خبر • (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي اليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) الواو استئنافية وما نافية وأرسلنا فعل وفاعل ومن قبلك حال ومن حرف جر زائد ورسول مجرور لفظاً منصوب محلاً على انه مفعول به وإلا أداة حصر ونوحي فعل وفاعل واليه متعلقان بنوحي ولا إله إلا أنا تقدم اعرابها كثيراً والفاء الفصيحة واعبدوني فعل أمر والواو فاعل والياء المحذوفة تبعاً لرسم المصحف مفعول به والجملة مستأنفة مقررة لما سبق اجماله من توحيد الله كما نطقت بذلك الكتب السماوية استدلالاً بمقتضيات العقل والمنطق • (وقالوا اتخذ الرحمن ولداً ، سبحانه ، بل عباد مكرمون) استئناف آخر مسوق لحكاية أقوال بعض القبائل العربية الذين قالوا : الملائكة بنات الله ويقال انهم بنو خزاعة وبنو جهينة وبنو سلمة وبنو مليح وجملة اتخذ الرحمن ولداً مقول القول وسبحانه مصدر لفعل محذوف وقد مر والجملة معترضة وبل حرف اضراب وعباد خبر لمبتدأ محذوف ومكرمون صفة وقد وصف الملائكة بسبع صفات تقدمت الأولى • (لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون) وهاتان صفتان ثانيتان الأولى جملة لا يسبقونه بالقول والثانية جملة هم بأمره يعملون ، وبأمره متعلقان بيعملون وجملة يعملون خبرهم •

(يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) وهذه هي الصفة الرابعة وما موصول مفعول به وبين ظرف متعلق بمحذوف صلة الموصول وأيديهم مضاف اليه وما خلفهم عطف على ما بين أيديهم • (وما يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون) وهاتان صفتان أخريان ويشفعون فعل مضارع وفاعل وإلا أداة حصر ولمن متعلقان بيشفعون وارتضى صلة الموصول وهم مبتدأ ومن خشيته جار ومجرور متعلقان بمشفقون ومشفقون خبر هم • (ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين) وهذه هي الصفة السابعة والأخيرة ومن شرطية مبتدأ ويقل فعل الشرط مجزوم ومنهم حال وان واسمها وإله خبرها والفاء رابطة لجواب الشرط لأنه وقع جملة اسمية وذلك اسم اشارة مبتدأ وجملة نجزيه خبر والهاء مفعول نجزي وجهنم مفعول نجزي الثاني والجملة جواب الشرط وفعل الشرط وجوابه خبر ذلك وكذلك نجزي الظالمين الكاف نعت لمصدر محذوف أي نجزي الظالمين جزاء مثل ذلك •

أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَـٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَـٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾

اللغـــة :

(رَتْقاً) : في المختار : « الرتق : ضد الفَتْق وقد رتقت الفتق من باب نصـر سددته فارتتق أي التأم ومنـه قوله تعالى : كانتا رتقاً ففتقناهما ، والرتق بفتحتين مصدر قولك امرأة رتقاء أي لا يستطاع جماعها لارتتاق ذلك الموضع منها » وفي الأساس : « رتق الفَتْق حتى ارتتق وقرىء كانتا رَتْقاً ورَتَقاً وعن ابن الكلبي كانتا رتقاوين ففتق الله السماء بالماء وفتق الأرض بالنبات وامرأة رتقاء بينة الرَّتق إذا لم يكن لها خرق إلا المبال » •

(رواسي) : جمـع راسية من رسا الشيء إذا ثبت ورسخ وفي المختـار : « والرواسي من الجبـال الرواسخ واحدتها راسية » وفي المصبـاح : « رسا الشيء يرسو رَسْواً ورُسُوّاً ثبت فهـو راس وجبال راسية وراسيات ورواس » •

(تميـد) : في المصباح : « ماد يميد ميداً من باب باع وميداناً بفتح الياء تحرك » وفي الاساس : « غصن مائد مائل وماد يميد ميداناً ومن المجاز مادت المرأة وماست وتميّدت وتميّست ومادت به الارض دارت ، ورجلٌ مائد : يدار به والمطعون يميد في الرمح » •

(فجاجاً) : في المختـار : « الفـج بالفتح : الطريق الواسع بين الجبلين والجمع فجاج بالكسر مثل سهم وسهام والفج بالكسر البطيخ الشامي وكل شيء من البطيخ والفواكه لم ينضج فهو فج بالكسر » وفي القاموس : الفجوجمعه فجاج ، والفجاج : الطريقالواسع بين جبلين•

الاعراب :

(أولم ير الذين كفروا أن السموات والارض كانتا رتقاً ففتقناهما) الهمزة للاستفهام الانكاري والواو حرف عطف على مقدر ولم حرف نفي وقلب وجزم والذين فاعل وجملة كفروا صلة وان وما بعدها سدت مسد مفعولي رأى لأن الرؤيــة قلبية وان واسمها وجملة كانتا خبرها والالف اسم كان ورتقاً خبرها وفي الاخبار به ما تقدم في زيد عدل أي كانت الشمس والأرض نفس الرتق ، ففتقناهما الفاء عاطفة وفتقناهما فعل وفاعل ومفعول به والجملة معطوفة على كانتا والميم والالف حرفان دالان عــلى التثنية ، قال الأخفش : إنما قال كانتا لأنهمــا صنفان أي جماعتا السموات والأرضين كما قال سبحانه: « إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا » وقــال الزجاج : انمــا قال كانتا لأنه يعبر عن السموات بلفظ الواحــد لأن السموات كانت سماء واحــدة وكذلك الأرضون • (وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون) وجعلنا عطف على ما تقدم وجعلنا فعل وفاعل بمعنى خلق ومن المــاء متعلقان بجعلنا لأنها بمعنى خلقنا أو بمحذوف حال من كل شيء لأنه كان في الأصل وصفاً له فلما قدم عليه نصب على الحال ولك أن تجعل وجعلنا بمعنى صير متعدياً لاثنين فيكون من الماء في محل نصب على أنه مفعول ثان وكل شيء مفعول أول ، أفلا الهمزة للاستفهام الانكاري والفاء عاطفة على محذوف ولا نافية ويؤمنون فعل مضارع مرفوع والواو فاعل • (وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد بهم) وجعلنا عطف على جعلنا وفي الأرض إما مفعول ثان ورواسي هو المفعول الاول وإما متعلقان بجعلنا أو بمحذوف حــال ورواسي مفعول به وان وما في حيزها في محل نصب مفعول لأجله أي كراهــة أن تميد أو لئلا تميد وبهم متعلقان بتميد •

(وجعلنا فيها فجاجاً سبلاً لعلهم يهتدون) وجعلنا عطف على ما تقدم وفيها هو المفعول الثاني أو متعلق بجعلنا وفجاجاً حال لأنه كان صفة لسبلاً وتقدم عليه وسبلاً مفعول به ولعل واسمها وجملة يهتدون خبرها .
(وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً وهم عن آياتها معرضون) وجعلنا السماء فعل وفاعل ومفعول به أول وسقفاً مفعول به ثان وهم مبتدأ وعن آياتها متعلقان بمعرضون ومعرضون خبر هم والجملة حالية أو استئنافية .
(وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون) الواو عاطفة وهو مبتدأ والذي خبر وجملة خلق صلة وفاعل خلق ضمير مستتر تقديره هو والليل مفعول به وما بعده عطف عليه وكل مبتدأ وساغ الابتداء لما فيه من معنى العموم وفي فلك متعلقان بيسبحون وجملة يسبحون خبر كل وجملة كل في فلك يسبحون محلها النصب على الحال من الشمس والقمر ، وانما جعل الضمير واو العقلاء للموصف بفعل هو من خصائص العقلاء هو السباحة وتقدم نظيره في قوله « رأيتهم لي ساجدين » .

الفوائد :

١ ـ بحث شيق في المفعول لأجله :

هذا بحث طريف أفرد له سيبويه فصلاً خاصاً في كتابه وهو يتعلق بالمفعول لأجله المؤول وهو هنا في قوله « وجعلنا في الارض رواسي أن تميد بهم » قال ما خلاصته : هو من وادي قولهم : أعددت هذه الخشبة أن يميل الحائط فأدعمه قال ومعناه « ان ادعم الحائط إذا مال » وانما قدم ذكر الميل اهتماماً بشأنه ولأنه أيضاً هو السبب في الإدعام ، وادعام سبب في إعداد الخشبة فعامل سبب السبب معاملة

السبب وعليه حمل قولـه تعالى « أن تضـل احداهما فتذكر احداهما الأخرى » كذلك ما نحن بصـدده يكون الاصـل وجعلنا في الارض رواسي لأجل أن تثبتها إذا مادت بهم فجعل الميد هو السبب كما جعل الميل في المثل المذكور سبباً وصار الكلام وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد فتثبتها ثم حذف فتثبتها لأمن الالباس إيجازاً واختصاراً » وهذا لعمري أولى مما درجنا عليه في الاعراب لأن مقتضى ما ذكرناه وذكره أكثر المعربين والمفسرين يقتضي أن لا تميد الارض بأهلها لأن الله كره ذلك ومكروه الله تعـالى محال أن يقـع كما أن مراده واجب أن يقع والمشاهد خـلاف ذلك فكم من زلزلـة مادت لهـا الأرض وكـادت تقلب عاليها سافلها واما عـلى تقرير سيبويه فالمراد أن الله تعالى يثبت الأرض بالجبال إذا مادت وهذا لا يأبى وقوع الميد ، وهذا بحث جليل قلّ من ينتبه له إلا بعد هذا التفصيل فتأمله تر السحر الحلال وان من البيان لسحرا .

٢ ـ ذهب سيبويه والجمهـور الى القول بأن لفظي كـل وبعض معرفتان بنية الاضافة ولذلك يأتي الحـال منهما كقولهم مررت بكل قائماً وببعض جالساً ، وأصل صاحب الحال التعريف وذهب الفارسي إلى أنهمـا نكرتان وألزم من قال بتعريفهما أن يقول إن نصفاً وسدساً وثلثاً وربعاً ونحوها معارف لأنهـا في المعـنى مضافات وهي نكرات باجماع ،ورد بأن العرب تحذف المضاف وتريده وقـد لا تريده ودلّ مجيء الحال بعد كل وبعض على إرادته ، بقي هنا سؤال واحد وهو لم أتى بصيغة الجمع وهما اثنان ؟ والجواب ان الضمير عائد عليهما مع الليل والنهار وذلك لأن الليل والنهـار يسبحان أيضاً لأن الليـل ظل الأرض وهو يدور على محيط كرة الأرض على حسب دوران الارض وكذلك النهار يدور أيضاً لأنه يخلف الليل في المحيط .

وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ سَأُو۟رِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾

الاعراب :

(وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون) الجملة مستأنفة مسوقة لتقرير عدم خلود البشر جواباً لقولهم أن محمداً سيموت ، وما نافية وجعلنا فعل وفاعل ولبشر في محل نصب مفعول ثان ومن قبلك صفة لبشر والخلد مفعول جعلنا الاول والهمزة للاستفهام الانكاري والفاء عاطفة وإن شرطية ومت فعل ماض وفاعل وهو في محل جزم فعل الشرط والفاء رابطة وهم مبتدأ والخالدون خبر والجملة في محل جزم جواب الشرط وهي بنية التقديم لأن أصل الكلام أفهم

الخالدون إن مت ، قال الفراء : جاء بالفاء لتدل على الشرط لأنه جواب قولهم سيموت قال ويجوز حذف الفاء واضمارها والمعنى إن مت فهم يموتون أيضاً فلا شماتة في الموت • (كل نفس ذائقة الموت) كل مبتدأ ونفس مضاف اليه وذائقة الموت خبر والجملة مستأنفة مسوقة للتدليل على عدم الخلود فلا مجال للشماتة ورحم الله القائل :

فقــل للشامتين بنا أفيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا

(ونبلوكم بالشــر والخير فتنة والينا ترجعون) الواو استئنافية أيضاً ونبلوكم فعل مضارع وفاعل مستتر تقديره نحن والكاف مفعول به وبالشر متعلقان بنبلوكم والخير عطف على الشر أي نختبركم بما يجب فيه الصبر وبما يجب فيه الشكر وفتنة مصدر مؤكد لنبلوكم من غــير لفظه لأن الابتلاء فتنة فكأنه قيل تفتنكم فتنة ويجوز أن يعرب مفعولاً من أجله أو نصباً على الحال من فاعــل نبلوكم أي فاتنين لكــم والينا متعلقان بترجعون وترجعون فعل مضارع مبني للمجهول والواو نائب فاعل والجملة معطوفة على نبلوكم أو حالية • (وإذا رآك الذين كفروا إن يتخذونك إلا هزواً) لك أن تجعل الواو استئنافية فتكون الجملة مستأنفة مسوقة لتقرير موقفهم من النبي محمد صلى الله عليه وسلم وأن تجعلها عاطفة فتكون الجملة معطوفة على قوله الآنف «وأسروا النجوى» وإذا ظرف لما يستقبل من الزمن وجملة رآك مضاف لها الظرف وفاعل رآك الذين والكاف مفعول به وجملة كفروا صلة وإن نافية ويتخذونك فعل مضارع وفاعــل ومفعول به وإن النافية وما في حيزها جواب إذا وسيأتي ذكر السبب في عــدم اقتران الجواب بالفاء في باب الفوائــد وإلا أداة حصر وهزواً مفعول به ثان اما على الوصف بالمصدر مبالغة

وقد مرت له نظائر واما على حذف مضاف ، هذا ويجوز ان تكون ان النافية وما بعدها جملة معترضة فيكون الجواب قوله الآتي : (أهذا الذي يذكر آلهتكم وهم بذكر الرحمن هم كافرون) الهمزة للاستفهام والاستفهام معناه السخرية والجملة اما جواب إذا كما تقدم وإما مقول قول محذوف أي يقول بعضهم لبعض على سبيل السخرية والهزء أهذا ، وهذا مبتدأ والذي خبره وجملة يذكر صلة وآلهتكم مفعول به والواو حالية وهم مبتدأ وبذكر متعلقان بكافرون والرحمن مضاف اليه وهم تأكيد لهم الأولى تأكيداً لفظياً وكافرون خبر هم والجملة حال إما من فاعل يتخذونك وإما من فاعل القول المقدر كما أسلفنا ومفعول يذكر محذوف وسيرد بحثه في باب البلاغة . (خلق الانسان من عجل سأريكم آياتي فلا تستعجلون) الجملة مستأنفة مسوقة للرد على استعجالهم العذاب وخلق فعل ماض مبني للمجهول والإنسان نائب فاعل ومن عجل متعلقان بخلق أو بمحذوف حال وسيأتي معنى هذا التركيب في باب البلاغة وسأريكم السين للاستقبال وأريكم فعل مضارع وفاعل مستتر تقديره أنا والكاف مفعول به أول وآياتي مفعول به ثان والفاء عاطفة ولا ناهية وتستعجلون فعل مضارع مجزوم بلا الناهية وعلامة جزمه حذف النون والواو فاعل والياء المحذوفة للرسم مفعول به وجملة سأريكم مستأنفة أيضاً مسوقة لتأكيد العجلة وعاقبتها التي هي رؤية العذاب . (ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين) الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لإيراد نمط من استعجالهم المذموم ويقولون فعل مضارع مرفوع والواو فاعل ومتى اسم استفهام في محل نصب على الظرفية وهو متعلق بمحذوف خبر مقدم وهذا مبتدأ مؤخر والوعد بدل وإن شرطية وكنتم كان

واسمها في محل جزم فعل الشرط وصادقين خبر كنتم وجواب ان محذوف تقديره فعينوا موعده وخطابهم للنبي وأصحابه .

(لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون) لو شرطية ويعلم فعل مضارع والذين فاعل وجملة كفروا صلة وحين يجوز أن يكون مفعول يعلم أي الوقت الذي يستعجلون فيه بقولهم متى هذا الوعد وهو وقت صعب ضنك تحيط بهم النار من كل مكان لما كانوا بتلك المثابة من الكفر فجواب لو محذوف وقد تقدمت الاشارة اليه كثيراً ويجوز أن يكون يعلم متروكاً بلا تعدية بمعنى لو كان معهم علم ولم يكونوا جاهلين لما كانوا متعجلين وحين منصوب بمضمر أي حين لا يكفوا عن وجوههم النار يعلمون أنهم كانوا على الباطل والأرجح ان مفعول يعلم محذوف لدلالة ما قبله عليه أي لو يعلم الذين كفروا مجيء الموعود الذي سألوا عنه واستبطئوه وحين منصوب بالمفعول الذي هو مجيء وجملة لا يكفون مضافة الى الظرف وعن وجوههم متعلقان بيكفون والنار مفعول به ولا عن ظهورهم معطوفة ، والواو حرف عطف ولا نافية وهم مبتدأ وجملة ينصرون خبر وينصرون فعل مضارع مبني للمجهول والواو نائب فاعل . (بل تأتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون) بل حرف اضراب وعطف وتأتيهم فعل مضارع وفاعل مستتر يعود على النار وبغتة حال أتى مصدراً وقيل مفعول مطلق وسيأتي مزيد بحث عنه في باب الفوائد ، فتبهتهم عطف على تأتيهم فلا يستطيعون عطف أيضاً وردها مفعول يستطيعون ولا هم ينظرون عطف أيضاً وهم مبتدأ وجملة ينظرون خبر كما أنظروا وامهلوا من قبل .

البلاغــة :

١ ــ التذييل : في قوله تعالى : « وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون • كل نفس ذائقة الموت » فن طريف من فنون البلاغة أطلق عليه علماؤها اسم « التذييل » وعرفوه بأنه تذييل الكلام بعد تمامه وحسن السكوت عليه بجملة تحقق ما قبلها من الكلام وتزيده توكيداً وتخرجه مخرج المثل السائر ليشيع الكلام بعد دورانه على الألسنة فإن لم تكن الزيادة تفيد ذلك فلا يسمى تذييلاً وبعضهم يسميه آنذاك تذييلاً ولكنه يقول عنه أنه معيب وما أجدر المعيب أن ينتفى عن فنون البلاغة أو يندرج في سلكها وهو شائع في القرآن الكريم وستأتي أمثلة كثيرة منــه ، أما في الآية التي نحن بصددها فإن المعنى مستوفى في الاخبار بأنه سبحانه لم يجعل لبشر قبل نبيه الخلد ثم ذيل ذلك الاخبار بما أخرجه مخرج تجاهل العارف وهو قوله « أفإن مت فهم الخالدون » ثم ذيل هذا التذييل بما أخرجه مخرج المثــل السائر حيث قال : « كل نفس ذائقة الموت » •

ومن أروع أمثلة التذييل في الشعر قول شاعر الخلود أبي الطيب:

تمسي الأمــاني صــرعى دون مبلغــه

فمــا يقــول لشــيء ليــت ذلك لي

يقول أبو الطيب : لا تصل الأماني الى قلبــه فتستميله ، ولا الى نسانه فتجري عليه لأنه لا يحتاج أن يتمنى شيئاً إلا وله خــير منه أو صار له ذلك الشيء فالأماني تقصر عن بلوغ قدره ، وتقصر عن جلالة أمره وتمسي صرعى دون إدراك مجده فما يتمنى في الرفعــة أكثر مما

قد بلغه ، ولم يزل سيف الدولة لهجاً بهذا البيت معظماً له ، مثنياً عليه ، مقراً له بأنه لا يلحق سبقاً ولا يأتي أحد في بابه من المبالغة بمثل ما أتى به .

وقال ابن نباتة السعدي وأجاد :

لم يبق جودك لي شيئاً أؤمله تركتني أصحب الدنيا بلا أمل

لقد حقق له جميع آماله ومشتهياته فلم يعد لديه ما يؤمله وهبه صبا الى شيء فإنه واثق بحضوره فغدا بلا آمال .

٢ ـ الإيجاز بالحذف: وذلك في حذف مفعول يذكر في قوله تعالى: « أهذا الذي يذكر آلهتكم » والذكر يكون بالخير والشر فإذا دلت الحال على أحدهما أطلق ولم يقيد كقولك للرجل : سمعت فلاناً يذكرك فإن كان الذاكر صديقاً فهو ثناء وإن كان عدواً فذم ومن جهة ثانية لم يقولوا : أهذا الذي يذكر آلهتكم بكل سوء لأنهم استفظعوا حكاية ما يقوله النبي من القدح في آلهتهم رمياً بأنها لا تسمع ولا تبصر ولا تنفع ولا تضر ورئبوا بها عن نقل ذمها تفصيلاً وتصريحاً فنقلوه إجمالاً وتلميحاً ، بل أومئوا اليه بالاشارة المذكورة كما يتحاشى المؤمن من حكاية كلمة الكفر وان كان قائلها غير كافر فيومىء اليها بلفظ يفهم المقصود بطريق التعريض فسبحان من أضلهم حتى تأدبوا مع الأوثان ، وأساءوا الادب على الرحمن .

٣ ـ الاستعارة المكنية في قوله « خلق الانسان من عجل » فقد شبه العجل الذي طبع عليه الشخص وصار له كالجبلة بأصل مادته وهي الطين ثم حذف المشبه به ورمز اليه بشيء من لوازمه وهو قوله « خلق » وقيل لا استعارة فيه وانما هو من باب القلب والأصل خلق العجل من

الانسان لشدة صدوره عنه وملازمته له والقلب موجود كثيراً في كلامهم وقد تقدمت الإشارة اليه والأول أولى وأقعد بالبلاغة ومن بدع التفاسير ما قالوه من أن العجل هو الطين بلغة حمير وقال شاعرهم :

النبع في الصخرة الصماء منبته والنخل ينبت بين الماء والعجل

يقول النبع وهو شجر تتخذ منه القسي في الصخرة الصماء الصلبة لا في غيرها منبته أي نباته والنخل ينبت في الأرض اللينة الريانة فهو بين الماء والعجل أي الطين وهذه لغه حمير كما قيل والظاهر أن الشطر الأول تمثيل للصعب البخيل والثاني للسهل الجواد أو الاول للشجاع والثاني للجبان لشدة الاول ورخاوة الثاني وعلى كل حال هذا المعنى غير وارد في الآية الكريمة لأن السياق يأباها فهم يستعجلون والله سبحانه ينعى عليهم عجلتهم •

وفي هذه الآية الاستعارة المكنية بقوله « ذائقة الموت » وليس الموت مما يذاق ولكنه شبهه بطعام غير مريء ولا مستساغ ولكنه لحتمية وقوعه وكونه أمراً لا بد منه أصبح بمثابة المريء المستساغ فلا مندوحة لنفس عن ذوقه وقد تقدمت نظائر لهذه الاستعارة •

الفوائد :

١ ـ جواب « إذا » :

تخالف «إذا» أدوات الشرط جميعاً،فإن أدوات الشرط متى أجيبت بأن النافية أو بما النافية وجب الاتيان بالفاء كما في هذه الآية وكما في قوله تعالى أيضاً : « وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حجتهم إلا أن قالوا » •

٢ ـ مجيء المصدر حالاً :

جاءت مصادر تعرب أحوالاً بكثرة في النكرات كطلع زيد بغتة وجاء ركضاً وقتلته صبراً وهو أن تحبسه حياً ثم يرمى حتى يقتل وذلك كله على كثرته مؤول بالوصف فيؤول بغتة بوصف من باغت لأنها بمعنى مفاجأة أي مباغتاً ويؤول ركضاً بوصف الفاعل من ركض أي راكضاً ويؤول صبراً بوصف المفعول من صبر أي مصبوراً محبوساً ومع كثرة وروده قال سيبويه : لا ينقاس مطلقاً وقاسه بعضهم بما يمكن الرجوع اليه في المطولات •

ونعود الى بغتة فقد أكد بعضهم أنه يجوز جعلها مفعولاً مطلقاً وكذلك القول في الأمثلة المتقدمة إذ هي نوع من عاملها فهي كرجع القهقرى •

ويتحصل مما ذكره النحاة أن المصدر المنصوب فيه أقوال ثلاثة :

١ ـ مذهب سيبويه ان المصدر هو الحال وهو الاصل •

٢ ـ مذهب المبرد والأخفش انه مفعول مطلق غير منصوب بالعامل قبله وانما هو منصوب بالعامل المحذوف من لفظه وذلك المحذوف هو الحال وهو قول جميل كما ترى •

٣ ـ مذهب الكوفيين انه مفعول مطلق منصوب بالعامل قبله وليس في موضع الحال •

ومما يرد في هذا المجال اعراب « اسفاً » من قول أبي الطيب :

أبـلى الهـوى آسفاً يوم النـوى بدني
وفرق الهجـر بـين الجفن والوسن

روح تردّد في مثـل الخـلال إذا
أطـارت الريح عنه الثوب لـم يبن

كفى بجسمي نحـولاً إنني رجـل
لـولا مخاطبـتي إيـاك لم ترني

فالحال هنا غير واردة لأن المعنى يأباها والمفعول لأجله لا يصح لاختلاف الفاعل فلم يبق إلا المفعولية المطلقة والتقدير أسفت أسفاً ودل على فعله ما تقدمه لأن ابلاء الهوى بدنه يدل على أسفه كأنه قال أسفت أسفاً ، وتعسف ابن هشام فحاول أن يبرر نصبه على أنه مفعول لأجله فقـال : فمن لم يشترط اتحاد الفاعل فلا اشكال (والقائل بهذا هو ابن خروف) واما من اشترطه فهو على اسقاط لام العلة توسعاً كما في قوله « يبغونها عوجاً » (أي يبغون لهـا عوجاً) أو الاتحـاد موجود تقديراً إما على أن الفعل المعلل مطـاوع أبلى محذوفاً أي فبليت أسفاً ولا تقـدر فبلي بدني لأن الاختـلاف حاصل إذ الأسف فعل النفس لا البدن أو لأن الهوى لما حصل بتسببه كأنه قال أبليت بالهوى بدني ولا طائل تحت هذه التأويلات المتعسفة .

وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا ۚ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾ بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۗ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ ۚ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْىِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾

اللغـــة :

(يكلؤكم) : في المصباح : « كلأه الله يكلؤه مهموز بفتحتين من باب قطع كلاءة بالكسر والمد حفظه ويجوز التخفيف فيقال كليته أكلاه وكلئته أكلؤه من باب تعب لغـة لقريش لكنهم قالوا : مكلوّ بالواو

أكثر من مكليّ بالياء » وفي القاموس : « كلأ يكلأ بالفتح كلئا وكلاءة وكلاء بكسر الكاف الله فلاناً حرسه وحفظه وكلأه بالسوط ضربه به وكلأ بصره في الشيء ردّده فيه وكلأ النجم متى يطلع : رعاه » وفي الأساس : « الله يكلؤك ، وتداركه الله بكلاءته واكتلأت منه : احترست قال كعب بن زهير :

أنخت قلوصي واكتلأت بعينها   وآمرت نفسي أيّ أمري أفعل

أي احترست بعينها لأنها إذا رأت شيئاً ذعرت ، وكلأ دَيْنه كلوءاً : تأخر فهو كالىء ونهي عن « بيع الكالىء بالكالىء » وكلّأته أنا تكلئةً واستكلأْت كُلْأةً وتكلأت : استلفت سلفاً وتقول : « إن الكُلَى تذيب شحم الكُلى » جمع كلأة » .

(خردل) : الخردل : نبات له حبّ صغير جداً أسود مقرح والواحدة خردلة ويقال خردل الطعام : أكل خياره وخردل اللحم قطع أعضاءه والخرادل القطع من اللحم .

الاعراب :

(ولقد استهزىء برسل من قبلك) الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لتسلية النبي صلى الله عليه وسلم ومواساته واللام جواب قسم محذوف وقد حرف تحقيق واستهزىء فعل ماض مبني للمجهول وبرسل قام مقام نائب الفاعل ومن قبلك نعت لرسل . (فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون) الفاء عاطفة وحاق فعل ماض وبالذين متعلقان بحاق وجملة سخروا لا محل لها لأنها صلة

الموصول ومنهم حال من فاعل سخروا وما فاعل حاق وجملة كانوا صلة الموصول وكان واسمها وبه متعلقان بقوله يستهزئون ويستهزئون جملة فعلية في محل نصب خبر كانوا • (قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن) من اسم استفهام في محل رفع مبتدأ وجملة يكلؤكم خبر والجملة مقول القول وبالليل متعلقان بيكلؤكم والنهار عطف على الليل ومن الرحمن أي من عذابه وأمره وهما متعلقان بيكلؤكم • (بل هم عن ذكر ربهم معرضون) بل حرف اضراب وهم مبتدأ وعن ذكر ربهم متعلقان بمعرضون ، ومعرضون خبر هم وهو اضراب عما تضمنه الكلام من النفي والتقدير ليس لهم كالىء ولا مانع غير الرحمن مع انهم لا يخطرونه في بالهم فضلاً عن أن يخافوا بأسه وعذابه • (أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا) أم حرف عطف واضراب فهي بمعنى بل ولهم خبر مقدم وآلهة مبتدأ مؤخر وهمزة الاستفهام مقدرة والتقدير ألهم آلهة تمنعهم وجملة تمنعهم صفة لآلهة ومن دوننا صفة لآلهة أيضاً • (لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا هم منا يصحبون) جملة مستأنفة مسوقة لتقرير أن من ليس بقادر على نصر نفسه ومنعها ولا بمصحوب من الله بالنصر والتأييد كيف يمنع غيره وينصره ولا نافية ويستطيعون فعل مضارع وفاعل ونصر أنفسهم مفعول به ولا الواو عاطفة ولا نافية وهم مبتدأ ومنا متعلقان بيصحبون ويصحبون فعل مضارع مبني للمجهول والواو نائب فاعل وجملة يصحبون خبر هم ، تقول العرب أنا لك صاحب من فلان أي مجير لك منه وتقول أيضاً : صحبك الله أي حفظك وأجارك • (بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر) بل حرف اضراب انتقالي ومتعنا فعل وفاعل وهؤلاء اسم اشارة مبني على الكسر في محل نصب مفعول به وآباءهم عطف على هؤلاء وحتى حرف غاية وجر وطال فعل ماض وعليهم متعلقان بطال والعمر فاعل طال•

(أفلا يرون أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها أفهم الغالبون) الهمزة للاستفهام الانكاري والفاء عاطفة على مقدر وقد تكرر هذا التعبير حتى لم يعد ثمة موجب لإعادته ولا نافية ويرون فعل مضارع مرفوع والواو فاعل وان وما في حيزها سدت مسد مفعولي يرون لأن الرؤية هنا علمية ويجوز أن تكون بصرية وان واسمها وجملة نأتي الارض خبرها وجملة ننقصها من أطرافها حالية من فاعل نأتي أو من مفعوله أي نفتحها أرضاً بعد أرض بما ينقص من أطراف المشركين ويزيد في أطراف المؤمنين وقد تقدم بسط هذا مفصلاً في سورة الرعد فجدد به عهداً وسيأتي السر في اسناد الفعل الى نفسه في باب البلاغة وقوله أفهم الهمزة للاستفهام الانكاري التقريعي والفاء عاطفة على مقدر وهم مبتدأ والغالبون خبر (قل إنما أنذركم بالوحي ولا يسمع الصمّ الدعاء إذا ما ينذرون) إنما كافة ومكفوفة وأنذركم فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره أنا والكاف مفعول به وبالوحي متعلقان بأنذركم ولا يسمع الواو عاطفة ويجوز أن تكون حالية ولا نافية ويسمع الصم الدعاء فعل مضارع وفاعل ومفعول به وإذا ظرف لما يستقبل من الزمن وهي لمجرد الظرفية متعلقة بيسمع أي وقت انذارهم ، وما زائدة وينذرون فعل مضارع مبني للمجهول والواو نائب فاعل وجملة ينذرون في محل جر باضافة الظرف اليها وسيأتي تفصيل لهذه الآية في باب البلاغة .

(ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك ليقولن يا ويلنا إنا كنا ظالمين) الواو عاطفة واللام موطئة للقسم وإن شرطية ومستهم فعل ماض في محل جزم فعل الشرط والهاء مفعول به ونفحة فاعل والمراد بالنفحة القليل مأخوذ من نفح المسك قاله ابن كيسان ومنه قول النعمان بن بشير :

وعمرة من سروات النسا ء تنفح بالمسك أردانها

وقال المبرد : النفحة الدفعــة من الشيء التي دون معظمــه يقال نفحه نفحــة بالسيف إذا ضربه ضربة خفيفة ، وقيــل : هي النصيب ، وقيل هي الطرف والمعنى متقارب أي ولئن مسهم أقل شيء من العذاب، ومن عذاب ربك صفة لنفحة ، ليقولن اللام واقعة في جواب القسم لأنه سبق ويقولنّ فعــل مضارع مرفوع بثبوت النون المحــذوفة لتوالي الأمثال والواو المحذوفة لالتقاء الساكنين فاعل والنون للتوكيد ويا ويلنا إما نداء للويل ليحضر فهذا أوانه واما ان يا للتنبيه وويلنا مفعول مطلق لفعل محذوف وإنا إن واسمها وجملة كنا خبرها ونا اسم كان وظالمين خبرها • (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلــم نفس شيئاً) جملة مستأنفة مسوقة لبيان ما سيقع عند اتيان ما أنذروه ونضع فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره نحن والموازين مفعول به والقسط وصف الموازين وقد وصفت بنفس المصدر مبالغــة من قسط اذا عدل وليوم القيامة متعلق بنضع واللام بمعنى « في » كقولهم مضى لسبيله وقيــل بمعنى عند قال الزمخشري : « مثلها في قولك جئته لخمس خلون من الشهر ومنه بيت النابغة :

توسمت آيات لها فعرفتها لستة أعوام وذا العام سابع

ومعنــاه تتبعت رسومها وآثارها فعرفتهــا أي في تلك المواضع المذكورة في البيت قبله وقوله لستة أعوام أي تمام ستة أعوام مضت من عهدها وهذا العام الحاضر الذي نحن فيه هو السابع ولو قال لسبعة أعوام لأفاد أن السبعة كلها مضت وليس مراداً فقول بعضهم انه كان يكفيه أن يقول لسبعة أعوام فعجز عن اتمامــه وكمله بما لا معنى له ولا وجه إلا عدم التبصر • فلا الفــاء عاطفة وتظلم فعل مضارع مبني للمجهول ونفس نائب فاعل وشيئاً مفعول مطلق أو مفعول ثان لتظلم •

﴿ وإن كان مثقال حبــة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين) الواو عاطفة وإن شرطية وكان فعل ماض ناقص في محل جزم فعــل الشرط واسمها مستتر تقديره هو يعود على العمل ومثقال حبة خبر كان ومن خردل صفة لحبة وأتينا بها في محــل جزم جواب الشرط وكفى الواو عاطفة وكفى فعل ماض والباء حرف جر زائد وحاسبين تمييز أو حال وأنث ضمير المثقال لأنه أضيف الى الحبة وقد مرت قاعدته •

البلاغــة :

١ ــ وضع الظاهر موضع المضمر : في قوله تعالى : « قل انما انذركم بالوحي ولا يسمع الصم الدعــاء إذا ما ينذرون » فن لطيف يمكن تسميته وضع الظاهر موضع المضمر والفائدة منه التسجيل عليهم فقد كان مقتضى السياق أن يقول ولا يسمعون ولكنــه صرح بالصم وتجاوز بالظاهر عن ضميره للدلالة على تصامهم وسدهم أسماعهم إن أنذروا ، وللدلالة على صدور إنكار شديد وغضب عظيم وتعجب من نبو أسماعهم عن الوحي وعدم إصاختهم لما ينفعهم وإمعانهم في ركوب الغي والتعسف في متاهات الضلال وهــذا فن عجيب تميز به القرآن الكريم وسيرد عليك الكثير من نماذجه •

٢ ــ اسناد الضمير الى الله تعالى في قوله تعالى :« أفلا يرون أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها »أسند سبحانه الضمير الى نفسه تعظيماً للمسلمين الذين أجرى على أيديهم الانتصار العظيم وافتتاح البلاد والأمصار وان عساكرهم وسراياهــم كانت تغزو أرض المشركين وتأتيها غالبة عليها

ناقصة من أطرافها فأصله تأتي جيوش المسلمين ولكنه أسند الاتيان الى نفسه تنويهاً بقدر المجاهدين وتعظيماً لما أتوا به من جلائل الأعمال وناهيك بمن يعمل عملاً ينسبه الله الى نفسه ألا يصح فيه أن يكون مصداقاً لقوله في حديثه « كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها » الى آخر الحديث القدسي •

٣ ـ مبالغات ثلاث :

وفي قوله تعالى : « ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك ليقولن يا ويلنا » ثلاث مبالغات :

آ ـ ذكر المس وهو أقل شيء بل هو شيء رفيق جداً فما بالك اذا انثال عليهم ؟ أي يكفي للدلالة على ذلهم وهوان أمرهم ووهن عزيمتهم أن أقل مس يكفيهم ليذعنوا ويتطامنوا ويعلنوا ذلهم وخضوعهم والاقرار على أنفسهم بأنهم تصاموا وأعرضوا وقد رمق المتنبي سماء هذه المبالغة فقال في وصف قوم جبناء :

وضاقت الارض حتى كاد هاربهم
إذا رأى غير شيء ظنه رجلا

ب ـ وما في النفحة من معنى القلة والنزارة يقال : نفحته الدابة ونفحه بعطية •

جـ ـ بناء المرة من النفح فمصدر المرة يأتي على فعلة أي نفحة واحدة لا ثاني لها تكفي لتشتيت أمرهم وتوهين كيانهم وتصدع صفوفهم فكيف اذا عززت بثانية أو ثالثة ؟ •

الفوائـد :

مصدرا المـرة والهيئة :

مصـدر المرة هو ما يذكر لبيان عـدد الفعل ويبنى من الثلاثي المجرّد على وزن فَعلة بفتح الفاء وسكون العين مثل : وقفت وَقْفَةً ووقفتين ووَقفات فإن كان الفعل فوق الثلاثي ألحقت بمصدره التاء مثل أكرمته إكرامة وفرّحته تفريحـة وتدحرج تدحرجـة إلا ان كان المصدر ملحقاً في الأصل بالتاء فيذكر بعده ما يدلّ على العدد مثل رحمته رحمة واحدة وأقمت إقامة واحدة واستقمت استقامة واحدة .

أما مصدر النوع أو الهيئة فهو ما يذكر لبيان نوع الفعل وصفته نحو وقفت وِقفة ويبنى من الثلاثي المجرد على وزن فِعلة بكسر الفاء مثل عاش عيشةً حسنة ومات ميتة سيئة وفلان حسن الجلسة وفلانة هادئة المشية فإن كان الفعـل فوق الثلاثي يصير مصـدره بالوصف مصدر نوع مثل أكرمته إكراماً عظيماً .

هذا وهنا تنبيه هام نبه عليه الشيخ أبو حيان وهو أن هذه التاء الدالة عـلى المرة الواحدة لا تدخل على كل مصدر بل عـلى المصادر الصادرة عن الجوارح المدركة بالحس نحو قومة وضربة وقعدة وأكلة ، وأما مصادر الأفعـال الباطنة والخصـال الجليلة الثابتة نحو الظرف والحسن والجبن والعلم فلا يقال من ذلك علمته علمة ولا فهمته فهمة ولا صبرته صبرة .

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾ * وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُواْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾

اللغـــة :

(التماثيل) : جمـع تمثال بكسر التاء أي الصورة المصورة أو ما تصنعه وتصوره مشبهاً بخلق الله من ذوات الروح والصورة وهـذا الوزن فيه زائدان أحدهما قبل الفاء والآخر قبل اللام وقد جاء اسماً وصفة . فالاسم تمثال للصورة ويجمع على تماثيل وقالوا تجفاف وتبيان فالتجفاف واحد تجافيف الفرس وهو ما يلبس عنـد الحرب والزينة وتبيان بمعنى البيان فمنهـم من يجعله مصدراً من قبيـل الشاذ لأن المصادر إنما تجيء على تفعال بالفتح نحو التلعاب والتهدار ولم يجيء بالكسر إلا تبيان وتلقاء ، وسيبويه يجعلهما من الاسماء التي وضعت

موضع المصادر كالغارة وضعت موضع الإغارة . وقال غير واحد من علماء اللغة : التمثال هو الصورة المصنوعة من رخام أو نحاس أو خشب شبيهة بخلق الآدمي .

الاعراب :

(ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء وذكراً للمتقين) الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة للشروع في قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام تسلية لرسوله صلى الله عليه وسلم فيما يكابده من قومه وتقوية لقلبه وحفزاً لاستدامته في تأدية الرسالة وذكر منها في هذه السورة عشر قصص وستأتي . واللام جواب للقسم المحذوف وقد حرف تحقيق وآتينا فعل وفاعل وموسى مفعول به وهارون معطوف على موسى والفرقان مفعول به ثان وضياء عطف على الفرقان وذكراً عطف على ضياء وللمتقين متعلقان بضياء وعطف الصفات جائز فهو من هذا الوادي واختار الزمخشري أن يعرب حالاً وعامله محذوف دل عليه ما قبله وقدره : وآتينا به ضياء ، أما ما ارتآه بعضهم من أن الواو زائدة وضياء حال من الفرقان فهذا مجرد تحكم لا تتردد في رده . (الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون) الذين اسم موصول في محل جر صفة للمتقين ولك أن تعربه خبراً لمبتدأ محذوف أي هم الذين وجملة يخشون صلة والواو فاعل وربهم مفعول به وبالغيب حال من الفاعل في يخشون وهم الواو عاطفة أو حالية وهم مبتدأ ومن الساعة جار ومجرور متعلقان بمشفقون ومشفقون خبر هم وسيأتي سر التعبير بالاسمية في باب البلاغة . (وهذا ذكر مبارك أنزلناه أفأنتم له منكرون) الواو استئنافية والجملة مستأنفة لخطاب أهل مكة ومحاورتهم حول القرآن الكريم الذي أنزل بلسانهم ، وهذا مبتدأ وذكر خبر ومبارك صفة وجملة أنزلناه صفة لذكر وهو فعل وفاعل

ومفعول به والهمزة للاستفهام التوبيخي لأنه خطاب للعرب وهم أهل اللسان العربي ومعادن الفصاحة فما أجدرهم باكتناه أسرار القرآن وإدراك بلاغته والفاء عاطفة على محذوف وأنتم مبتدأ وله متعلقان بمنكرون ومنكرون خبر أنتم • (ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبلُ وكنّا به عالمين) الواو عاطفة واللام جواب للقسم المحذوف وقد حرف تحقيق وآتينا فعل وفاعل وابراهيم مفعول به أول ورشده مفعول به ثان ومن قبل حال أي من قبل موسى وهارون وكنا الواو عاطفة وكان واسمها وبه متعلقان بعالمين وعالمين خبر كنا • (إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون ؟) الظرف متعلق بفعل محذوف أي اذكر ولك أن تعلقه بعالمين وعلقه الزمخشري بآتينا أو برشده أيضاً وليس ثمة ما يمنع من ذلك وجملة قال مضاف اليها الظرف ولأبيه متعلقان بقال وقومه عطف على لأبيه ، وما اسم استفهام مبتدأ وهذه خبر والتماثيل بدل من اسم الاشارة والتي صفة وجملة أنتم لها عاكفون صلة الموصول وأنتم مبتدأ وعاكفون خبر ولها متعلقان بعاكفون وسيأتي السر في عدوله عن القول عليها عاكفون الى لها عاكفون في باب البلاغة • (قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين) قالوا فعل وفاعل ووجدنا فعل وفاعل والجملة مقول القول وآباءنا مفعول وجدنا الأول ولها متعلقان بعابدين وعابدين مفعول وجدنا الثاني • (قال : لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين) اللام جواب للقسم المحذوف وقد حرف تحقيق وكنتم كان واسمها وأنتم تأكيد للتاء وآباؤكم عطف على التاء وفي ضلال خبر كنتم ومبين صفة لضلال • (قالوا : أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين) الهمزة للاستفهام وجئتنا فعل وفاعل ومفعول به وبالحق متعلقان بجئتنا وأم حرف عطف معادل للهمزة وأنت مبتدأ ومن اللاعبين خبره •

البلاغـة :

١ ـ العدول عن الفعلية الى الاسمية : في قوله تعالى : « وهم من الساعة مشفقون » عدول عن الخطاب بالجملة الفعلية كما هو مقتضى السياق الى الخطاب بالجملة الاسمية وانما يعدل عن أحد الخطابين وإن كان السياق يقتضيه لضرب من التأكيد والمبالغة وقد جيء بها هنا تنويهاً بالخاص بعد العام فالخشية من الله ملازمة لهم ولكنها من الساعة أكثر ملازمة وأشد امتلاكاً لقلوبهم وأسراً لجوارحهم، ما يريمون عن تذكرها، وتفادي كل ذنب خشية مواجهتها بما هم فيه ، وأمر ثان هو الديمومة والاستمرار اللذان تفيدهما الجملة الاسمية أكثر مما تفيدهما الجملة الفعلية التي تتوزع على الأزمنة .

٢ ـ في قوله تعالى : « ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون » عدول عن « على » التي يتعدى فعل العكوف بها ولكنه لم يقصد التعدية ولو قصد التعدية لقال عليها ولكنه عدل عنها الى اللام لأنه قصد من العكوف معنى العبادة ليجيبوه بقولهم « وجدنا آباءنا لها عابدين » وانهم لا ينفكون عن التقليد الاعمى وفي ذلك ما فيه من التنديد بالتقليد والقول بغير برهان والانجرار الى ما عليه آباؤهم ولو بالأرسان ، وكفى أهل التقليد سبة أن عبدة الأوثان والأصنام منهم وقيل إن اللام بمعنى على وقد نص النحاة على مجيئها بمعنى على ولكن تفوت بذلك النكتة التي ألمعنا اليها فالأولى بقاؤها على بابها من الاختصاص الذي هو معنى رئيسي للام .

٣ ـ خولف بين الجملتين في الآية « قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين » لملاحظة تجدد في احداهما فبرزت في صورة الفعلية وثبات

في الأخرى فبرزت في صورة الاسمية والمعنى : احدثت عندنا الاتيان بالحق وهو التوحيد فيما نسمعه منك أم أنت على ما كنت عليه من اللعب منذ أيام الصبا وأرادوا بالتجدد في الجملة الاولى أن التوحيد أمر محدث مخترع وبالثبات في الثانية أنه على عادتهم المستمرة من اللعب تحقيراً له ، وما أقبح ضلالهم في تقليد آبائهم في عبادة جماد هو دونهم في الرتبة حيث ينحتونها بأيديهم ثم يعفرون وجوههم وجباههم دونها .

قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَـٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَـٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾

اللغـــة :

(جذاذاً) : في القاموس الجذاذ بتثليث الجيم : ما تكسر من الشيء وفعله جذّ يجذّ من باب نصر وقد تقدمت الخصائص لاجتماع الجيم والذال فاء وعيناً للكلمة .

الاعراب :

(قال : بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين) بل حرف اضراب وربكم مبتدأ ورب السموات والارض خبر والذي صفة لرب وجملة فطرهن صلة والضمير يعود على السموات والأرض أو على التماثيل ورجح الزمخشري الثاني لكونه « أدخل في تضليلهم وأثبت للاحتجاج عليهم » ويدل على ذلك أيضاً قوله « وإنا على ذلكم من الشاهدين » كأنه قال وسأبين لكم ذلك وأبرهن عليه ، وأنا مبتدأ خبره من الشاهدين وعلى ذلك متعلقان بالشاهدين . (وتالله لأكيدنّ أصنامكم بعد أن تولّوا مدبرين) وهذا شروع في تأكيد الطريقة الفعلية أو الدليل العملي كما يقال فالواو عاطفة والتاء تاء القسم وسيرد بحث هام عن حروف القسم الجارة في باب الفوائد والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف تقديره أقسم واللام جواب القسم وأكيدن فعل مضارع مبني على الفتح لوجوب توكيده بنون التوكيد الثقيلة وفاعله ضمير مستتر تقديره أنا وأصنامكم مفعول به وبعد ظرف متعلق بأكيدن وأن وما في حيزها مصدر مؤول مضاف الى الظروف ومدبرين حال أي تعودوا الى مجتمعاتكم . (فجعلهم جذاذاً إلا كبيراً لهم لعلهم إليه يرجعون) الفاء عاطفة على محذوف تقديره فولوا وعادوا الى مجتمعاتهم وذهب معهم ابراهيم فلما كان ببعض الطريق ألقى بنفسه وقال إني سقيم أشتكي رجلي فتركوه ومضوا فرجع إبراهيم الى بيت الأصنام وقبالة الباب صنم عظيم والى جنبه أصغر منه وهكذا دواليك فقال لهم إبراهيم ألا تأكلون فلم ينبس أحد فانهال عليهم تكسيراً فجعلهم ... والقصة بكاملها مروية في الخازن وغيره .

وجعلهم فعل وفاعل مستتر ومفعول به أول وجذاذاً مفعول به ثان وإلا أداة استثناء لأن الكلام تام موجب وكبيراً مستثنى من الهاء أي لم يكسره وتركه لحبك النكتة واستكمال الهزء بهم ، ولعل واسمها واليه متعلقان بيرجعون وجملة يرجعون خبر لعل وفي هذا من التهكم ما فيه • (قالوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين) قالوا فعل وفاعل ومن اسم استفهام قصد به الانكار مبتدأ وجملة فعل خبر وهذا مفعول فعل وبآلهتنا متعلقان بفعل ولم يشيروا اليها بهؤلاء وهي أمامهم لوضع الظاهر موضع المضمر وقد تقدم بحثه وجملة إنه لمن الظالمين مستأنفة مسوقة لتقرير ما تقدم وتأكيد استنكارهم لما حدث وان واسمها واللام المزحلقة ومن الظالمين خبر ان • (قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم) جملة سمعنا مقول القول وفتى مفعول سمعنا وجملة يذكرهم مفعول به ثان وستأتي خاصة فعل سمع في باب الفوائد وجملة يقال صفة لفتى وله متعلقان بيقال وابراهيم : في رفعه عدة أوجه متساوية الرجحان أولها انه نائب فاعل ؛ يقال أي يقال له هذا اللفظ قال الزمخشري : وهو الصحيح لأن المراد الاسم لا المسمى وثانيها أنه خبر مبتدأ محذوف أي هو ابراهيم أو هذا ابراهيم وثالثها أنه مبتدأ محذوف الخبر أي ابراهيم فاعل ذلك ورابعها انه منادى وحرف النداء محذوف أي يا ابراهيم • (قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون) فأتوا الفاء الفصيحة وأتوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل وبه متعلقان بقوله فأتوا ، وعلى أعين الناس في محل نصب على الحال من الضمير المجرور بالباء أي ائتوا به حال كونه معايناً مشاهداً وسيأتي سر الاستعلاء في هذا التعبير ولعلهم لعل واسمها وجملة يشهدون خبرها أي يشهدون عليه انه الفاعل •

الفوائـد :

في هذه الآيات فوائد كثيرة نورد أهمها فيما يلي :

١ ـ حروف القسم : أصل حروف القسم الباء والواو مبدلة منها وانما قلنا ذلك لأنها حرف الجر الذي يضاف به فعل الحلف الى المحلوف وذلك الفعل أحلف أو أقسم أو نحوهما ولكنه لما كان الفعل غير متعد وصلوه بالباء المعدية فصار أحلف بالله أو أقسم بالله ، قال الله تعالى : « وأقسموا بالله جهد أيمانكم » وقال الشاعر :

أقسم بالله وآلائه والمرء عما قال مسئول

وقال زهير بن أبي سلمى :

فأقسمت بالبيت الذي طاف حوله

رجال بنوه من قريش وجرهم

وانما خص الباء بذلك دون غيرها من حروف الجر الأمور :

آ ـ انه يجوز ذكر فعل القسم معها كما رأيت في الشواهد المتقدمة ولا يجوز ذلك في الواو والتاء فلا تقول أقسم والله ولا أقسم تالله .

ب ـ جواز دخولها على الضمير دون غيرها من الحروف تقول : بك لأفعلن ولا تقول تك ولا وك ، ومعروف أن الضمير يرد الشيء الى أصله .

جـ ـ استعمالها في القسم الاستعطافي وذلك أن القسم جملة انشائية يقصد بها تأكيد جملة أخرى فإن كانت هذه الجملة الاخرى انشائية أيضاً فذلك هو القسم الاستعطافي نحو بالله هل قام زيد أي أسألك بالله مستحلفاً ٠ ومن القسم الاستعطافي بالباء قول المجنون :

بربك هل ضممت إليك ليلى قبيل الصبح أو قبلت فاها

د ـ اختصاص الباء دون الواو والتاء بمجيئها لغير القسم وهو ظاهر ٠

ولما كثر استعمال ذلك في الحلف آثروا التخفيف فحذفوا الفعل من اللفظ وهو مراد ليعلق حرف الجر به ثم أبدلوا الواو من الباء توسعاً في اللغة ولأنها أخف لأن الواو أخف من الباء وحركتها أخف من حركة الباء وانما خصوا الواو بذلك لأمرين :

آ ـ انها من مخرج الباء أي من الشفتين ٠

ب ـ من جهة المعنى وذلك ان الباء معناها الالصاق والواو معناها الاجتماع ، والشيء إذا لاصق الشيء فقد جاء معه ٠

وأما التاء فهي مبدلة من الواو لأنه قد كثر إبدالها في نحو تكأة وتراث وتخمة لشبهها من جهة اتساع المخرج وهي من الحروف المهموسة فناسب همسها لين حروف اللين ، ولما كانت الواو بدلاً من الباء والبدل ينحط عن درجة الأصل فلذلك لا تدخل إلا على كل ظاهر ولا تدخل على المضمر لانحطاط الفرع عن درجة الاصل لأنه من المرتبة الثانية والتاء لما كانت بدلاً من الواو وكانت من المرتبة الثالثة انحطت عن

درجة الواوفاختصت باسم الله تعالى لكثرة الحلف بهوقد يكون فيها معنى التعجب قال الله تعالى : « تالله تفتأ تذكر يوسف » على طريق التعجب وكالآية التي نحن بصددها كأنه تعجب من تسهيل الكيد على يده وتأتيه لأن ذلك كان أمراً مقنوطاً منه أو مشكوكاً فيه على الاقل لتعذره وصعوبته .

٢ ـ خصائص فعل سمع :

لهذا الفعل خصائص عجيبة وذلك انه إذا دخل على مالا يسمع تعدى لاثنين كما في الآية الكريمة فالمفعول الأول فتى والثاني يذكرهم بخلاف ما لو دخلت على ما يسمع كأن قلت سمعت كلام زيد فانها تتعدى لواحد .

٣ ـ معنى الاستعلاء :

معنى الاستعلاء العلو فالسين والتاء للعلو لا للطلب ويكون الاستعلاء على نوعين حقيقي نحو « عليها وعلى الفلك تحملون » ومجازي نحو « أولئك على هدى من ربهم » « وانك لعلى خلق عظيم » شبه التمكن من الهدى والأخلاق العظيمة الشريفة والثبوت عليها بمن على دابة يصرفها كيف شاء وكذلك قولهم : عليه دين كأن شيئاً اعتلاه وكما في قوله « على أعين الناس » أي يثبت اتيانه في الأعين ويتمكن منها ثبات الراكب على المركوب وتملكه منه .

قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ

أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾

الاعراب :

(قالوا : أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم ؟) الهمزة للاستفهام وأنت مبتدأ وجملة فعلت خبر وهذا مفعول به وبآلهتنا متعلقان بفعلت ويا حرف نداء وابراهيم منادى مفرد علم مبني على الضم في محل نصب منادى . (قال : بل فعله كبيرهم هـذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون) بل حرف اضراب وفعله كبيرهم فعل ومفعول به وفاعل مؤخر وهذا نعت لكبيرهم أو بدل منه والفاء الفصيحة واسألوهم فعل أمر وفاعل ومفعول به وإن شرطية وكانوا فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط والواو اسمها وجملة ينطقون خبرها وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله أي فاسألوهم . (فرجعوا الى أنفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون) الفاء عاطفة ورجعوا فعل ماض وفاعل والى أنفسهم متعلقان برجعوا فقالوا عطف على فرجعوا وإنكم ان واسمها وجملة أنتم الظالمون خبرها ولك أن تجعل أنتم ضمير فصل والظالمون خبر إن . (ثم نكسوا على

رءوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون) ثم حرف عطف للتراخي وسيأتي معنى التنكيس في باب البلاغة ونكسوا فعل ونائب فاعل وعلى رءوسهم حال أي كائنين على رءوسهم ولك أن تعلقه بنفس الفعل ومعنى التنكيس القلب يقال نكس رأسه ونكسه مخففاً ومشدداً أي طأطأه حتى صار أعلاه أسفله واللام جواب للقسم المحذوف وقد حرف تحقيق وعلمت فعل وفاعل والخطاب لابراهيم والجملة معمول لقول محذوف في موضع الحال وما نافية حجازية وهؤلاء اسمها وجملة ينطقون خبرها وجملة ما هؤلاء ينطقون في موضع المفعولين لعلمت أو في موضع المفعول الواحد إن كانت علمت بمعنى عرفت • (قال : أفتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيئاً ولا يضركم) الهمزة للاستفهام الانكاري والفاء عاطفة على محذوف وتعبدون فعل مضارع مرفوع والواو فاعل ومن دون الله حال وما مفعول به وجملة لا ينفعكم صلة وشيئاً مفعول مطلق ولايضركم عطف على لاينفعكم • (أفٍّ لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون) أف اسم فعل مضارع وقد تقدمت اللغات فيها ومعناه أتضجر ولكم متعلقان بمحذوف حال لأن اللام للبيان بالنسبة للمتأفف ولما تعبدون عطف على لكم وجملة تعبدون صلة ومن دون الله حال أفلا الهمزة للاستفهام الانكاري والفاء عاطفة على محذوف ولا نافية وتعقلون فعل مضارع والواو فاعل • (قالوا : حرّقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين) حرقوه فعل أمر وفاعل ومفعول به والجملة مقول القول وانصروا فعل أمر وفاعل وآلهتكم مفعول به وإن شرطية وكنتم فعل الشرط والتاء اسم كان وفاعلين خبرها وجواب ان محذوف دل عليه ما قبله أي فحرقوه وانصروا آلهتكم • (قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على ابراهيم) لا بد من تقدير جمل محذوفة أي فأزمعوا أمرهم على حرقه فجمعوا الحطب الكثير وأضرموا النار وأوثقوا ابراهيم وجعلوه

في منجنيق ورموه في النار ، وقلنا فعل وفاعل ويا حرف نداء ونار منادى نكرة مقصودة مبني على الضم في محل نصب وكوني فعل أمر ناقص والياء اسمها وبرداً خبرها وسلاماً عطف على برداً وعلى ابراهيم صفة سلاماً . (وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخسرين) الواو حرف عطف وأرادوا فعل ماض وفاعل وبه متعلقان بأرادوا وكيداً مفعول به ، فجعلناهم الفاء حرف عطف وجعلناهم عطف على أرادوا والأخسرين مفعول به ثان .

البلاغة :

١ ــ تجاهل العارف : في قوله : « أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم » فن طريف من فنونهم يسمى تجاهل العارف وهو سؤال المتكلم عما يعلمه حقيقة تجاهلاً منه ليخرج الكلام مخرج المدح أو الذم أو ليدل على شدة الوله في الحب أو لقصد التعجب أو التوبيخ أو التقرير وهو على قسمين موجب ومنفي والآية التي نحن بصددها من التجاهل الموجب الجاري مجرى التقرير .

٢ ــ التعريض : في قوله « فاسألوهم إن كانوا ينطقون » فن التعريض ، وقد تقدمت الاشارة اليه أكثر من مرة ، أراد عليه الصلاة والسلام أن يبين لهم أن من لايتكلم ولا يعلم ليس بمستحق للعبادة ولا يصح في العقل أن يطلق عليه أنه إله ، فأخرج الكلام مخرج التعريض لهم بما يوقعهم في الاعتراف بأن الجمادات التي عبدوها ليست بآلهة لانهم إذا قالوا لا ينطقون قال لهم : فكيف تعبدون من يعجز عن النطق ويقصر عن أن يعلم بما يقع عنده في المكان الذي هو فيه ، فهذا الكلام من فرض الباطل مع الخصم حتى تلزمه الحجة ويعترف بالحق فإن ذلك أقطع لشبهته وأدفع لمكابرته .

وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِي رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾

الاعراب :

(ونجيناه ولوطاً إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين) الواو عاطفة ونجيناه فعل وفاعل ومفعول به ولوطاً معطوف على الهاء أو مفعول معه والواو واو المعية وهو ابن أخيه فنقلناه من أرض نمروذ بالعراق ، الى الأرض متعلقان بنجيناه أو بمحذوف حال والتي صفة للأرض وجملة باركنا فيها للعالمين صلة وفيها حال وللعالمين متعلقان بباركنا وهي قرى بيت المقدس بفلسطين وسيأتي بحث هام عن فلسطين لغة في باب الفوائد (ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة وكلاً جعلنا صالحين) الواو حرف عطف ووهبنا فعل وفاعل وله متعلقان بوهبنا واسحق مفعول به ويعقوب عطف على اسحق ونافلة حال من يعقوب أي أعطي يعقوب زيادة من غير سؤال واذا جعلت معنى نافلة عطية فيكون انتصابها على المفعولية

المطلقة من معنى العامل وهو وهبنا لأن الهبة والعطية متقاربان في المعنى وكلاً مفعول أول لجعلنا مقدم وجعلنا فعل وفاعل وصالحين مفعول به ثان . (وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا) وجعلناهم فعل وفاعل ومفعول به وأئمة مفعول به ثان وجملة يهدون بأمرنا صفة لأئمة وبأمرنا حال أي يهدون الى ديننا ملتبسين بأمرنا . (وأوحينا اليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين) وأوحينا عطف على ما تقدم واليهم متعلقان بأوحينا وفعل الخيرات مفعول به وإقام الصلاة عطف على فعل الخيرات وكذلك إيتاء الزكاة ، وكانوا الواو عاطفة وكانوا كان واسمها وعابدين خبرها ولنا متعلقان بعابدين . (ولوطاً آتيناه حكماً وعلماً) ولوطاً منصوب بفعل محذوف يفسره ما بعده أي آتينا لوطاً فهو من باب الاشتغال وجملة آتيناه مفسرة لا محل لها وحكماً مفعول ثان لآتيناه وعلماً معطوف على حكماً . (ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث انهم كانوا قوم سوء فاسقين) ونجيناه فعل وفاعل ومفعول به ومن القرية متعلقان بنجيناه والتي صفة للقرية وجملة كانت صلة واسم كانت ضمير مستتر تقديره هي وجملة تعمل الخبائث خبر كانت وجملة انهم تعليلية لا محل لها وان اسمها وجملة كانوا خبرها وقوم خبر كانوا وسوء مضاف لقوم وفاسقين صفة لقوم . (وأدخلناه في رحمتنا إنه من الصالحين) في رحمتنا متعلقان بأدخلناه وجملة انه من الصالحين تعليلية وان واسمها والجار والمجرور خبرها .

البلاغة :

في هذه الآيات مجازان الأول في قوله « ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث » والمراد أهلها لأنهم كانوا يمارسون الخبائث أي

الأعمال القبيحة من اللواط والرمي بالبندق واللعب بالطيور وغيرها • والثاني في قوله « وأدخلناه في رحمتنا » أي في جنتنا لأنها مكان الرحمة فهو مجاز مرسل علاقته المحلية •

الفوائد :

١ ـ فلسطين :

فلسطين بفتح الفاء وكسرها مع فتح اللام لا غير قرى بيت المقدس وفي القاموس : « فلسطون وفلسطين وقد تفتح فاؤهما : كورة بالشام وقرية بالعراق تقول في حال الرفع بالواو وفي حال النصب والجر بالياء أو تلزمها الياء في كل حال والنسبة فلسطي » هذا ويجوز في هذا النوع أي المسمى بجمع المذكر السالم أن يعرب بالحركات الثلاثة ظاهرة على النون حال كونه لم يكن أعجمياً وإن كان أعجمياً أعرب إعراب ما لا ينصرف أي لا ينون ويجر بالفتحة ويجوز فيه أن يعرب اعراب جمع المذكر السالم •

٢ ـ إقام الصلاة وإيتاء الزكاة :

(إقام الصلاة وإيتاء الزكاة) القاعدة في مصدر الفعل الرباعي على وزن أفعل أن يأتي على إفعال إن كان صحيح العين نحو اكرم اكراماً وأوجد ايجاداً فان اعتلت عينه نحو اقام وأعان وأبان جاء مصدره على افالة كإقامة وإعانة وابانة حذفت عين المصدر وعوض منها تاء التأنيث والأصل اقوام وإعوان وإبيان فنقلت حركة الواو والياء وهي الفتحة الى الحرف الساكن قبلهما ثم حذفتا فراراً من اجتماع الساكنين وعوض

منهما التاء وقد تحذف هذه التاء من المصدر إذا أضيف كقوله تعالى «وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة» وما كان منه معتل اللام مثل أعطى وأهدى وأولى قلبت لامه في المصدر همزة مثل إعطاء وإهداء وإيلاء والأصل اعطاو وإهداي وايلاي قال في شرح القاموس « العرب تهمز الواو والياء إذا جاءتا بعد ألف لأن الهمزة أحمل للحركة منهما ولأنهم يستثقلون الوقف على الواو وكذلك الياء مثل الرداء أصله رداي » هذا ويرجع في هذا الى بحث الابدال في كتب النحو المطولة .

وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾

اللغــة :

(الحرث) : الزرع وبابه نصر أو كتب كما في المختار وفي القاموس: الحرث مصدر والأرض التي تستنبت بالبــذر والنوى والغرس قال ابن عباس وأكثر المفسرين إن الحرث كان كرماً قد تدلت عناقيده وقيل كان زرعاً .

(نفشت) : تفرقت وانتشرت فيــه فرعته وأفسدته وفي المختار : « نفشت الغنم والابل أي رعت ليلاً بلا راع من باب جلس... والنفش بفتحتين اسم منه ومنه قوله تعالى « إذ نفشت فيه غنم القوم » ولا يكون النفش إلا بالليــل » ونفش الصوف والقطن من باب نصــر والنفش تشعيب الشيء بأصابعك حتى ينتشر .

(لبوس) : اللبوس اللباس قال : « البس لكل حال لبوسها » والمراد الدرع ، قال قتادة : كانت صفائح فأول من سردها وخلقها داود فجمعت الخفة والتحصين وهي المسماة بالدرع والدرع كما في المختار مؤنثة ، وقال أبو عبيدة تؤنث وتذكر .

الاعراب :

(ونوحاً إذ نادى من قبل فاستجبنا له فنجيناه من الكرب العظيم) ونوحاً عطف على لوطاً فيكون مشتركاً معــه في عامله الذي هو آتينا المفسر بآتينا الظاهر وكذلك داود وسليمان والتقــدير ونوحاً آتيناه حكماً وداود وسليمان آتيناهما حكماً فإذ بــدل اشتمال من نوحــاً وداود وسليمان ولك أن تعربه مفعولاً به لفعــل محذوف أي واذكر

نوحاً وداود وسليمان أي اذكر خبرهم وقصتهم فتكون اذ منصوبة بنفس المضاف المقدر أي خبرهم الواقع في وقت كذا ، وجملة نادى مضاف اليها ومن قبل متعلقان بنادى فاستجبنا عطف على نادى وله متعلقان باستجبنا ، فنجيناه عطف على استجبنا ومن الكرب متعلقان بنجيناه والعظيم صفة . (ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا انهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم أجمعين)ونصرناه فعل وفاعل ومفعول به ومن القوم متعلقان بنصرناه والذين صفة للقوم وجملة كذبوا بآياتنا صلة وان واسمها وجملة كانوا خبرها وجملة انهم تعليلية لا محل لها وقوم سوء خبر كانوا فأغرقناهم عطف على ما تقدم وأجمعين تأكيد للهاء.

(وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين) وداود وسليمان تقدم اعرابهما وإذ ظرف بدل من المضاف المحذوف أي اذكر قصة داود وسليمان وجملة يحكمان مضافة اليهاوفي الحرث متعلقان بيحكمان وإذظرف متعلق بدل من المضاف المحذوف وجملة نفشت مضاف اليها وفيه جار ومجرور متعلقان بنفشت وغنم القوم فاعل وستأتي خلاصة القصة في باب الفوائد ، وكنا الواو عاطفة وكان واسمها وشاهدين خبرها ولحكمهم متعلقان بشاهدين وجمع الضمير لأنه أرادهما والمتحاكمين اليهما ، أو انه ضمير يراد به المثنى وانما وقع الجمع مقام التثنية مجازاً أو لأن التثنية جمع وأقل الجمع اثنان ، ويدل على أن المراد التثنية قراءة ابن عباس لحكمهما بصيغة التثنية . (ففهمناها سليمان وكلاً آتينا حكماً وعلماً) ففهمناها عطف على يحكمان لأنه بمعنى الماضي أي فهمناه الصواب فيها وفهمناها فعل وفاعل ومفعول به وسليمان مفعول به ثان وكلاً مفعول أول مقدم لآتينا وحكماً وعلماً مفعول به ثان لآتينا . (وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين) وسخرنا فعل وفاعل ومع ظرف مكان

متعلق بسخرنا وداود مضاف اليه والجبال مفعول به وجملة يسبحن حالية من الجبال أي مسبحة ويجوز أن تكون مستأنفة والطير عطف على الجبال أو مفعول معه وكنا الواو عاطفة وكان واسمها وفاعلين خبرها • (وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون) وعلمناه عطف على ما تقدم وعلمناه فعل وفاعل ومفعول به وصنعة مفعول ثان لعلمناه ولبوس مضاف ولكم يجوز أن تتعلق بمحذوف صفة للبوس فاللام للتمليك ويجوز أن تتعلق بعلمناه فتكون اللام للتعليل وعلى هذا يكون قوله لتحصنكم بدلاً باعادة اللام أي لكم ولإحصانكم ، وعلى الوجه الأول يتعلق قوله لتحصنكم بعلمنا ، ولتحصنكم اللام للتعليل وتحصنكم فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل والفاعل مستتر تقديره هي والكاف مفعول به ومن بأسكم متعلقان بتحصنكم والفاء استئنافية وأنتم مبتدأ وشاكرون خبر • (ولسليمان الريح عاصفة تجري بأمره الى الأرض التي باركنا فيها) الواو عاطفة ولسليمان متعلقان بفعل محذوف تقديره سخرنا والريح مفعول به للفعل المحذوف المفهوم من قوله تعالى « وسخرنا مع داود الجبال » وعاصفة حال وجملة تجري بأمره حال ثانية والى الأرض متعلقان بتجري والتي صفة وجملة باركنا فيها صلة • (وكنا بكل شيء عالمين) الواو عاطفة ، وكنا : كان واسمها وبكل شيء متعلقان بعالمين وعالمين خبرها • (ومن الشياطين من يغوصون له) ومن الشياطين خبر مقدم ومن يجوز أن تكون موصولة أو موصوفة مبتدأ مؤخر ولك أن تعطفها نسقاً على الريح وجملة يغوصون صلة أو صفة وجمع الضمير حملاً على معنى من وحسّن ذلك تقدم جمع ما قبله وله متعلقان بيغوصون • (ويعملون عملاً دون ذلك وكنا لهم حافظين) ويعملون عطف على يغوصون وعملاً مفعول به أو مفعول مطلق ودون ظرف

متعلق بمحذوف صفة وذلك مضاف اليه وكنا كان واسمها وحافظين خبرها ولهم متعلقان بحافظين .

البلاغـة :

في قوله تعالى : « وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث الخ » فن جمع المختلف والمؤتلف ، وهو عبارة عن أن يريد المتكلم التسوية بين ممدوحين فيأتي بمعان مؤتلفة في مدحهما ثم يروم بعد ذلك ترجيح أحدهما على الآخر بزيادة فضل لا ينقص مدح الآخر فيأتي لأجل ذلك الترجيح بمعان تخالف معـاني التسوية ، وقبل أن نتحدث عن الآية نورد أبياتاً للخنساء توضح هذا الفن بجلاء نظمتها في أخيها صخر وقد أرادت مساواته في الفضل بأبيها مع مراعـاة حق الوالد بزيادة فضل لا ينقص بها مدح الولد فقالت :

جارى أباه فأقبـلا وهمـا ... يتعاوران مُـلاءة الحُضر

وهمـا وقـد برزا كأنهمـا ... صقران قـد حطّا الى وكـر

حتى إذا نزت القلوب وقـد ... لزت هناك العـذر بالعـذر

وعـلا هتاف الناس أيهمـا ... قال المجيب هناك : لا أدري

برقت صحيفة وجـه والده ... ومضى عـلى غلوائـه يجري

أولى فأولى أن يساويـه ... لولا جـلال السن والكبر

فلنتكم الآن على الآية والأبيات معاً لتتضح لك حقيقة هذا الفن العجيب : ففي الآية ساوى أول الآيتين داود وسليمان عليهما السلام في

أهلية الحكم ثم رجح آخرُها سليمان حيث يقول « ففهمناها سليمان » وحصل الالتفات الى مراعاة فأتى بما يقوم مقام تلك الزيادة التي يرجح بها سليمان لترشد الى المساواة في الفضل لتكون فضيلة السن وما يستتبعها من وفرة التجارب وحنكة الحياة قائمة مقام الزيادة التي رجح بها سليمان في الحكم أما معنى شعر الخنساء فإنها بعد قولها في المساواة :

وهما وقد برزا كأنهما صقران قد حطا الى وكر

وبعد قولها فيها أيضاً :

حتى اذا نزت القلوب وقد لزت هناك العذر بالعذر

تريد أن عذر اللجم لز بعضها بعضاً والعذر جميع عذار وهو السير الذي يكون على خد الدابة من اللجام وهذا يدل على المساواة في العدو ثم قالت في ترجيح الوالد :

برقت صحيفة وجه والده ومضى على غلوائه يجري

تعني أنه خرج وجهه من الغبار دون وجه رسيله سبقاً .

ثم قالت في الحاق الولد بالوالد في الفضل :

أولى فأولى أن يساويه لولا جلال السن والكبر

تريد أن الولد كان قادراً على مساواة الوالد لولا ما التزمه من الأدب مع برّ أبيه ، ومعرفته بحقه ، فغض من عنانه وخفض جناح فضله ليؤثر أباه بالفضل على نفسه .

والآية الكريمة ساوت بين داود وسليمان في التأهل للحكم وشركت بينهما فيه حيث قالت : « إذ يحكمان في الحرث » وأخبرت ان الله سبحانه فهم سليمان إصابة الحكم ففضل أباه بذلك بعد المساواة ثم التفت سبحانه ، الى مراعاة حق الوالد فقال : « وكلاً آتينا حكماً وعلماً » فرجعا بذلك الى المساواة بعد ترجيح سليمان ليعلم الولد بذلك بر الوالد ويعرفه ما له عليه من الحق حتى إذا فكر الناظر في هذا الكلام وقال : من أين جاءت المساواة في الحكم والعلم بعد الاخبار بأن سليمان فهم من الحكم ما لم يفهمه أبوه ؟ علم أن حق الأبوة قام مقام تلك الفضيلة فحصلت المساواة وحصل في هذا الكلام من الزيادة على معنى الخنساء بعد اشتراكهما في جمع المختلف والمؤتلف ضرب آخر من المحاسن يقال له الالتفات وذلك في قوله تعالى فيها « وكنا لحكمهم شاهدين » وأدمج في هذا الالتفات ضرباً آخر من المحاسن يقال له « التنكيت » فإن النكتة التي من أجلها جمع الضمير الذي كان من حقه أن يكون مثنى هي الاشارة الى أن هذا الحكم متبع يجب الاقتداء به لأنه عين الحق ونفس العدل وكيف لا يكون كذلك وقد أخبر سبحانه أنه شاهد له أي هو مراعى بعينه عز وجل ويجوز أن يكون جمع الضمير الذي أضيف اليه الحكم من أجل أن الحكم يستلزم حاكماً ومحكوماً له ومحكوماً عليه فجمع الضمير لأجل ذلك .

هذا ومن طريف ماقيل في جمع المؤتلف والمختلف قول الخبزأرزي واسمه نصر الله بن أحمد البصري وكان أمياً يخبز خبز الأرز في البصرة وينشد أشعار الغزل فقد قال :

رأيت الهلال ووجه الحبيب ... فكانا هلالين عند النظر

فلم أدر من حيرتي فيهما ... هلال السما من هلال البشر

ولولا التورد في الوجنتين ... وما لاح لي من خلال الشعر
لكنت أظن الهلال الحبيب ... وكنت أظن الحبيب القمر

فقد سوى بينهما أولاً ثم رجع ففضل الحبيب على الهلال .

الفوائد :

قصة حكم داود وسليمان في الحرث :

سنلخص قصة حكومة داود وسليمان في الحرث لما انطوت عليه من طرافة لتكون حافزاً لأقلام كتاب القصة على ترجمتها على غرار قصة أهل الكهف فقد روى التاريخ : أن رجلين دخلا على داود عليه السلام أحدهما صاحب حرث والآخر صاحب غنم فقال صاحب الحرث ان هذا انفلتت غنمه فوقعت في حرثي فأفسدته فلم تبق منه شيئاً فأعطاه داود رقاب الغنم في الحرث فخرجا فمرا على سليمان وهو ابن احدى عشرة سنة فقال : كيف قضى بينكما ؟ فأخبراه فقال سليمان لو وليت أمركما لقضيت بغير هذا وروي انه قال : غير هذا أرفق بالفريقين فأخبر بذلك داود فدعاه فقال : كيف تقضي، ويروى أنه قال بحق النبوة والأبوة إلا ما أخبرتني بالذي هو أرفق بالفريقين ، قال : أدفع الغنم الى صاحب الزرع ينتفع بدرها ونسلها وصوفها ويبذر صاحب الغنم لصاحب الحرث مثل حرثه فإذا صار الحرث كهيئته دفع الى أهله وأخذ صاحب الغنم غنمه فقال داود : القضاء ما قضيت كما قال تعالى : « ففهمناها سليمان » أي علمناه القضية ويروى قال سليمان أرى أن تدفع الغنم الى أهل الحرث ينتفعون بألبانها وأولادها وأصوافها

والحرث الى أرباب الشاء يقومون عليه حتى يعود كهيئته يوم أفسد ثم يترادّان فقال : القضاء ما قضيت وامضى الحكم بذلك .

الحكم بالشريعة الاسلامية :

أما حكم هذه القضية في الشريعة الاسلامية فقد تساءل عنه الزمخشري في كشافه فقال : « فإن قلت : فلو وقعت هذه الواقعة في شريعتنا ما حكمها ؟ قلت : أبو حنيفة وأصحابه رضي الله عنهم لا يرون فيه ضماناً بالليل أو بالنهار إلا أن يكون مع البهيمة سائق أو قائد ، والشافعي رضي الله عنه يوجب الضمان بالليل » .

بقي هنا سؤال وهو لماذا استعمل ضمير الجمع لاثنين في قوله تعالى : « وكنا لحكمهم شاهدين » .

وفي الجواب قولان أولهما أن المراد المثنى ولو وقع الضمير جمعاً لأن التثنية أقل الجمع والثاني أن المصدر المضاف انما هو مضاف للحاكمين وهما داود وسليمان والمحكوم عليه ، فهؤلاء جماعة ولكن فيه على هذا اضافة المصدر الى فاعله ومفعوله دفعة واحدة وهما انما يضاف الى أحدهما فقط وفيه الجمع بين الحقيقة والمجاز فان الحقيقة اضافة المصدر الى فاعله والمجاز اضافته الى مفعوله » .

ومن عجائب حكم سليمان ما رواه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : (بينا امرأتان معهما ابناهما إذ جاء الذئب فذهب بأحدهما فقالت هذه : إنما ذهب بابنك وقالت الأخرى : إنما ذهب بابنك فاختصمتا الى داود عليه السلام فقضى به للكبرى فمرتا على سليمان فأخبرتاه فقال : ائتياني بسكين أشقه بينكما

فقالت الصغرى : لا ويرحمك الله فقضى به للصغرى . قال أبو هريرة : والله إن كنت سمعت بالسكين قبل ذلك ما كنت أقول إلا المدية .

قال في القاموس : والسكين مؤنثة كالسكينة وصانعها سَكّان وسكاكيني ، هذا وقد اشتهر داود بصنع الدروع والجواشن ونحوها وقد رمق أبو الطيب المتنبي سماء هذه الصناعة فقال يصف مفرشه وملبسه بصدد الافتخار بنفسه :

مفرشي صهوة الحصان ولكنّ
قميصي مسرودة من حديد

لأمة فاضة أضاة دلاص
أحكمت نسجها يدا داود

يقول : إني شجاع لا أفارق ظهر الفرس وملبوسي الدرع وقميصي لأمة أي ملتئمة الصنعة محكمة النسج من صنع داود وهو أول من عمل الدروع .

وسؤال آخر : كيف وصف الريح المسخرة لسليمان بأنها عاصف ووصفها في موضع آخر بأنها رخاء فوصفها تارة بالعصف وتارة بالرخاوة وقد أجاب الزمخشري على هذا السؤال ببراعة نادرة فقال : « كانت في نفسها رخية طيبة كالنسيم فإذا مرت بكرسيه أبعدت به في مدة يسيرة على ما قال « غدوها شهر ورواحها شهر » فكأن جمعها بين الأمرين ، أن تكون رخاء في نفسها وعاصفة في عملها مع طاعتها لسليمان وهبوبها على حسب ما يريد ويحتكم ، آية الى آية ، ومعجزة الى معجزة ، وقيل كانت في وقت رخاء وفي وقت عاصفاً لهبوبها على حكم إرادته » .

قلت : ويشبه هذا الوصف عصا موسى تارة بأنها جان وتارة بأنها ثعبان والجان الرقيق من الحيات والثعبان العظيم الجافي منها ووجه ذلك أنها جمعت الوصفين فكانت في خفتها وفي سرعة حركتها كالجان وكانت في عظم خلقها كالثعبان وقد رمق الشعراء سماء هذا المعنى فوصفوا اجتماع النقيضين في موصوف واحد ، قال ابن الرومي في وصف وحيد المغنية :

خلقت فتنة غناء وحسناً ما لها فيهما جميعاً نديد
فهي نعمى يميد منها كبير وهي بلوى يشيب منها الوليد

فوصفها بأنها نعمى يميد منها الكبير ثم وصفها بأنها بلوى يشيب منها الصغير فهي إن واصلت أحيت وإن هاجرت أماتت وقال من هذه القصيدة الممتعة التي أحب أن ترجع اليها في ديوانه :

ما تزالين نظرة منك موت لي مميت ونظرة تخليد
تتلاقى فلحظة منك وعد بوصال ولحظة تهديد

وهو في الشعر كثير نجتزىء منه بهذا المثال .

* وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا

ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾

الاعراب :

(وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين) وأيوب مفعول به لفعل محذوف تقديره اذكر وهو على حذف مضاف أي اذكر خبر أيوب ، وإذ بدل من خبر أي من المضاف المقدر وجملة نادى ربه مضاف اليه ، وربه مفعول نادى ، وأني أن ومافي حيزها نصب بنزع الخافض أي بأني وان واسمها وجملة مسني الضر خبر أن وأنت الواو حالية وأنت مبتدأ وأرحم خبر والراحمين مضاف إليه وستأتي في باب الفوائد . (فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر) الفاء عاطفة واستجبنا فعل وفاعل وله متعلقان باستجبنا ، فكشفنا عطف على فاستجبنا وما مفعول به وبه صلة ما ومن ضر حال . (وآتيناه وأهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين) وآتيناه فعل وفاعل ومفعول به وأهله مفعول به ثان ومثلهم عطف على أهله أو مفعول معه ومعهم ظرف مكان متعلق بمحذوف حال أي كائنين معهم ورحمة مفعول من أجله ويجوز أن يكون مصدراً لفعل مقدر أي رحمناه رحمة والأول أرجح ومن عندنا صفة لرحمة وذكرى عطف على رحمة وللعابدين

متعلقان بذكرى • (واسماعيل وادريس وذا الكفل كلٌّ من الصابرين) واسماعيل مفعول به لفعل محذوف أي واذكر ويجوز أن يعطف نسقاً على من تقدم من الانبياء وادريس عطف على اسماعيل وذا الكفل عطف أيضاً وسيأتي سبب تسميته بذلك في باب الفوائد وكل مبتدأ ومن الصابرين خبره • (وأدخلناهم في رحمتنا إنهم من الصالحين) الجملة معطوفة وان واسمها ومن الصالحين خبرها • (وذا النون إذ ذهب مغاضباً فظن أن لن نقدر عليه) وذا النون مفعول به لفعل محذوف أو معطوف نسقاً على من تقدم وسيأتي بحثه في باب الفوائد ، وإذ بدل من المضاف المحذوف كما تقدم وجملة ذهب مضاف إليها ومغاضباً حال أي لقومه لا لربه أي انه غضب عليهم لما كابده منهم ، فظن الفاء عاطفة وظن معطوف على ذهب أي تركهم وذهب دون أن يؤذن له وفاعل ظن مستتر تقديره هو وأن مخففة من الثقلية واسمها ضمير الشأن وجملة لن نقدر عليه خبر وسيأتي معنى لن في باب الفوائد كما ستأتي خلاصة قصته • (فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين) فنادى عطف على ظن وفي الظلمات متعلقان بمحذوف حال وأن مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن وجملة لا إله إلا أنت هي الخبر ويجوز أن تكون مفسرة لأن النداء فيه معنى القول دون حروفه وسبحانك مفعول مطلق لفعل محذوف والجملة حالية واني ان واسمها والجملة تعليلية وجملة كنت من الظالمين خبر إني ومن الظالمين خبر كنت • (فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين) فاستجبنا عطف على ما تقدم وله متعلقان باستجبنا ونجيناه فعل وفاعل ومفعول به ومن الغم متعلقان بنجيناه ، وكذلك الكاف نعت لمصدر محذوف وننجي المؤمنين فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول به •

الفوائـد :

١ ـ خلاصة قصة أيوب :

روى التاريخ أن أيوب كان رجلاً رومياً من ولد اسحق بن يعقوب وقد استنبأه الله وبسط عليه الدنيا وكثر أهله وماله وكان له سبعة بنين وسبع بنات وله أصناف البهائم وخمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد لكل عبد امرأة وولد ونخيل فابتلاه الله بذهاب ولده انهدم عليهم البيت فهلكوا وبذهاب ماله وبالمرض في بدنه ثماني عشرة سنة وقيل ثلاث عشرة سنة وقالت له امرأته يوماً : لو دعوت الله فقال لها كم كانت مدة الرخاء ؟ فقالت : ثمانين سنة فقال : أنا أستحي من الله أن أدعوه وما بلغت مدة بلائي مدة رخائي فلما كشف الله عنه أحيا ولده ورزقه مثلهم ونوافل منهم ، وقصة أيوب حافلة بالصور الشعرية الملهمة وهي ديوان حافل عن الصبر على البلاء وعدم البطر في الرخاء .

٢ ـ الفرق بين الضُّر والضَّر :

يقال ضر بفتح الضاد وضر بضمها والفرق بينهما أن الضر بالفتح هو الضرر بكل شيء والضر بالضم هو الضرر في النفس من هزال ومرض وفرق بين البناءين لافتراق المعنيين وقد نظم بعضهم الفرق بينهما كما أورد معاني أخرى لهما قال :

وضدّ نفع قيل فيه ضَرُّ وجودُ ضَرَّة لعرسٍ ضِرُّ

وسوء حال المرء ذاك ضُرُّ كذا هزالٌ مرضٌ أو كِبَر

٣ ـ التلطف في السؤال :

وقد تلطف أيوب في السؤال وألمح الى ما يعانيه من بلاء دون أن يصرح بمطلوبه حيث اكتفى بذكر المس في الضر وأدخل أل الجنسية على الضر لتشمل أنواعه المتقدمة ووصف ربه بغاية الرحمة بعد ما ذكر نفسه بما يوجبهـا فكان درساً بليغاً لكـل من تتعاوره الأرزاء وتنتابه اللأواء ويحكى أن عجوزاً تعرضت لسليمان بن عبد الملك فقالت يا أمير المؤمنين مشت جرذان بيتي على العصي فقال لها : ألطفت في السؤال لا جرم لأردنّها تثب وثب الفهود وملأ بيتها حباً • وقد تعلق أبو الطيب المتنبي بأذيال هذه البلاغة عندما خاطب كافوراً بما كان يرجوه منه وهو أن يعطيه ولاية وإن كان قصده المواربة :

أرى لي بقـربي منك عينـاً قـريرة
وإن كـان قـرباً بالبعـاد يشـاب

وهـل نافعي أن ترفـع الحجبُ بيننـا
ودون الـذي أملـت منك حجـاب

أُقِلّ سـلامي حُبَّ ما خف عنكـم
وأسـكت كيمـا لا يكـون جـواب

وفي النفس حـاجـات وفيك فطانـة
سكوتي بيـان عنـدها وخطـاب

وفي البيت الثالث نكتة نحوية وهي انتصاب حبّ وذلك انه نصبه

على أنه مفعول له وهو مصدر كأنه يقول الحب ما خف أي لإيثاري التخفيف وقد تلطف حبيب بن أوس أبو تمام وأجمل أغراضه كلها في بيت واحد وهو قوله :

وإذا الجودُ كان عوني على المر ء تقاضيتـــه بترك التقاضي

أما أبو بكر الخوارزمي فقال راسماً خطة الطلب :

وإذا طلبت الى كريم حاجـة فلقـــاؤه يكفيك والتسليم

فإذا رآك مسلماً عرف الـذي حملتـه فكأنـه ملـزوم

وسبقهم جميعاً أمية بن أبي الصلت بقوله المشهور :

أأذكر حاجتي أم قـد كفاني حيـاؤك إن شيمتك الحيـاء

إذا أثنى عليك المـــرء يوماً كفـــاه من تعرضـه الثناء

٤ ـ ذو الكفل :

هذا لقبه والكفل هو النصيب واسمه بشير وقيـل الياس وقيل زكريا كأنه سمي بذلك لأنه المجدور وذو النصيب الأوفى من الحظ ، وقيل ذو الكفل اسمه وقد كان له اسمان ولم يكن لقباً .

٥ ـ ذو النون :

في المختار : « ذو النون الحوت وجمعه أنوان ونينان وذو النون لقب يونس بن متى على وزن شتى اسم والده على ما ذكر في القاموس أو اسم لأمه على ما قاله ابن الأثير في النهاية ، وقيل ذا النون لأنه رأى

صبياً مليحاً فقال دسموا نونته لئلا تصيبه العين ، وحكى ثعلب أن نونة الصبي هي الثقبة التي تكون في ذقن الصبي الصغير ، ومعنى دسموا : سودوا ، وذو بمعنى صاحب ، قال السهيلي في كتاب الأعلام في قوله تعالى « وذا»النون هو يونس بن متى أضاف ذا الى النون وهو الحوت فقال سبحانه « ولا تكن كصاحب الحوت » وبينهما فرق وذلك انه حين ذكر في معرض الثناء عليه قيل ذا النون ولم يقل صاحب النون والاضافة بذا أشرف من الاضافة بصاحب لأن قولك ذو يضاف الى التابع وصاحب يضاف الى المتبوع تقول : أبو هريرة صاحب النبي ولا تقول : النبي صاحب أبي هريرة إلا على وجه ما وأما ذو فانك تقول فيها ذو الملك وذو الجلال وذو العرش وذو القرنين فتجد الاسم الاول متبوعاً غير تابع ولذلك سميت أقيال حمير أذواء منهم ذو جدن وذو يزن وذو رعين وذو كلاع وفي الاسلام ذو الشهادتين وذو الشمالين وذو اليدين وذلك كله تفخيم للمسمى بهذا وليس ذلك في لفظ صاحب وانما فيه تعريف لا يقترن به شيء من هذا المعنى » وستأتي قصته وابتلاع الحوت له في الصافات .

٦ ـ معنى لن نقدر عليه :

أما معنى قوله « فظن أن لن نقدر عليه » لن نقضي عليه بما قضينا من حبسه في بطن الحوت أو نضيق عليه بذلك فهي من القدر .لا من القدرة كما في قوله تعالى « الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر » وعن ابن عباس أنه دخل على معاوية فقال : لقد ضربتني أمواج القرآن البارحة فغرقت فيها فلم أجد لنفسي خلاصاً إلا بك ، قال وما هي يا معاوية ؟ فقرأ عليه هذه الآية وقال : أويظن نبي الله أن لا يقدر عليه ، قال : هذا من القدر لا من القدرة على أن الزمخشري بعد أن ذكر الوجه

الذي أوردناه أجاز أن يفسر بالقدرة على معنى أن لن نعمل فيه قدرتنا وأن يكون من باب التمثيل بمعنى « فكانت حاله ممثلة بحال من ظن أن لن تقدر عليه في مراغمته قومه من غير انتظار لأمر الله » .

وذهب جمهور من العلماء أن معناها فظن أن لن نضيق عليه من قدر عليه رزقه أي ضيق وقتر .

وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ۖ كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ ﴿٩٣﴾

اللغـــة :

(زكريا) : بالمد علم نبي وألفه للتأنيث فلذلك منع من الصرف وهو أيضاً غير مصروف للعجمة والتعريف وقيـل هو عربي مشتق من زكر أي امتلأ أو تزكر .

الاعراب :

(وزكريا إذ نادى ربه رب لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين) تقدم القول في اعراب وزكريا إذ نادى ربه ، ورب منادى مضاف الى ياء المتكلم المحذوفة ولا ناهية للدعاء وتذرني فعل مضارع مجزوم بلا والنون للوقاية والفاعل مستتر تقديره أنت والياء مفعول به وفرداً حال وأنت الواو عاطفة على محذوف أي فارزقني وارثاً وأنت مبتدأ وخير الوارثين خبر • (فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه) الفاء عاطفة واستجبنا فعل وفاعل وله متعلقان باستجبنا واستجبنا فعل وفاعل والمفعول محذوف أي نداءه وأصلحنا فعل وفاعل وله متعلقان بأصلحنا وزوجه مفعول به والمراد باصلاحها جعلها صالحة للولادة بعد عقرها وعقمها والعقم انسداد الرحم كما في المختار • (إنهم كانوا يسارعون في الخيرات) الجملة تعليل للاصلاح وان واسمها وجملة كانوا كانوا خبرها وكان واسمها وجملة يسارعون في الخيرات خبر كان وعبر بفي دون الى للاشعار بديمومتهم على المسارعة كأنهم استقروا فيها (ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين) ويدعوننا عطف على يسارعون ويدعوننا فعل وفاعل ومفعول به ورغباً ورهباً مصدران منتصبان على الحال أو على المصدرية الملاقية لعاملها في المعنى دون اللفظ أو على المفعول له وكانوا كان واسمها وخاشعين خبرها ولنا متعلقان بخاشعين • (والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين) والتي أي واذكر مريم التي ، وجملة أحصنت فرجها صلة فنفخنا عطف على أحصنت وفيها متعلقان بنفخنا ومن روحنا متعلقان بنفخنا أيضاً ولك أن تعرب التي مبتدأ والخبر محذوف أي فيما يتلى عليهم وجعلناها فعل وفاعل ومفعول به وابنها

عطف على الهاء أو مفعول معه وآيـة مفعول به ثان وانما لـم يطابق المفعول الاول فيثنى لأن كلاً من مريم وابنها آية بانضمامه للآخر فصار آية واحدة أو تقول انه حذف من أحدهما لدلالة الثاني عليه أي وجعلنا مريم آية وابنها كذلك أو بالعكس وللعالمين صفة لآية • (**إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون**) إن واسمها وخبرها وأمة حال لازمة وقيل بدل من هذه وواحدة صفة وأنا الواو عاطفة وأنا مبتدأ وربكم خبر والفاء الفصيحة واعبدوني فعل أمر وفاعل وياء المتكلم المحذوفة لرسم المصحف مفعول به • (**وتقطعوا أمرهم بينهم كل الينا راجعون**) الواو عاطفة وتقطعوا فعل ماض وفاعله والأصل وتقطعتم إلا أن الكلام صرف الى الغيبة على طريقة الالتفات كما سيأتي في باب البلاغة ، وأمرهم في نصبه وجوه أرجحها أنه منصوب بنزع الخافض أي تفرقوا في أمرهم ويجوز أن يكون تقطعوا معناه قطعوا فيكون أمرهم مفعولاً به ورأى أبو البقاء أن يكون تمييزاً ولا أدري كيف استقام ذلك معه •

البلاغـة :

١ ــ الالتفات : في قوله تعالى « إن هذه امتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون ، وتقطعوا أمرهم بينهم كل إلينا راجعون » الالتفات ، الأصل في تقطعوا تقطعتم على الأول إلا أنه صرف الكلام من الخطاب الى الغيبة على طريقة الالتفات كأنه ينعى عليهم ما أفسدوه ويقبح عندهم ما فعلوه ويقول لهم ألا ترون الى عظيم ما ارتكب هؤلاء في دين الله فجعلوا أمر دينهم فيما بينهم قطعاً وذلك تمثيل لاختلافهم فيه وتباينهم ثم توعدهم بعد ذلك بأن هؤلاء الفرق المختلفة إليه يرجعون فيجازيهم على ما فعلوا •

٢ ـ معنى النفخ في مريم : ظاهر الكلام يوهم أن مريم هي التي أحييت لأن معنى النفخ الاحياء ولكن الله تعالى نزل نفخ الروح في عيسى لكونه في جوف مريم منزلة نفخ الروح في مريم ونحو ذلك أن يقول الزمار : نفخت في بيت فلان أي نفخت في المزمار في بيته .

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾

اللغـــة :

(كفران) : الكفران مصدر الكفر قـال في القاموس : « كفر يكفر من باب نصر كَفراً وكُفراً وكُفوراً وكُفْراناً ضد آمن وكفر بالخالق نفاه وعطّل وكفر كَفراً وكفوراً وكفراناً بنعم الله جحـدها وتناساها .

(حدب) : بفتحتين مرتفع من الارض ومنه الحدب في الظهر وكل كدية أو أكمة فهي حدبة •

(ينسلون) : يسرعون والنسلان مقاربة الخطا مع الاسراع ، وفي المصباح : نسل في مشيه نسلاناً : أسرع وبابه ضرب وفي القاموس هو من باب ضرب وقتل •

(حصب جهنم) : الحصب المحصوب به أي يحصب بهم في النار والحصب الرمي وفي المختار : « والحصب بفتحتين ما تحصب به النار أي ترمى وكل ما ألقيته في النار فقد حصبتها به وبابه ضرب ومثله في القاموس •

الاعراب :

(فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وإنا له كاتبون) الفاء استئنافية ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ ويعمل فعل الشرط ومن الصالحات صفة لمفعول به محذوف أي عملاً من الصالحات والواو حالية وهو مبتدأ ومؤمن خبر والفاء رابطة ولا نافية للجنس وكفران اسمها ولسعيه خبر والواو استئنافية أو حالية وان واسمها وكاتبون خبرها وله متعلقان بكاتبون • (وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون) الواو عاطفة من عطف الجمل أو استئنافية وحرام خبر مقدم وعلى قرية متعلقان بحرام وجملة أهلكناها صفة لقرية وان وما في حيزها مبتدأ مؤخر وان واسمها وجملة لا يرجعون خبرها ، وقيل لا زائدة وهو قول أبي عبيدة كقوله ما منعك أن لا تسجد ، أي يرجعون الى الايمان والمعنى وممتنع على أهل القرية قدرنا عليهم

إهلاكهم لكفرهم رجوعهم في الدنيا الى الايمان الى أن تقوم القيامة فحينئذ يرجعون ويصح أن تكون نافية على بابها والتقدير لأنهم لا يرجعون وقال الزجاج : وحرام على قرية أهلكناها حكمنا بإهلاكها أن تتقبل أعمالهم لأنهم لايرجعون أي لايتوبون ودل على هذا المعنى قوله قبل « فلا كفران لسعيه » أي يتقبل عمله ثم ذكر هذا عقيبه وبين أن الكافر لا يتقبل عمله .

وعبارة ابن هشام في المغني « وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون » فقيل لا زائدة والمعنى ممتنع على أهل قرية قدرنا اهلاكهم لكفرهم انهم يرجعون عن الكفر الى قيام الساعة وعلى هذا فحرام خبر مقدم وجوباً لأن المخبر عنه أن وصلتها ومثله وآية لهم أنا حملنا ذريتهم لا مبتدأ وان وصلتها فاعل أغنى عن الخبر كما جوز أبو البقاء لأنه ليس بوصف صريح ولأنه لم يعتمد على نفي ولا استفهام وقيل لا نافية والاعراب إما على ما تقدم والمعنى ممتنع عليهم انهم لا يرجعون الى الآخرة وإما على ان حرام مبتدأ حذف خبره أي قبول أعمالهم وابتدىء بالنكرة لتقييدها بالمعمول واما على انه خبر لمبتدأ محذوف أي والعمل الصالح حرام عليهم وعلى الوجهين فانهم لا يرجعون تعليل على اضمار اللام والمعنى لا يرجعون أعمالهم فيه ودليل المحذوف ما تقدم من قوله تعالى : « فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه »

(حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون)

حتى حرف غاية وجر وهي غاية لامتناع الرجوع فهي متعلقة بحرام على انها حرف غاية وجر ويجوز أن تكون ابتدائية وهي التي يحكى بعدها الكلام والكلام المحكى هنا جملة الشرط والجزاء واذا ظرف لما

يستقبل من الزمن والجواب الذي تتعلق به اذا محذوف وتقديره قالوا يا ويلنا واختار الزمخشري وغيره أن يكون الجواب هو الفاء الداخلة على اذا الفجائية فإذا جاءت الفاء معها تساندتا وتعاونتا على وصل الجواب بالشرط فيتأكد ولو قيل إذا هي شاخصة أو فهي شاخصة كان سديداً. هذا وقد اختار أبو حيان أن تكون حتى جارة متعلقة بتقطعوا على ما فيه من بعد قال: «وكون حتى جارة متعلقة بتقطعوا فيه من حيث كثرة الفصل لكنه من حيث المعنى جيد وهو انهم لا يزالون مختلفين على دين الحق الى قرب مجيء الساعة فإذا جاءت الساعة انقطع ذلك» وفتحت فعل ماض مبني للمجهول ويأجوج ومأجوج نائب فاعل ولا بد من تقدير مضاف وهو سدهما والواو للحال وهم مبتدأ وخبره جملة ينسلون ومن كل حدب متعلقان بينسلون. (واقترب الوعد الحق فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا) الواو عاطفة واقترب الوعد فعل وفاعل والحق صفة للوعد والفاء رابطة وإذا الفجائية وقد تقدم بحثها وهي مبتدأ وشاخصة خبر وأبصار الذين كفروا فاعل شاخصة. (يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين) النداء متعلق بقول محذوف في محل نصب على الحال أي يقولون يا ويلنا احضر فهذا أوانك وقد حرف تحقيق وكان واسمها وفي غفلة خبرها ومن هذا متعلقان بغفلة، بل حرف اضراب وكان واسمها وخبرها وهذه الجمل كلها مقول قولهم المحذوف. (إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون) ان واسمها والجملة ابتدائية وما عطف على الكاف وجملة تعبدون صلة ومن دون الله حال وحصب جهنم خبر انكم وجملة أنتم لها واردون جملة اسمية من مبتدأ وخبر في محل نصب على الحال من جهنم وفيه أن مجيء الحال من المضاف اليه لم يرد في كلامهم إلا مشروطاً ويجوز أن تكون بدلاً من حصب جهنم ويجوز أن تكون خبراً ثانياً لإن وأجاز

آخرون أن تكون مستأنفة • (لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكلٌّ فيها خالدون) لو شرطية امتناعية وكان فعل ماض ناقص وهؤلاء اسمها وآلهة خبرها وجملة ما وردوها لا محل لها لأنها جواب لو والواو للحال وكل مبتدأ وفيها متعلقان بخالدون وخالـدون خبر • (لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون) لهم خبر مقدم وفيهـا حال وزفير مبتدأ مؤخر والواو عاطفة وهم مبتدأ وفيها متعلقان بيسمعون وجملة لا يسمعون خبر هم •

البلاغـة :

المذهب الكلامي : في قوله تعالى : « انكم وما تعبدون حصب جهنم أنتم لها واردون لو كان هؤلاء آلهة ماوردوها وكل فيها خالدون » المذهب الكلامي وقد تقدمت الاشارة إليه ، وسنزيده بسطاً هنا فنقول : اذا تقرر أن المذهب الكلامي هو احتجاج المتكلم على ما يريد إثباته بحجة تقطع المعاند له على طريقة أرباب الكلام أو استنتاج النتائج الصحيحة من المقـدمات الصادقة كما سيأتي في سورة الحج فإن الآيـة التي نحن بصددها يترتب عليها ان هؤلاء الاصنام والأوثان ليسوا بآلهة فلو كانوا آلهة فهم حصب جهنم كما تقدم ان ملزوم قوله تعالى «لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا » هو ما تقديره لكنهما ما فسدتا فليس فيهما آلهة إلا الله ومن النوع الثاني تقـدم الكلام في سورة الاعراف عـلى قوله تعالى : « ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط » فوجه استنتاج النتيجة في هذه الجملة من المقدمتين أن يقال إن الكفار لا يدخلون الجنة أبداً حتى يلج الجمل في خرم الابرة ، والجمل لا يدخل في خرم الابرة أبداً فهم لا يدخلون الجنة أبداً لأن تعليق الشرط عـلى مستحيل يلزم منه استحالة وقوع المشروط •

ومن المذهب الكلامي قوله صلى الله عليه وسلم : « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً » وتمام الدليل أن يقال : لكنكم ضحكتم كثيراً وبكيتم قليلاً فلم تعلموا ما أعلم ، ومثله قوله مالك بن المرجل الأندلسي :

لو يكون الحب وصلاً كله لم تكن غايته إلا الملل

أو يكون الحب هجراً كله لم تكن غايته إلا الأجل

إنما الوصل كمثل الماء لا يستطاب الماء إلا بالغلل

فالبيتان الأولان قياس شرطي والثالث قياس فقهي فإنه قاس الوصل على الماء فكما أن الماء لا يستطاب إلا بعد العطش فالوصل مثله لا يستطاب إلا بعد حرارة الهجر ، وأما الأقيسة الحملية فقد استنبطوها على صور ، منها ما يروى أن أبا دلف قصده شاعر تميمي فقال له : ممن أنت ؟ فقال : من تميم ، فقال أبو دلف :

تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا

ولو سلكت سبل الهداية ضلت

فقال التميمي نعم بتلك الهداية جئت إليك فأفحمه بدليل حملي ألزمه فيه أن المجيء إليه ضلال ولعمري إن القياس الشرطي أوضح دلالة في هذا الباب من غيره وأعذب في الذوق وأسهل في التركيب فإنه جملة واقعة بعد لو وجوابها وهذه الجملة على اصطلاحهم مقدمة شرطية متصلة يستدل بها على ما تقدم من الحكم .

وقال ابن رشيق في كتاب العمدة « ذكر ابن المعتز أن الجاحظ سمى هذا النوع المذهب الكلامي قال ابن المعتز : وهذا باب ما علمت اني وجدت منه في القرآن شيئاً وهو ينسب الى التكلف تعالى الله عن

ذلك علواً كبيراً » وقد فات ابن رشيق وابن المعتز أن القرآن حافل بهذا النوع كما رأيت وكما سيأتي فيما بعد على أن ابن رشيق لاحظ على ابن المعتز شيئاً آخر فقال : « غير أن ابن المعتز قد ختم بهذا الباب أبواب البديع الخمسة التي خصها بهذه التسمية وقدمها على غيرها وأنشد للفرزدق :

لكل امرىء نفسان : نفس كريمة
وأخرى يعاصيها الفتى ويطيعها

ونفسك من نفسيك تشفع للندى
إذا قل من احرارهن شفيعها

وأنشد لآخر ولا أظنه إلا ابراهيم بن العباس :

وعلمتني كيف الهوى وجهلته
وعلمكم صبري على ظلمكم ظلمي

فأعلم ما لي عندكم فيميل بي
هواي الى جهلي وأعرض عن ظلمي

وعاب على أبي تمام قوله :

فالمجد لا يرضى بأن ترضى بأن
يرضى المؤمل منك إلا بالرضا

وحكي أن اسحق الموصلي سمع الطائي ينشد ويكثر من هـذا الباب وأمثاله عند الحسن بن وهب فقال : « يا هذا لقد شذرت على نفسك » وعندي أن النقـد يتوجه الى أبي تمـام في بيته لا من ناحية المذهب الكلامي الذي سلكه بل من ناحية التعقيد اللفظي فيه •

ومن طريف هذا المذهب ما أورده ابن رشيق لابن المعتز وهو قوله:

أسرفتُ في الكتمـان وذاك مـني دهـاني
كتمت حـبّك حتى كتمتـه كتمـاني
ولـم يكـن لي بـد من ذكـره بلسـاني

قال : « وهذه الملاحة نفسها والظرف بعينه » •

وقال أبو نواس :

سَخُنْتَ من شدة البرودة حتى صرت عنـدي كأنك النـار
لا يعجب السامعون صفـتي كـذلك الثلـج بارد حار

فهذا مذهب كلامي فلسفي ، وقوله أيضاً :

فيك خـلاف لخـلاف الذي فيه خـلاف لخـلاف الجميل

ويمكن اعتبار أبي تمام صاحب طريقة خاصة في المذهب الكلامي ، استمع الى قوله في الحسد :

وإذا أراد الله نشـر فضـيلة طويت أتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت ماكان يعرف طيب عرف العود

ومن أزهار البهاء زهير قوله :

يا من أكابد فيه ما أكابده | مولاي أصبر حتى يحكم الله
سميت غيرك محبوبي مغالطة | لمعشر فيك قد فاهوا بما فاهوا
أقول زيد وزيد لست أعرفه | وإنما هو لفظ أنت معناه
وكم ذكرت مسمّى لا اكتراث به | حتى يجر الى ذكراك ذكراه
أتيه فيك على العشاق كلهم | قد عز من أنت، يامولاي، مولاه
كادت عيونهم بالبغض تنطق لي | حتى كأن عيون الناس أفواه

إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُولَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ (١٠١) لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ (١٠٢) لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ (١٠٣) يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ (١٠٤) وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ (١٠٥)

اللغة :

(السجّل) : كتاب العهود وكتاب الاحكام ، وكتاب يكتب فيه القاضي صورة الدعاوى والحكم فيها وصكوك المبايعات ونحوها

لتبقى محفوظة عنده والجمع سجلات ويقال سجّل الرجل : كتب السجل وسجل الاوراق قيدها في المحاكم وسجل القاضي عليه حكم وسجل عليه بكذا شهره به ووسمه وسجل له بماله قرره وأثبته له .

الاعراب :

(إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون) إن واسمها وجملة سبقت صلة ولهم متعلقان بسبقت ومنّا حال والحسنى فاعل وأولئك مبتدأ وعنها متعلقان بمبعدون ومبعدون خبر أولئك وجملة أولئك عنها مبعدون خبر إن وجملة إن الخ ابتدائية . (لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون) جملة لا يسمعون حسيسها تحتمل وجوهاً منها أن تكون بدلاً من مبعدون لأنها تحل محله فتغني عنه ومنها أن تكون خبراً ثانياً لأولئك ويجوز أن تكون حالاً من ضمير مبعدون ولا نافية ويسمعون حسيسها فعل مضارع مرفوع وفاعل ومفعول به والواو للحال أو استئنافية وهم مبتدأ وفيما متعلقان بخالدون وجملة اشتهت أنفسهم صلة وخالدون خبر هم . (لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون) الجملة حالية أو بدل من الجملة السابقة ولا نافية ويحزنهم فعل ومفعول به والفزع فاعل والأكبر صفة للفزع وتتلقاهم الملائكة فعل ومفعول به وفاعل ، وجملة هذا يومكم مقول قول محذوف واقع موقع الحال أي قائلين : هذا يومكم ، وهذا مبتدأ ويومكم خبر والذي صفة ليومكم وجملة كنتم صلة وكان واسمها وجملة توعدون خبر كنتم . (يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب) الظرف متعلق

بمحذوف تقديره اذكر ولك أن تعلقه بلا يحزنهم أو بالفزع أو تتلقاهم الملائكة وجملة نطوي في محل جر بإضافة الظرف اليها والفاعل ضمير مستتر تقديره نحن والسماء مفعول به وكطي الكاف نعت لمصدر محذوف أي كما يطوي الرجل صحيفته ليكتب فيها فالطي مصدرمضاف للمفعول والحذف للفاعل مع المصدر مطرد باستمرار وللكتب متعلقان بطي فهي لتقوية التعدية أي للمكتوبات جميعها أي لما يكتب فيه من المعاني الكثيرة • (كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين) الكاف نعت لمصدر محذوف وما مصدرية وبدأنا فعل وفاعل وأول خلق مفعول بدأنا أي نعيد أول خلق اعادة مثل بدئنا له والزمخشري يجعل ما كافة للكاف دائماً ووعداً مصدر منصوب بوعدنا مقدراً قبله وهو مفعول مطلق مؤكد لمضمون ما قبله ، وعلينا متعلقان بوعداً وان واسمها وجملة كنا خبر إنا وكان واسمها وفاعلين خبرها وجملة إنا تعليلية بمثابة التأكيد للقدرة على فعل ذلك وقدرها أبو حيان في البحر « أي نحن قادرون على أن نفعل ذلك » واختار العمادي أن تكون حالية وقدرها « أي محققين هذا الوعد فاستعدوا لذلك » وستأتي فوائد هامة حول هذه الآية في بابي الفوائد والبلاغة • (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون) الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لتقرير أن الارض للصالحين لها ولاستغلال مواردها وطاقاتها المكنوزة فيها واللام جواب لقسم محذوف وقد حرف تحقيق وكتبنا فعل وفاعل وفي الزبور متعلقان بكتبنا ومن بعد متعلقان بمحذوف حال من الزبور وأن ومافي حيزها مفعول كتبنا ، أي كتبنا وراثة الأرض ، وان واسمها وجملة يرثها خبر وعبادي فاعل والصالحون صفة •

البلاغــة :

١ ـ المبالغة : في قوله تعالى : « لا يسمعون حسيسها » فن المبالغة ذلك لأن لقائل أن يقول : إذا نزل أهل الجنة منازلهم فيها فأي بشارة لهم في أنهم لا يسمعون حسيسها؟ والجواب انه تأكيد للمبالغة وانها لن تقرب منهم أبداً لأن الذي يكون عن كثب منهــا يسمع ، ولا شك ، حسيسها ، لأن أهل النار دركات جاءت وفق عدد سكانها وعدد داخليها ووفق عدة معبوداتهم ولذلك قال تعالى في آية أخرى « لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم » وسيأتي تفصيل ذلك في سورة الحجر ويروى أن علياً رضي الله عنه قرأ هذه الآية وهي « إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون » ثم قال أنا منهم وأبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف ثم أقيمت الصلاة فقام يجر رداءه وهو يقول : « لا يسمعون حسيسها » .

٢ ـ التشبيه : في قوله تعالى « كما بدأنا أول خلق نعيده » تشبيه للاعادة بالابتداء في تناول القدرة لهما على السواء قال الزمخشري: « فإن قلت : وما أول الخلق حتى يعيده كما بدأه ؟ قلت : أوله إيجاده من العدم فكما أوجده أولاً من عدم يعيده ثانياً من عدم فإن قلت : ما بال خلق منكراً ؟ قلت : هو كقولك هو أول رجل جاءني تريد أول الرجال ولكنك وحدته ونكرته ارادة تفصيلهم رجلاً رجلاً فكذلك معنى أول خلق ، أول الخلق بمعنى أول الخــلائق لأن الخلق مصدر لا يجمع ووجه آخر وهو أن ينتصب الكاف بفعل مضمر يفسره نعيده وما موصولة أي نعيد مثل الذي بدأناه نعيده وأول خلق ظرف لبدأناه أي أول ماخلق أو حال من ضمير الموصول الساقط من اللفظ الثابت في المعنى » .

إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾

الاعراب :

(إن في هذا لبلاغاً لقوم عابدين) ان حرف مشبه بالفعل وفي هذا خبرها المقدم واللام المزحلقة ولقوم صفة لبلاغاً وعابدين صفة . (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) الواو حرف عطف وما نافية وأرسلناك فعل وفاعل ومفعول به وإلا أداة حصر ورحمة مفعول من أجله أو حال مبالغة في أن جعله نفس الرحمة أو على حذف مضاف أي ذا رحمة وللعالمين صفة لرحمة أو يتعلق بنفس الرحمة . (قل انما يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فهل أنتم مسلمون) إنما كافة ومكفوفة ويوحي فعل مضارع مبني للمجهول وإلي متعلقان بيوحى وان ومافي حيزها نائب فاعل يوحى وإلهكم مبتدأ وإله خبر وواحد صفة والفاء الفصيحة أي ان علمتم هذا وهل حرف حرف استفهام وأنتم مبتدأ ومسلمون خبر وسيأتي مبحث القصر بنوعيه في هذه الآية في باب البلاغة . (فإن تولوا

فقل آذنتكم على سواء) الفاء استئنافية وان شرطية وتولوا فعل ماض وهو فعل الشرط والواو فاعل والفاء رابطة لجواب الشرط وقل فعل أمر وآذنتكم فعل وفاعل ومفعول به والجملة في محل جزم جواب الشرط وعلى سواء متعلقان بمحذوف حال من التاء أي الفاعل أو من الكاف أي المفعول أي مستوين في العلم بالحرب وسيأتي تفصيل هذا الايجاز في باب البلاغة • (وإن أدري أقريب أم بعيد ما توعدون) الواو للحال وإن نافية وأدري فعل مضارع مرفوع والفاعل مستتر تقديره أنا والهمزة للاستفهام وقريب خبر مقدم وأم حرف عطف وبعيد عطف عليه وما مبتدأ مؤخر وجملة توعدون صلة وجوز أبو البقاء أن يرتفع ما توعدون فاعلاً بقريب سد مسد خبره وقريب مبتدأ قال لأنه اعتمد على الهمزة أو ببعيد لأنه أقرب اليه فتكون المسألة من باب التنازع وجملة أقريب أم بعيد ما توعدون في محل نصب مفعول أدري المعلقة عن العمل • (إنه يعلم الجهر من القول ويعلم ماتكتمون) ان واسمها وجملة يعلم خبرها وفاعل يعلم ضمير مستتر تقديره هو يعود على الله تعالى والجهر مفعول به ومن القول حال من الجهر ويعلم عطف على يعلم الأولى وما مفعول به وجملة تكتمون صلة • (وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع الى حين) الواو عاطفة وإن نافية وأدري فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره أنا ولعل واسمها وفتنة خبرها ولكم صفة ومتاع عطف على فتنة وإلى حين متعلقان بمحذوف صفة لمتاع أو يتعلق به وجملة لعله فتنة في محل نصب بأدري والكوفيون يجرون الترجي مجرى الاستفهام في التعليق عن العمل ولكن النحاة لم يذكروا لعل من المعلقات ولكنها وردت كثيراً في القرآن كقوله في هذه الآية وكقوله: «وما يدريك لعل الساعة قريب ، وما يدريك لعله يزكى ، وقيل ان قوله ومتاع ليس داخلاً في حيز الترجي لأنه محقق فلا يصح عطفه على فتنة لأنه حيث

كان معطوفاً على خبرها كان معمولاً لها وداخلاً في حيزها وفي نطاق الترجي الذي تدل عليه فالأولى اذن أن يقال ان قوله ومتاع خبر لمبتدأ محذوف وتقديره وهذا متاع الى حين أي وتأخير عذابكم متاع لكم وتكون الجملة مستأنفة وليس هذا ببعيد • (قل رب احكم بالحق وربنا الرحمن المستعان على ماتصفون) رب منادى مضاف الى ياء المتكلم المحذوفة واحكم فعل دعاء وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت وبالحق حال وربنا الواو استئنافية وربنا مبتدأ والرحمن يجوز أن يكون خبراً والمستعان خبراً ثانياً ويجوز أن يكون صفة لربنا والمستعان خبر لأنه المحدث به وعلى ما متعلقان بالمستعان وجملة تصفون صلة والعائد محذوف أي تصفونه مخالفاً للواقع •

البلاغة :

١ ـ القصر :

في قوله تعالى « قل إنما يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد » وقد تقدم بحث القصر مفصلاً وتقول ان في هذه الآية قصرين الاول قصر الصفة على الموصوف وذلك في قصر الوحي على الوحدانية والمعنى لا يوحى إليّ إلا اختصاص الإله بالوحدانية لا لأنه لم يوح اليه بشيء غيرها ولكنها الاصل الرئيسي في كل عبادة وعمل وهي المطلوبة أولاً وقبل كل شيء حتى كأن ما عداها غير منظور اليه أو غير جدير بالذكر والثاني قصر الموصوف على الصفة وذلك في قصر الله على الوحدانية وهو ظاهر •

٢ ـ الايجاز :

وذلك في قوله تعالى « فإن تولوا فقل آذنتكم على سواء » تقدم

القول في الايجاز كثيراً وفي هذه الآية إيجاز قصر لأنه تحدث بثلاث كلمات وهي « آذنتكم على سواء » عن كلام طويل أي إن تولوا بعد هذه الآيات والشواهد وأعرضوا وطووا كشحاً فقل لهم لقد أعلمناكم على بيان أنا واياكم في حرب لا مهادنة فيها ولا صلح بيننا ولكنني لا أدري متى يأذن الله ، وآذنتكم منقول من اذن إذا علم قال الحارث ابن حلزة :

آذنتنا ببينها أسماء   رب ثاوٍ يمل منه الثواء

وقد سما الزمخشري في شرح هذا الايجاز وهذه نبذة من كلامه : « والمعنى اني بعد توليكم واعراضكم عن قبول ما عرض عليكم من وجوب توحيد الله وتنزيهه عن الأنداد والشركاء كرجل بينه وبين أعدائه هدنة فأحسّ منهم بغدرة فنبذ اليهم العهد وشهر النبذ وأشاعه وآذنهم جميعاً بذلك « على سواء » أي مستوين في الاعلام به لم يطوه عن أحد منهم وكاشف كلهم وقشر العصا عن لحائه » .

٣ ـ التوليد :

في قوله : « قل رب احكم بالحق » فن التوليد وسماه ابن منقذ فن التلطيف وهو على ضربين : من الألفاظ ومن المعاني :

١ ـ التوليد من الألفاظ على ضربين أيضاً :

آ ـ توليد المتكلم من لفظه ولفظ غيره صورة من الكلام .

ب ـ توليد المتكلم صورة من موضعين من لفظ نفسه .

والأول هو أن يزوج لفظة من لفظة للفظة من لفظ غيره فيتولد

بينهما كلام مناقض غرض صاحب اللفظة الأجنبية وذلك في الألفاظ المفردة دون الجمل المؤتلفة ومثاله ما حكي عن مصعب بن الزبير انه كان قد وسم خيله بلفظ « عُدّة » وهو يريد عدة الحرب فلما قتل وصارت خيله عند الحجاج ورأى ذلك الوسم أمر أن يوسم الى جانب عدة بلفظة « الفرار » فتولد بين اللفظين معنى غير ما أراده مصعب وانقلب المدح قدحاً .

٢ ـ التوليد من المعاني وستأتي أمثلته ، أما الآية التي نحن بصددها فقد زوج فناً من فنون البديع لفن آخر فيه فتولد فن ثالث غيرهما وذلك انه يتوجه على ظاهر اشكال وهو أن يقال : ما الحكمة في كونه سبحانه أمر نبيه أن يسأله الحكم بالحق وهو عز وجل يعلم أن نبيه متيقن انه سبحانه لا يحكم إلا بالحق فلو اقتصر على قوله احكم فقط كان ذلك كافياً فلم عدل عن الأوجز الموفي بالمعنى المراد مع سلامة الظاهر من الإشكال الى الأطول الموجب للإشكال ، والجواب :

ان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لا يدعون على من خالفهم حتى يؤذن لهم في ذلك لأنهم بعثوا مؤلفين لا منفرين وهم لا يعلمون من الغيب إلا ما أعلمهم به الله فإذا أعلمهم بمن لا يمكن إيمانه من قومهم ساغ لهم الدعاء على ذلك ، ألا ترى أن نوحاً عليه السلام لم يتجرأ أن يقول : « رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً » إلا بعد قوله تعالى له : « إنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن » ولذلك احترس في الدعاء بقوله : على الأرض فإن من آمن معه كان في السفينة ولم يبق على الأرض إلا من حق عليه العذاب ولما علم سبحانه ان الذين عادوا نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم لا يرجى فلاحهم أمره بالدعاء عليهم بيد أنه علمه كيف يدعو عليهم دعاء غير منفر لغيرهم فأراد سبحانه أن

يقول : قل رب أهلك الظالمين فعدل عن هذا اللفظ الخاص لما فيه من التنفير الى لفظ الإرداف فقال : « قل رب احكم بالحق » فانه سبحانه إذا حكم بالحق وهو العدل عاقب من يستحق العقاب وأما قول مورد الاشكال : لم عدل عن الأوجز الى الأطول ؟ ولو قال رب احكم لكان كافياً ، فليس الأمر كما زعم لأن للحاكم المختار الذي لا شريك له أن يحكم بالفضل فينزل عن حق نفسه وله أن يحكم بالعدل فيستوفي حقه وحق غيره وطلب مطلق الحكم لا يوفي بذلك فلهذا عدل عن الأوجز الى الأطول ليوفي بالمعنى المراد .

وقد تنخّل عن هذا الجواب أربعة عشر ضرباً من البديع اتفقت في هذه الألفاظ الثلاثة وهي :

١ ـ الإرداف الذي قدمنا ذكره .

٢ ـ الايضاح لأن إيضاح الإشكال الوارد على ظاهر الكلام جاء مدمجاً في الإرداف .

٣ ـ التتميم إذ لو وقع الاقتصار على قوله : رب احكم لكان المعنى المراد ناقصاً لأن مطلق الحكم لا يوفي بالمقصود كما بينا .

٤ ـ المقارنة لأن الادماج والإيضاح اقترنا في التتميم .

٥و٦ ـ الافتنان لجمع هذه اللفظات الثلاث بين فنين من الفنون التي يقصدها المتكلمون وهما :

آ ـ فن الأدب في تعليم الحق سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم كيف يدعو على من خالفه دعاء غير منفّر عنه .

ب ــ فن الهجاء لأن عدل الله سبحانه يأبى أن يأمر نبيه بالدعاء إلا على من علم تصميمه على العصيان وبراءته من الايمان ومن كان كذلك كان مستحقاً للذم فأدمج سبحانه في أمر الرسول بالدعاء عليهم هجاءهم بمقتضى ما تضمنه الكلام من استحقاق الملام .

٧ ــ الايجاز عن المعنى المراد بأقل ما يمكن من الحروف .

٨ ــ السهولة فقد تركبت الكلمات تركيباً سليماً من سوء الجوار ، سهلة المخارج ولأن الكلمات جاءت في مقارها فلا تتقدم كلمة عن كلمة ولا تتأخر .

٩ ــ التهذيب في كون تركيب الجملة وضع على أصح ترتيب وأسهل تهذيب إذ تقدم فيها ذكر المدعو وثنى بالطلب وثلث بالمطلوب .

١٠ــ حسن البيان لأن الذهن يسابق الى فهم معنى الكلام من غير توقف بمجرد سماعه أول وهلة لعدم التعقيد في اللفظ وخلوه من أسباب اللبس من التقديم والتأخير وسلوك الطريق الأبعد وإيقاع المشترك .

١١ ــ التمزيج لامتزاج الفنون بمعاني البديع فإن فني الأدب والهجاء امتزجا بمعنى الإرداف والتتميم ولم يظهر في اللفظ لكل معنيين سوى صورة واحدة فظهر فن الأدب وأدمج فيه فن الهجاء وظهر الإرداف وأدمج فيه التتميم .

١٢ــ الابداع لما تضمن كل لفظة من الجملة الضرب والضربين فصاعداً من البديع .

١٣ـ التمثيل : لأن قوة البلاغة وورونق الفصاحة أخرجت هذه اللفظات مخرج المثل السائر الذي يصلح لأن يتمثــل به في كل واقعة تشبه واقعته •

١٤ـ التوليــد : لأن الإرداف لما زوج بالتتميم تولــد منهما الايضاح وتولد من الايضاح والارداف الادماج ولمــا ظهرت فائــدة الاتيان بالجار والمجرور وثبت التتميم وظهرت العلة في العدول عن لفظ الدعاء الخاص الى لفظ الارداف وتولــد من ذلك فن الأدب ومن فن الادب فن الهجاء ولما ثبت الائتلاف والتهذيب وما وقع في النظم من حسن الترتيب تولــد من ذلك المثل السائر ولذلك غلب التوليد عــلى جميع ما فيها من الضروب الثلاثة عشر وأثبتت في بابه دون أبوابها •

التوليد في الشعر :

أما في الشعر فلا يستحسن إلا التوليد في المعاني أما التوليد في الألفاظ فيأتي دونه في المرتبة بل ربما غالى بعضهم فجعله غــير مقبول لشبهه بالسرقة وذلك أن يستعذب الشاعر لفظه في شعر غيره فيأخذها ويضمنها معنى غير معناها الأول كقول أبي تمام :

لها منظر قيــد الأوابد لم يزل ... يروح ويغدو في خفارته الحب

أخذ لفظة قيد الأوابــد من بيت امرىء القيس في وصف فرس ونقلها الى الغزل وبيت امرىء القيس هو :

وقد اغتدي والطير في وكناتها ... بمنجرد قيــــد الأوابد هيكل

على أنه قد يكون عذباً كما فعل علي بن زريق البغدادي في قوله :

استودع الله في بغداد لي قمراً ... بالكرخ من فلك الأزرار مطلعه

فقد أخذ الأزرار من قول عبد الله بن المعتز :

يا حسن أحمد إذ بدا متشمراً ... في قرطق يسعى بكأس عقاره

والغصن في أثوابه والدر في ... فمه وجيد الظبي في أزراره

ولقد عابوا على عمارة اليمني بيته يمدح الخليفة المصري الفاطمي عند قدومه عليه من اليمن وهو :

فهل درى البيت أني بعد فرقته ... ماسرت من حرم إلا الى حرم

لأنه مأخوذ بلفظه من شعر أبي تمام مادحاً :

يا من رأى حرماً يسري الى حرم

طوبى لمستلم يأتي وملتزم

وهنا يحار الناقد في كثرة وقوع الشعراء الكبار بهذه المزالق ، قال ابن الأثير : « ومما كنت أستحسنه من شعر أبي نواس قوله من قصيدته التي أولها :

دع عنك لومي فإن اللوم اغراء

وداوني بالتي كانت هي الداء

دارت على فتية ذل الزمان لهم

فما يصيبهم إلا بما شاءوا

وهذا من عالي الشعر ثم وقفت في كتاب الأغاني لأبي الفرج على هذا البيت في أصوات معبد وهو :

لهفي على فتية ذل الزمان لهم فما أصابهم إلا بما شاءوا

وما أعلم كيف هذا » .

أما توليد المعاني فهو مستحسن على اطلاقه كقول أبي الطيب المتنبي:

همام إذا ما فارق الغمد سيفه وعاينته لم تدر أيهما النصل

أخذه من قول أبي تمام :

يمدون بالبيض القواطع أيديا فهن سواء والسيوف القواطع

وقال المتنبي أيضاً :

وما هي إلا لحظة بعد لحظة إذا نزلت في قلبه رحل العقل

أخذه من قول أبي نواس في وصف الخمرة :

إذا ما أتت دون اللهاة من الفتى دعا همه من صدره برحيل

وجميل أخذ المتنبي من أبي تمام قوله :

ومن الخير بطء سيبك عني أسرع السحب في المسير الجهام

وبيت أبي تمام :

هو الصنع إن تعجل فخير وإن ترث

فللريث في بعض المواضع أنفع

وبيت المتنبي أجمل وأرشق وفيه زيادة ضرب المثل :

وولد أحد الشعراء المولدين بيتاً فارسياً فقال :

كأن عـــذاره في الخـــد لام ومبسمه الشهيّ العذب صاد

وطرة شعره ليـــل بهيـــم فـــلا عجب إذا سرق الرقـــاد

فقد ولد هذا الشاعر من تشبيه العذار باللام وتشبيه الفم بالصاد لفظة لص وولد من معناها ومعنى تشبيه الطرة بالليل ذكر سرقة النجوم فحصل في البيت توليد واغراب وادماج •

وقد أطلنا عنان القول ولكن الحسن غير مملول •

الفوائـــد :

التعليق :

للأفعال التي تنصب مفعولين أصلهما مبتدأ وخبر أحكام عديدة منها التعليق وهو إبطال العمل لفظاً لا محلاً لمجيء ما له صدر الكلام بعده والمعلقات عن العمل هي :

١ ــ لام الابتداء نحو «لقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق» فمن مبتدأ وهو موصول اسمي وجملة اشتراه صلة من وعائدها فاعـــل اشتراه المستتر فيه وما نافية وله وفي متعلقان بالاستقرار خبر خلاق ومن زائدة وجملة ماله في الآخرة من خـــلاق خبر من والرابط بينهما الضمـــير المجرور باللام وجملة من وخبره في محـــل نصب معلق عنها العامل بلام الابتداء لأن لها الصدارة فلا يتخطاها عامل وانما تخطاها

في باب إن فرفع الخبر لأنها مؤخرة من تقديم لاصلاح اللفظ وأصلها التقديم على إن .

٢ - لام القسم كقول لبيد :

ولقد علمت لتأتين منيتي إن المنايا لا تطيش سهامها

فاللام في لتأتين لام القسم وتسمى جواب القسم ، والقسم وجوابه في محل نصب معلق عنها العامل بلام القسم لا جملة الجواب فقط ، فسقط ما قيل ان جملة جواب القسم لا محل لها وان الجملة المعلق عنها العامل لها محل فيتنافيان ولهذا قال أبو حيان « أكثر أصحابنا لا يذكرون لام القسم في المعلقات وفي العزة ، ولام القسم لا تعلق كقوله :

لقد علمت أسد أننا لهم يوم نصر لنعم النصير

بفتح أن فهذه لام القسم ولم تعلق وتقول علمت أن زيداً ليقومن بفتح أن » اهـ وفي المغني أن أفعال القلوب لإفادتها التحقيق تجاب بما يجاب به القسم كقوله :

ولقد علمت لتأتين منيتي الخ » اهـ .

فأخرج لام لتأتين عن كونها للقسم .

٣ - ما النافية نحو « لقد علمت ما هؤلاء ينطقون » فما نافية وهؤلاء مبتدأ وجملة ينطقون خبره والجملة الاسمية في موضع نصب بعلمت وهي معلق عنها العامل في اللفظ بما النافية .

٤ - لا وإن النافيتان الواقعتان في جواب قسم ملفوظ به أو

مقدر فالملفوظ به نحو علمت والله لا زيد في الدار ولا عمرو وعلمت والله أن زيد في الدار والمقدر نحو علمت لا زيد في الدار ولا عمرو ٠

٥ ـ الاستفهام كالآية التي نحن بصددها وهي « وإن أدري أقريب الخ » وقول كثير :

وما كنت أدري قبل عزة ما البكا

ولا موجعات القلب حتى تولت

فعطف موجعات بالنصب على الكسرة على محل قوله : ما البكا الذي علق عن العمل فيه قوله أدري ٠

سُورَةُ الحَجِّ

مدنية وآياتها ثمان وسبعون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٤﴾

اللغـــة :

(مريد) : عات متجرّد للفساد قال الزجاج : المريد والمارد المرتفع الأملس وقال في القاموس وشرحه : المارد : العاتي المرتفع يقال بناء مارد أي مرتفع وهو مجاز وجمعه مردة وماردون ومرّاد ، والمريد : الشديد المرادة والخبيث الشرير وجمعه مُرْد ومؤنثه مرداء يقال : مُرْد على جُرْد أي شبان مرد على خيول جرد .

الاعراب :

(يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم) يا أداة نداء وأيها منادى نكرة مقصودة مبني على الضم والهاء للتنبيه والناس بدل من أي على اللفظ واتقوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل وإن زلزلة الساعة إن واسمها وشيء خبرها وعظيم صفة لشيء وجملة إن زلزلة الساعة الخ تعليلية لا محل لها من الاعراب وذلك لقوله اتقوا ربكم . وزلزلة الساعة من إضافة المصدر الى فاعله أو الى مفعوله فعلى الأول كأنها هي التي تزلزل الأشياء على المجاز الحكمي وعلى الثاني على طريقة الاتساع في الظرف وإجرائه مجرى المفعول به كقوله تعالى « بل مكر الليل والنهار » . (يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها) الظرف متعلق بتذهل وجملة ترونها مضاف اليها الظرف وأجازوا فيه أوجهاً أخرى منها أن يكون متعلقاً بعظيم أو باذكر مقدرة أو انه بدل اشتمال من زلزلة لأن كلاً من الحدث والزمان يصدق عليه انه مشتمل على الآخر والضمير في ترونها عائد على الساعة أي القيامة ولأنها بهذه المثابة التي تقطع نياط القلوب ، ويجوز أن يعود على الزلزلة ولعله أقرب لأنه في الدنيا ، وتذهل فعل مضارع مرفوع وكل مرضعة فاعل والجملة في محل نصب على الحال من ضمير ترونها أي الهاء فإن الرؤية هنا بصرية حتماً هذا إذا لم نجعل يوم متعلقاً بتذهل فإن تعلق به لم تجز الحال وصارت الجملة مستأنفة أو أنها حال من الزلزلة أو من الضمير المستتر في عظيم أو من الساعة وان كانت مضافاً اليها لأنها إما فاعل واما مفعول به ، كما تقدم ، ولا بد عندئذ من تقدير ضمير محذوف أي تذهل فيها والمرضعة هي التي باشرت الإرضاع بأن ألقمت الرضيع ثديها والمرضع هي التي من شأنها أن ترضع سواء باشرت

الارضاع أم لم تباشره ففرقوا بينهما بالتاء المربوطة وسيأتي مزيد تفصيل لهذا السر في باب البلاغة وعما أرضعت متعلقان بتذهل وما موصولة أو مصدرية أي عن الذي أرضعته أو عن إرضاعها وتضع كل فعل مضارع وفاعل والجملة معطوفة على جملة تذهل وذات حمل مضاف لكل وحملها مفعول به لتضع والحمل بفتح الحاء المهملة ما كان في بطن أو على شجرة وبالكسرة ما كان على ظهر • (وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد) الواو عاطفة وترى فعل مضارع معطوف على ترونها وإنما جمع في الأول وأفرد في الثاني لأن الرؤية الأولى علقت بالزلزلة أو الساعة وكل الناس يرونها أما الثانية فهي متعلقة بكون الناس سكارى فلا بد من جعل كل أحد رائياً للباقي بقطع النظر عن اتصافه بالسكر وفاعل ترى مستتر تقديره أنت والناس مفعول به وسكارى حال والواو للحال وما نافية حجازية وهم اسمها والباء حرف جر زائد وسكارى مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه خبر ما والجملة في محل نصب على الحال من الناس ، ويجوز في سكارى ضم السين وفتحها فهما لغتان وبهما قرىء ،ولكن الواو عاطفة على محذوف مخالفة لما بعد لكن وهذا حكم مطرد لها والتقدير كما في البحر لأبي حيان : « فهذه الأحوال وهي الذهول والوضع ورؤية الناس شبه السكارى هينة لينة ولكن عذاب الله شديد أي ليس ليناً وسهلاً فما بعد لكن مخالف لما قبلها » وسيأتي مزيد بحث لهذه الآية في باب البلاغة • (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم) الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لذكر من غفل عن الجزاء في ذلك وكذب به والمناسبة بينها وبين ما تقدم من ذكر أهوال الساعة وزلزلتها واضحة ومن الناس خبر مقدم ومن نكرة موصوفة حتماً وهي مبتدأ مؤخر أي ناس موصوفة بالجدل واللجاج والسفسطة والمكابرة لا تنفع فيهم

العظات ولا تؤثر فيهم الدلائل وجملة يجادل في الله صفة لمن وأفرد الضمير مراعاة للفظ من ولو جمع مراعاة لمعناها لجاز وفي الله متعلقان بيجادل على حذف مضاف أي قدرته وصفاته ودينه وبغير علم حال من الضمير الفاعل في يجادل أي جاهلاً متخبطاً في متاهات الضلالة العمياء والجهالة النكراء (ويتبع كل شيطان مريد) ويتبع عطف على يجادل وكل مفعول به وشيطان مضاف اليه ومريد صفة لشيطان ولا بد من تقدير مضاف أي خطوات كل شيطان . (كتب عليه انه من تولاه فانه يضله ويهديه الى عذاب السعير) كتب فعل ماض مبني للمجهول وعليه متعلقان به وأن وما في حيزها في محل رفع نائب فاعل ومن اسم شرط جازم مبتدأ ويجوز أن تكون من اسم موصول مبتدأ وفأنه الخبر ودخلت الفاء لما في الموصول من رائحة الشرط وجملة يضله خبر انه وجملة الشرط أو الموصول خبر أنه وأجاز الزمخشري أن تكون فأنه معطوفة على الأولى وتعقبه أبو حيان فقال : وهذا لا يجوز لأنك إذا جعلت فأنه عطفاً على انه بقيت انه بلا استيفاء خبر على أن كثيرين أيدوا الزمخشري في إعرابه ونرى أن ما اخترناه هو الاقرب للصواب ، ويهديه عطف على يضله والى عذاب السعير متعلقان بيهديه .

البلاغة :

١ ـ في قوله تعالى « وترى الناس سكارى وما هم بسكارى » تشبيه بليغ فقد شبه الناس في ذلك اليوم العصيب بحالة السكارى الذين فقدوا التمييز وأضاعوا الرشد ، والعلماء يقولون : إن من أدلة المجاز صدق نقيضه كقولك زيد حمار إذا وصفته بالبلادة والغباء ثم يصدق أن تقول وما هو بحمار فتنفي عنه الحقيقة فكذلك الآية بعد

أن أثبتت السكر المجازي نفى الحقيقة أبلغ نفي مؤكد بالباء والسر في تأكيده التنبيه على أن هذا السكر الذي هو بهم في تلك الحالة ليس من المعهود في شيء وإنما هو أمر لم يعهدوا قبله مثله والاستدراك بقوله « ولكن عذاب الله شديد » راجع الى قوله وما هم بسكارى وكأنه تعليل لاثبات السكر المجازي كأنه قيل : إذا لم يكونوا سكارى من الخمر وهو السكر المعهود فما هذا السكر الغريب ؟ وما سببه ؟ فقيل شدة عذاب الله تعالى ٠

٢ ـ وفي عدوله عن مرضع الى مرضعة سر قل من يتفطّن له وهو ان المرضعة هي التي باشرت الارضاع فعلاً فنزعها الثدي من فم طفلها عند حدوث الهول ، ووقوع الارتباك أدل على الدهشة وأكثر تجسيداً لمواطن الذهول الذي استولى عليها وهناك فرق آخر وهو أن وروده على النسب أي مرضع لا يلاحظ فيه حدوث الصفة المشتق منها ولكن مقتضاه انه موصوف بها وعلى غير النسب أي مرضعة يلاحظ فيه حدوث الفعل وخروج الصفة عليه وهذا من أسرار لغتنا التي تندر في اللغات ٠

وقال في المفصل : « إن مذهب الكوفيين ان حذف التاء من حائض للاستغناء عنها وهذا يوجب إثبات التاء في محل الالتباس كضامر وعاشق وأيم وثيب وعانس » وهذا الاعتراض بيّن ، وأما الاعتراض باثبات التاء في الصفات المختصة بالاناث من امرأة معيبة وكلبة مجرية على مافي الصحاح فليس بسديد لأن ما ذكروه مجوز لا موجب لأنهم يقولون الاتيان بالتاء في صورة الاستغناء على الأصل كحاملة في المرأة قال في الصحاح : يقال امرأة حامل وحاملة إذا كانت حبلى فمن قال

حامل قال هذا نعت ومن قال حاملة بناه على حملت فهي حاملة وأنشد لعمرو بن حسان :

تمخضت المنون له بيوم أتى ولكل حاملة تمام

فإذا حملت شيئاً على ظهرها أو على رأسها فهي حاملة لا غير .

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾

اللغــــة :

(النطفة) : ماء الرجــل أو المرأة والجمــع نطاف ونُطَـف وهو ما يعرف بالمني كفني والمني كإلي والمنية كرمية ويجمع على مُنْي كقفل .

ومنى وأمنى ومنّى بمعنى واحد • والنطفة أيضاً الماء الصافي قل أو كثر وسيأتي المزيد من الكلام عنه •

(علقة) : العلقة : هي الدم الجامد وهو المراد هنا والذي يعلق باليد وكل ما يُعلّق وما تتبلّغ به الماشية من الشجر ودويبة سوداء تمتص الدم والجمع علق •

(مضغة) : لحمة قدر ما يمضغ •

(مخلقة) : المخلقة المسواة الملساء من النقصان والعيب يقال خلق السواك والعود إذا سواه وملسه من قولهم صخرة خلقاء كأن الله تعالى يخلق المضغ متفاوتة متباينة منها ما هو كامل الخلقة أملس من العيوب ومنها ما هو على عكس ذلك وعلى حسب ذلك التفاوت تتفاوت المخلوقات في الصور والخلق •

(طفلاً) : الطفل بكسر الطاء يطلق على الولد من حين الانفصال الى حين البلوغ وأما الطفل بالفتح فهو الناعم والمرأة طفلة وأما الطفل بفتح الطاء والفاء فهو وقت ما بعد العصر من قولهم طفلت الشمس إذا مالت للغروب وأطفلت المرأة أي صارت ذات طفل وفي المختار : الطفل يستعمل مفرداً وجمعاً وفي الحديث سئل صلى الله عليه وسلم عن أطفال المشركين • وقال في الأساس واللسان ما خلاصته : هو طفل بين الطفولة ، وفعل ذلك في طفولته وامرأة وظبية مُطفل وطفّلت ولدها : رشحته • قال الأخطل يصف سحاباً :

إذا زعزعته الريح جرّ ذيولها كما زحفت عوذ ثقال تطفّل

وامرأة طَفلة ، وطفلة الأنامل : ناعمة وبنان طَفْل ناعمة

قال ذو الرمة :

أسيلة مُسْتَنّ الوشاحين قانىء

بأطرافها الحناء في سَبطٍ طَفْل

وقد طفُل طُفولة وَطَفالة وآتيه في طفل الغداة وطَفَل العَشي وهو بعيد طلوع الشمس وقبيل غروبها قال :

باكرتها طَفَلَ الغداة بغارة والمبتغون خطار ذاك قليل

وقال لبيد :

فتدليت عليه قافلا وعلى الأرض غيابات الطَّفَل

وطفّلت الشمس إذا دنت للغروب وطفّل الليل أقبل وأظلّ وطفّل علينا وتطفّل وهو طفيلي وتقول : ما زال يطفّل على الناس ، حتى نسخ طفيل الاعراس وهو رجل من الكوفة نسب اليه التطفيل •

(أشده) : تقدم بحثه ونقول هنا : الأشد كمال القول والعقل والتمييز وهو من ألفاظ الجمع التي لم يستعمل لها واحد وهو ما بين الثلاثين الى الأربعين •

(هامدة) : الهمود السكون والخشوع وهمدت الأرض يبست ودرست وهمد الثوب بلي •

(اهتزت) : تحركت وتجوز به هنا عن انبات الأرض نباتها بالماء •

(ربت) : زادت وارتفعت من ربا يربو •

الاعراب :

(يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب) يا أيها الناس تقدم إعرابها وإن شرطية وكنتم فعل ماض ناقص فعل الشرط والتاء اسمها وفي ريب خبرها ومن البعث متعلقان بمحذوف صفة لريب فإنا الفاء رابطة وان واسمها وجملة خلقناكم خبرها ومن تراب متعلقان بخلقناكم وانما ساغ وقوع قوله فانا خلقناكم جواباً على تأويل فمزيل ريبكم أن تنظروا في بدء خلقكم • (ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة) عطف بثم للدلالة على وجود تراخ في تطور الخلق وتدرجه من حال الى حال وقوله مخلقة صفة لمضغة وغير مخلقة عطف على مخلقة والمراد تفصيل حال المضغة وكونها أولاً قطعة لم يظهر فيها من الاعضاء شيء ثم ظهرت بعد ذلك شيئاً فشيئاً • (لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء الى أجل مسمى) لنبين اللام للتعليل ونبين مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل واللام مع مدخولها متعلقة بخلقناكم أو اللام للصيرورة والعاقبة أي أن أفعاله هذه يتبين بها من قدرته وعلمه مالا يمكن اكتناهه أو الإحاطة به ولذلك حذف مفعول نبين ، وذلك للاستدلال بهذه القدرة على ان من قدر على بدء الخلق قادر على إعادته فلا مجال للانكار ولا مساغ للتشكك ، ونقر الواو استئنافية ونقر فعل مضارع مرفوع وفاعله مستتر تقديره نحن وفي الأرحام متعلقان بنقر وما مفعول به وجملة نشاء صلة والى أجل مسمى متعلقان بمحذوف حال وانما استأنف لأنه ليس المعنى خلقناكم لنقر ، ومسمى صفة لأجل حرف أي ممتد الوقت خروجه • (ثم نخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم) ثم حرف عطف وتراخ أيضاً ونخرجكم عطف على نقر وفاعل نخرجكم ضمير مستتر تقديره نحن والكاف مفعول به

وطفلاً حال من مفعول نخرجكم ثم لتبلغوا لا بد من تقدير فعل وهو نعمركم ، ولتبلغوا اللام للتعليـل أو الصيرورة وتبلغوا منصوب بأن مضمرة بعد اللام والواو فاعل وأشدكم مفعول به • (ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى أرذل العمر) الواو عاطفة ومنكم خبر مقدم ومن مبتدأ مؤخر وجملة يتوفى صلة ومنكم خبر مقدم ومن مبتدأ مؤخر وجملة يرد صلة والى أرذل العمـر متعلقان بيرد ، ونسب الى علي بن أبي طالب قوله أرذل العمر خمس وسبعون سنة وقيل ثمانون ، وقال قتادة تسعون والصواب انه الهرم والخرف ووصول الانسان الى مرحلة الاعياء والوهن أو يرتد إلى مرحلة الطفولة ضعيف البنية والعقـل ، بليد الفهم • (لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً) لكيلا متعلقان بيرد ويعلم منصوب بأن مضمرة بعد اللام وكي مصدرية ومن بعد علم متعلقان بمحذوف حال لأن علم بمعنى عرف وشيئاً مفعول به ليعلم • (وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزّت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج) وهذه الجملة مستأنفة مسوقة لتقرير الدليل الثاني لأن الدليل الأول منه ما هو مرئي مشاهد ومنه ما ليس كذلك فعبر عنه بالخلق أما هـذا الدليل فهو داخل في حيز النظر ومنـدرج في سلك المرئيات فلذلك عبر عنـه بقوله وترى ، والأرض مفعول به وهامدة حال من الأرض فإذا الفاء عاطفة وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وجملة أنزلنا مضافة الى الظرف وعليها متعلقان بأنزلنا والماء مفعول به وجملة اهتزت لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم وربت عطف على اهتزت وكذلك قوله وأنبتت ومن كل زوج صفة لمفعول به محذوف أي أشياء وأصنافاً كائنة من كل صنف وبهيج صفة لزوج • (ذلك بأن الله هو الحق وانه يحيي ويميت وأنه عـلى كـل شيء قدير) ذلك مبتدأ وبأن الله خبر وقيل ذلك خبر لمبتدأ محذوف أي الأمر ذلك وعندئذ تكون الباء

مع مدخولها في محل نصب على الحال وان واسمها وهو ضمير فصل أو مبتدأ والحق خبر ان أو خبر هو والمبتدأ الثاني وخبره خبر ان وانه عطف على بأن وان واسمها وجملة يحيي الموتى خبرها وانه على كل شيء قدير عطف أيضاً ولا بأس هنا بأن نورد ملاحظة لأبي حيان خلاصتها أن الباء ليست للسببية وانما هي متعلقة بمحذوف تقديره شاهد بأن وهو ينطبق على ما ذكرنا من الوجهين المتقدمين • (وان الساعة آتيةلا ريب فيها) وان الساعة خبر لمبتدأ محذوف أي والأمر أن الساعة ، وان واسمها وآتية خبرها ولا نافية للجنس وريب اسمها وفيها خبرها والجملة حالية أو خبر ثان لأن • (وأن الله يبعث من في القبور) عطف على ماتقدم وان واسمها وجملة يبعث خبرها ومن مفعول به وفي القبور متعلقان بمحذوف صلة من •

البلاغة :

في قوله تعالى « وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج » فنون لا يكاد يتسع لها صدر هذا الكتاب وسنحاول تلخيصها جهد المستطاع فأول ما فيها :

١ ـ ائتلاف الطباق والتكافؤ :

لمجيء أحد الضدين أو أحد المتقابلين حقيقة والآخر مجازاً فهمود الأرض واهتزازها ضدان لأن الهمود سكون فالاهتزاز هنا حركة خاصة وهما مجازان والربو والانبات ضدان وهما حقيقتان وإنما قلنا ذلك لأن الأرض تربو حالة نزول الماء عليها وهي لا تنبت في تلك الحالة، فإذا انقطعت مادة السماء ، وجفف الهواء رطوبة الماء خمد الربو وعادت الأرض الى حالها من الاستواء وتشققت وأنبتت فصدر الآية تكافؤ وما قابله في عجزها طباق •

٢ ـ الارداف :

وفيها مع هذين الفنين فن الارداف وهو كما ذكر قدامة في نقد الشعر أن يريد المتكلم معنى فلا يعبر عنه بلفظه الموضوع له ولا بلفظ الاشارة الدال على المعاني الكثيرة بل بلفظ هو ردف المعنى الخاص وتابعه قريب من لفظ المعنى الخاص قرب الرديف من الردف وقد تقدمت الاشارة اليه في هود ، وهنا في هذه الآية عدل عن لفظي الحركة والسكون الحقيقيين الى أردافهما من لفظي الهمود والاهتزاز لما في لفظي الارداف من الملاءمة للمعنى المراد لأن الهمود يراد به الموت ، والأرض في حال عطلها من السقي والنبات موات فكان العدول الى لفظ الهمود المعبر به عن الموت أولى من لفظ السكون والاهتزاز المجازي مشعر بالعطالة كاهتزاز الممدوح للمدح فلأجل ذلك عدل عن لفظ الحركة العام الى لفظ الحركة الخاص لما يشعر أن الارض ستعطي عند سقيها ما يرضي من نباتها بتنزل السقي لها منزلة ما يسرها فاهتزت لتشعر بالعطاء فقد ظهرت فائدة العدول الى لفظ الارداف لما يعطيه من هذه المعاني التي لا يعطيها لفظ الحقيقة .

٣ ـ التهذيب :

وقد جاء نظم هذه الآية مع ما تضمن من التكافؤ والطباق والارداف والائتلاف منعوتاً بالتهذيب لما فيه من حسن الترتيب حيث تقدم فيه لفظ الاهتزاز على لفظ الربو ولفظ الربو على الانبات لأن الماء إذ نزل على الارض فرق أجزاءها ودخل في خلالها ، وتفريق أجزاء الجواهر الجمادية هو حركتها حالة تفرق الاتصال لأن انقسام الجوهر يدل على انتقال قسميه أو أحدهما عن حيزه ولا معنى للحركة إلا هذا

فالاهتزاز يجب أن يذكر عقيب السقي كما جاء الربو بعد الاهتزاز فإن التراب إذا دخله الماء ارتفع بالنسبة الى حاله قبل ذلك وهذا هو الربو بعينه وقد تقدم شرح كون الانبات انما يكون بعد الربو وجفاف رطوبة الماء وعود التراب الى حاله وتشققه فحصل التهذيب في نظم هذه الآية بحصول حسن الترتيب واقترن بذلك حسن النسق لتقدم كل ما يجب أن يكون معطوفاً عليه على كل ما يجب أن يكون معطوفاً ٠

٤ ـ المذهب الكلامي :

وفي قوله تعالى من أول سورة الحج الى قوله « وان الله يبعث من في القبور » فن المـذهب الكلامي ففي هـذه الآيات خمس نتائج تستنتج من عشر مقدمات وسياقها مفصلة على الترتيب :

آ ـ قوله تعالى « ذلك بأن الله هو الحق » ذلك لأنه قد ثبت عندنا بالخبر المتواتر أنه سبحانه أخبر بزلزلة الساعة معظماً لها وذلك مقطوع بصحته لأنه خبر أخبر به من ثبت صدقه عمن ثبتت قدرته منقول إلينا بالتواتر فهو حق ولا يخبر بالحق عما سيكون إلا الحق فالله هو الحق ٠

ب ـ أخبر سبحانه أنه يحيي الموتى لأنه تعالى أخبر عن أهوال الساعة بما أخبر، وحصول فائدة هذا الخبر موقوفة على إحياء الموتى ليشاهدوا تلك الأهوال التي فعلها سبحانه من أجلهم وقد ثبت أنه قادر على كل شيء،ومن الاشياء إحياء الموتى فهو يحيي الموتى ٠

جـ ـ ولُخبر أنه على كل شيء قدير لأنه أخبر أنه من يتبع الشياطين ومن يجادل فيه بغير علم يذقه عذاب السعير ولايقدر على ذلك إلا من هو على كل شيء قدير،فهو على كل شيء قدير ٠

د ــ وأخبر أن الساعة آتية لاريب فيها لأنه أخبر بالخبر الصادق أنه خلق الانسان من تراب الى قوله « لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً » وضرب سبحانه لذلك مثلاً بالارض الهامدة التي ينزل عليها الماء فتهتز وتربو وتنبت من كل زوج بهيج ، ومن خلق الانسان على ما أخبر به فأوجده بالخلق ثم أعدمه بالموت ثم يعيده بالبعث وأوجد الأرض بعد العدم فأحياها بالخلق ثم أماتها بالمحل ثم أحياها بالخصب،وصدق خبره في ذلك كله بدلالة الواقع الشاهد على المتوقع الغائب حتي انقلب الخبر عياناً صدق خبره .

هـ ــ في الاتيان بالساعة ولا تأتي الساعة إلا ببعث من في القبور، إذ هي عبارة عن مدة تقوم فيها الاموات للمجازاة فالساعة آتية لا ريب فيها وهو سبحانه يبعث من في القبور .

٥ ــ المجاز :

في قوله تعالى « وتنبت من كل زوج بهيج » فقد أسند الانبات للأرض وهو مجاز عقلي لأن المنبت في الحقيقة هو الله تعالى وقد تقدم القول غير مرة في المجاز ونزيد هنا أن المجاز خلاف الحقيقة والحقيقة فعيلة بمعنى مفعولة من أحق الأمر يحقه إذا أثبته أو من حققته إذا كنت على يقين وانما سمي خلاف المجاز بذلك لأنه شيء مثبت معلوم بالدلالة والمجاز مفعل من جاز الشيء يجوزه إذا تعداه فإذا عدل باللفظ عما يوجبه أصل اللغة وصف بأنه مجاز على أنهم جازوا به موضعه الأصلي أو جاز هو مكانه الذي وضع فيه أولاً .

شرطا المجاز :

المجاز لا يكون إلا بشرطين :

آ ــ أن يكون اللفظ منقولاً عن معنى وضع اللفظ بإزائه أولاً

وبهذا يتميز عن اللفظ المشترك وعن الكذب الذي ادعي فيه أنه مجاز .

ب ـ والشرط الثاني أن يكون النقل لمناسبة بين الأصل والفرع وعلاقته ، ولأجل ذلك لا توصف الأعلام المنقولة بأنها مجاز مثال ذلك تسميتك رجلاً بالحجر ويقال ان ذلك مجاز وان كنت نقلت اسم الحجر الى الانسان إلا أنه نقل لغير مناسبة إذ لامناسبة بين حقيقة الحجر وحقيقة الانسان ومتى تحقق هذان الشرطان في لفظ كان ذلك اللفظ مجازاً .

قسما المجاز :

والمجاز مجازان : مجاز استعارة ، ومجاز حذف . والأول قائم على التشبيه لأنها جعل الشيء للشيء للمبالغة في التشبيه كقولك لقيت أسداً ، وأنت تعني أنك لقيت شجاعاً ولكن ليس فيها نقل كما تقدم وسيأتي مزيد بسط لهذا البحث،فقوله تعالى « وأنبتت من كل زوج بهيج » نقل الانبات الى الارض وجعل خضرتها ونضرتها وتعاشيبها وتعاجيب ألوانها لها والحقيقة أن كل ذلك لله .

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِيَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُۥ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ

فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُوا۟ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ ۚ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴿١٣﴾

اللغـــة :

(ثاني عطفه) : الثني : اللي وفي القاموس ثنى يثني الشيء عطفه وطواه ورد بعضه على بعض وكفه والعطف : الجانب يعطفه الانسان ويلويه ويميله عند الاعراض عن الشيء وهو تعبير يراد به التكبر .

(حرف) : طرف وسيأتي تفصيل معناه في باب البلاغة .

الاعراب :

(ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير) ومن الناس من يجادل في الله بغير علم : تقدم القول فيها مفصلاً فجدد به عهداً ، ولا هدى عطف على علم ولا كتاب منير عطف أيضاً وسيأتي القول في تكرير هذه الآية في باب البلاغـة . (ثاني عطفـه ليضل عن سبيل الله) ثاني حال من فاعل يجادل وانما نصبه على الحال والحال من شرطها أن تكون نكرة لأن إضافتـه بنية الانفصـال والتنوين مراد كالمنطوق به وعطفه مضاف وثني العطف سيأتي بحثه في باب البلاغة ،

وليضل اللام للتعليل أو للعاقبة والصيرورة ولعلها أولى لملاءمة السياق ويضل فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام والفاعل مستتر تقديره هو وعن سبيل الله متعلقان بيضل أي عن دينه . (له في الدنيا خزي ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق) له خبر مقدم وفي الدنيا حال لأنه كان صفة لخزي وتقدم على القاعدة المشهورة وخزي مبتدأ مؤخر ونذيقه الواو عاطفة ونذيقه فعل وفاعل مستتر ومفعول به ويوم القيامة ظرف متعلق وعذاب الحريق مفعول به ثان وجملة له في الدنيا حالية . (ذلك بما قدمت يداك وأن الله ليس بظلام للعبيد) ذلك مبتدأ وبما خبر وجملة قدمت صلة ويداك فاعل وان عطف على قدمت فهي في محل جر وان واسمها وجملة ليس خبرها واسم ليس مستتر تقديره هو والباء حرف جر زائد وظلام اسم مجرور لفظاً منصوب محلاً خبر ليس وللعبيد جار ومجرور متعلقان بظلام وجملة ذلك بما قدمت يداك مقول قول محذوف وجملة القول حالية . (ومن الناس من يعبد الله على حرف) الواو عاطفة أو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لبيان حال المرتابين في ايمانهم الشاكين في دينهم ومن الناس خبر مقدم ومن نكرة موصوفة وهي مبتدأ مؤخر أي موصوفة بالعبادة القلقة غير المستقرة ولا الثابتة ، فهي عرضة للاهواء يعصف بها أقل ما يحدث لهم من بلاء أو ضر وجملة يعبد الله صفة لمن وعلى حرف حال من فاعل يعبد أي مضطرباً مترجرجاً وسيأتي مزيد بيان لهذا التعبير في باب البلاغة . (فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة) فإن الفاء عاطفة وإن شرطية وأصابه فعل ماض في محل جزم فعل الشرط والهاء مفعول به وخير فاعل واطمأن فعل ماض في محل جزم جواب الشرط وبه متعلقان باطمأن وإن الواو عاطفة على إن الأولى وأصابته فتنة عطف على ما تقدم وانقلب جواب الشرط وعلى وجهه حال أيضاً وجملة خسر

الدنيا والآخرة حال أيضاً من فاعل انقلب ولك أن تجعلها جملة مستأنفة أو تبدلها من جملة انقلب على وجهه،والدنيا مفعول خسر والآخرة عطف على الدنيا • (ذلك هو الخسران المبين) ذلك مبتدأ وهو مبتدأ ثان والخسران خبر هو والجملة خبر ذلك والمبين نعت للخسران والجملة مستأنفة ولك أن تجعل هو ضمير فصل • (يدعو من دون الله ما لا يضره ولا ينفعه ذلك هو الضلال البعيد) يجوز أن تكون هذه الجملة حالاً من فاعل يعبد ويجوز أن تكون مستأنفة ويدعو فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر تقديره هو ومن دون الله حال وما اسم موصول مفعول به ولا نافية وجملة لا يضره صلة وما لا ينفعه عطف على الجملة السابقة وذلك هو الضلال البعيد تقدم اعراب نظيرتها • (يدعو لمن ضره أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير) الجملة بدل من جملة يدعو السابقة فهي بمثابة التكرير لها ولا محل لها ، ويدعو فعل مضارع واللام للابتداء أو هي موطئة للقسم ومن اسم موصول مبتدأ وضره مبتدأ ثان وأقرب من نفعه خبر ضره وجملة ضره أقرب من نفعه صلة من ، وجملة لبئس المولى خبر من ويرد على هذا الاعراب دخول لام الابتداء على الخبر وهو ضعيف من حيث القواعد النحوية إلا أن يقال أن اللام كررت للمبالغة ولك أن تجعل يدعو من أفعال القلوب متضمنة معنى يزعم لأن يزعم قول مع اعتقاد فتكون جملة لمن ضره أقرب من نفعه في محل نصب على المفعول به لأن لام الابتداء معلقة لها عن العمل أو يكون يدعو بمعنى يقول ومن مبتدأ وضره مبتدأ ثان وأقرب خبره والجملة صلة من وخبر من محذوف تقديره إله أو إلهي وموضع الجملة نصب بالقول • وجملة لبئس مستأنفة لأنها لا يصح دخولها في الحكاية لأن الكفار لا يقولون عن أصنامهم لبئس المولى ولبئس العشير ، وهناك وجه آخر مقبول وهو أن تكون اللام زائدة في المفعول به ليدعو ويؤيد

هذا الوجه قراءة عبد الله يدعو من ضره بغير لام الابتداء فمن مفعول يدعو وضره مبتدأ وأقرب خبر والجملة صلة من وقد اختار الجلال السيوطي هذا الوجه ودعمه شارحوه أما الزمخشري فهذا نص عبارته :

«استعير الضلال البعيد من ضلال من أبعد في التيه ضالاً فطالت وبعدت مسافة ضلالته فإن قلت : الضرر والنفع منفيان عن الاصنام مثبتان لها في الآيتين وهذا تناقض ؟ قلت : إذا حصل المعنى ذهب هذا الوهم وذلك ان الله تعالى سفه الكافر بأنه يعبد جماداً لا يملك ضراً ولا نفعاً وهو يعتقد فيه بجهله وضلاله أنه يستشفع به حين يستشفع به ثم قال : يوم القيامة يقول هذا الكافر بدعاء وصراخ حين يرى استضراره بالأصنام ودخوله النار بعبادتها ولا يرى أثر الشفاعة التي ادعاها له « لمن ضره أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير » أو كرر يدعو كأنه قال يدعو يدعو من دون الله مالا يضره ومالا ينفعه ثم قال: «لمن ضره» بكونه معبوداً أقرب من نفعه بكونه شفيعاً لبئس المولى وفي حرف عبد الله من ضره بغير لام » فكأن الزمخشري رحمه الله أجمل الأعاريب التي أوردناها على أن هناك أوجهاً عديدة سلكها المفسرون تربو على سبعة أوجه ولكنها كلها بعيدة عن المنطق نورد لك منها على سبيل المثال رأي الفراء قال : « إن التقدير يدعو من لضره ثم قدم اللام على موضعها » ولا يخفى مافيه من التعسف وتقديم ما في صلة الذي عليها.

وثمة رأي لا يقل عن هذا غرابة وشذوذاً وهو أن يكون ذلك بمعنى الذي في موضع نصب بيدعو أي يدعو الذي هو الضلال ولكنه قدم المفعول وهذا يتمشى على قول من جعل ذا مع غير الاستفهام بمعنى الذي مع انه منحصر في قولك ماذا ومن ذا ؟

وثمة رأي آخر أشد استحالة وهو أن يكون التقـدير ذلك هو الضلال البعيد يدعوه . فذلك مبتدأ وهو مبتدأ ثان أو بدل أو ضمير فصل والضلال خبر المبتدأ ويدعوه حال والتقدير مدعواً وهو وجـه يدعو على نفسه بالوهن كما ترى ، وإنما أوردنا هذه الآراء لنخلص الى القول إن هذه الآية من المشكلات التي شغلت علماء النحو والتفسير ولم يأتوا فيها بما ينقع الغليـل وكلام الله المعجز أسمى من أن تطالـه القواعد التي وضعها الانسان .

وبئس فعل ماض جامد لإنشاء الذم والمولى فاعل والمخصوص بالذم محذوف تقديره هو ، ولبئس العشير معطوف على قوله لبئس المولى .

إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ ﴿١٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾

اللغــة :

(المجوس) : أطلق المجوس Mages على فئة من الكهّان كان لهم الدور الخطير في الديانــة الايرانية القــديمة ولا سيما في العهــد الساساني وقد أطلق الاسم على فئات من المنجمين والعلماء ، وجاء ذكر المجوس في انجيل متى ، كانوا من رجــال علم الفلك وقــد استناروا بوحي خاص عن مجيء المسيح أتوا من منطقة لم تبعد عن فلسطين شرقاً على ما يظــن يهديهــم نجــم في الســماء الى أن وصلــوا الى بيــت لحم وقدموا للمسيح الطفل هداياهم وقد ذكر التقليــد الشعبي أنهم كانوا ثلاثة ومن سلالــة ملوكية ، وأطلق العرب المجوس عــلى قرصان انورمان والسكندينافيين الذين حاولوا في القرون الوسطى اقتحــام السواحل والحدود في بلاد الغرب الاسلامي ، هذا وقد اختلف أهل العلم في المجوس فقيل هم قوم يعبدون النار وقيل الشمس وقيل هم القائلون بأن للعالم أصلين النور والظلمة ، وقيل : هم قوم يستعملون النجاسات والأصل نجوس فأبدلت الميم نوناً ، هذا وقد تقدم تفسير ألفاظ هذه الآية إلا المجوس .

الاعراب :

(إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار إن الله يفعل ما يريد) ان واسمها وجملة يدخل خبر والذين مفعول به وجملة عملوا الصالحات عطف على آمنوا والجملة مستأنفة مسوقة لتقرير مصير المؤمنين الذين يعملون الصالحات ،وجنات مفعول به ثان على السعة أو نصب بنزع الخافض وجملة تجري من تحتها الأنهار صفة لجنات وجملة إن الله يفعل ما يريد مستأنفة لتعليل ما تقدم وان

واسمها وجملة يفعل خبر وفاعل يفعل مستتر تقديره هو وما مفعول به وجملة يريد صلة . (من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة) من شرطية مبتدأ أو موصولة فتكون الفاء فيما بعد رابطة للتشبيه بالشرط والأول أرجح ، وكان فعل ماض ناقص واسمها مستتر يعود على من وجملة يظن خبر وفاعل يظن مستتر يعود على من وأن مخففة من الثقيلة واسمها محذوف ضمير الشأن وجملة لن ينصره الله خبرها وان وما بعدها سدت مسد مفعولي يظن وفي الدنيا متعلقان بينصره والآخرة عطف على الدنيا . (فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ) الفاء رابطة لجواب الشرط واللام لام الأمر ويمدد فعل مضارع مجزوم بلام الأمر والفاعل مستتر تقديره هو وبسبب متعلقان بيمدد والى السماء صفة لسبب والمراد بالسماء سقف البيت ، ثم ليقطع عطف على فليمدد وهل حرف استفهام ويذهبن فعل مضارع مبني على الفتح وكيده مفعول به وما يغيظ فاعل يذهبن وجملة يغيظ صلة وجملة هل يذهبن في موضع نصب بينظر وسيأتي تفصيل واف لهذه الآية في باب البلاغة . (وكذلك أنزلناه آيات بينات وأن الله يهدي من يريد) الواو عاطفة وكذلك نعت لمصدر محذوف وأنزلناه فعل وفاعل ومفعول به وآيات حال من الهاء وبينات صفة وأن الله عطف على هاء أنزلناه والمعنى وأنزلنا أن الله يهدي من يريد هدايته ولك أن تجعل الواو للحال وأن وما في حيزها في محل رفع لمبتدأ مضمر أي والأمر أن الله يهدي من يريد وأن واسمها وجملة يهدي خبرها ومن مفعول يهدي وجملة يريد صلة من . (إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا) ان واسمها وجملة آمنوا صلة وما بعده عطف على الذين والجملة ابتدائية . (إن الله يفصل بينهم يوم القيامة) إن الثانية واسمها وخبرها في محل رفع خبر ان الاولى وسيأتي السر في تصدير الجملتين

بإنَّ أو تجعل الثانية تأكيداً للأولى ، ويكون قوله : (إن الله على كل شيء شهيد) هو الخبر ، وإن واسمها وعلى كل شيء متعلقان بشهيد وشهيد خبر إن وقيل الخبر محذوف تقديره معترفون أو نحو ذلك وما ذكر تفسير له .

البلاغة :

١ ـ الايجاز والتمثيل :

في قوله تعالى « من كان يظن أن لن ينصره الله » الى قوله « ما يغيظ » الايجاز والتمثيل فأما الايجاز فلأن معناه من كان يظن من حاسدي محمد ومبغضيه أن الله لن ينصره وانه يفعل شيئاً مغايراً للنصر ومن كان يغيظه أن محمداً يظفر بمطلوبه ويبلغ ما هدف اليه من المثل العليا التي رسمناها له فليستقص وسعه وليستفرغ جهده ، فلن يكون مثله إلا مثل من يأخذ حبلاً يمده الى سماء بيته فيخنق نفسه به ثم بعد ذلك كله ليعد النظر والتأمل مجدداً ليرى هل ذهب نصر الله الذي يغيظه ويقض مضجعه ، وهل ذهب عنه ما كان يساوره من حرقة وارتماض ؟ وسمي الاختناق قطعاً لأن المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه ومنه قيل للبهر القطع والبهر تتابع النفس ، وقال الجوهري في الصحاح : « وقوله تعالى : ثم ليقطع قالوا ليختنق لأن المختنق يمد السبب الى السقف ثم يقطع نفسه من الأرض حتى يختنق تقول منه : قطع الرجل أي اختنق ولبن قاطع أي حامض » قلت والعامة تستعمل هذا التعبير فيما يذهب خيره ويبلى وهو عربي فصيح . وسمي هذا الفعل كيداً لأنه وضعه موضعه إما لأنه لا يستطيع سواه ولا يملك غيره وإما على سبيل

الاستهزاء وقد توسع المفسرون في هذه الآية وذهبوا بها مذاهب شتى فقالوا : « ويجوز أن يراد فليمد حبلاً الى السماء المظلة وليصعد عليه ثم ليقطع الوحي » وقال آخرون « النصر هو الرزق وأن الأرزاق بيد الله لا تنال إلا بمشيئته ولا بد للعبد من الرضا بقسمته فمن ظن أن الله غير رازقه وليس به صبر ولا استسلام فليبلغ غاية الجزع وهو الاختناق فإن ذلك لا يقلب القسمة ولا يرده مرزوقاً » وقيل غير ذلك وما ذكرناه أولى وأوفى بالمراد وهو ما يخالج كل حاسد وما يقال لكل من يعترض على ما ليس في طوقه ولا داخل في نطاق ارادته تقول له اشرب البحر ، أو اقتل نفسك فليس لك حيلة في تبديل ما هو واقع راهن وارادة الله أقوى .

٢ ـ تصدير الجملتين بان :

وفي تصدير الجملتين بإن زيادة في تأكيد الكلام وقد رمقه الشعراء في أشعارهم ، قال جرير :

إن الخليفة إن الله سربله . سربال ملك به تزجى الخواتيم

فقوله إن الله سربله خبر ان الاولى وكررها لتوكيد التوكيد وسربله كساه بالملك الشبيه بالسربال ويروى لباس ملك وقوله به أي بذلك اللباس أو الملك تزجى أي تساق الخواتيم جمع خاتم بالفتح والكسر والأصل خواتم فزيدت الباء والمراد بها عواقب الأمور الحميدة ومغابها وقال أبو حيان : « يحتمل أن خبر إن قوله به تزجى الخواتيم وجملة إن الله سربله اعتراضية » ويروى ترجى بالراء المهملة .

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿١٨﴾ ۩ * هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾

اللغـــة :

(الدوابّ) : جمـع دابة بتشديد الباء لأنه مشتق من الدبيب فأما من قرأ بتخفيف الباء فقد حذفها كراهية التضعيف والدابة مؤنث الدابّ ما دبّ من الحيوان أي مشى كالحية أو على اليدين والرجلين كالطفل وغلبت الدابة عـلى ما يركب ويحمـل عليه وتقع على المذكر والمؤنث والتاء فيـه للوحدة وتصغير الدابة دويّبة والدباب الشديد الدبيب ، والضعيف الذي يدب في المشي قال :

زعمتني شيخاً ولست بشيخ إنما الشيخ من يدبّ دبيبا

والدبابة مؤنث الدباب وسميت بها آلة كانت في الماضي تتخذ في الحصار وكانوا يدخلون في جوفها ثم تدفع في أصل الحصن فينقبونه وهم في أجوافها ثم أطلقت في العصر الحديث على سيارة مصفحة تهجم على صفوف الاعداء وترمى منها القذائف .

(الحميم) : الماء البالغ نهاية الحرارة واستحمّ الرجل : اغتسل واستحمّ دخل الحمام وبض حميمه أي عرقه ويقال للمستحم طابت حِمّتك وحميمك وانما يطيب العرق على المعافى ويخبث على المبتلى ، فمعناه أصح الله جسمك وهو من باب الكناية وسخن الماء بالمِحَمّ وهو القمقم أو المرجل ومثل العالم كمثل الحَمّة وهي العين الحارّة وذابوا ذوب الحمّ وهو ما اصطهرْتَ إهالته من الألية وحمى الرجل حمًّى شديدة وهو محموم ، وهو حميمي وهي حميمتي أي وديدي ووديدتي وهم أحمّائي وتقول المرأة : هم أحمْائي وليسوا بأحِمّائي ، وعرف ذلك العامة والحامّة أي الخاصة وهو مولاي الأحم أي الأخص والأحب قال :

وكميت مولاي الأحم جريرتي وحبست سائمتي على ذي الخلّة

وحُمَّ الأمر قضي وحُمَّ حمامه ونزل به القدر المحموم والقضاء المحتوم .

(يصهر) : يذاب يقال صهرت الشحم من باب قطع إذا أذبته والصهارة الألية المذابة وصهرته الشمس أذابته وفي الحديث « إن الحميم ليصب من فوق رؤوسهم فينفذ من جمجمة أحدهم حتى

يخلص الى جوفه فيسلب مافي جوفه حتى يمرق من قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان » .

(مقامع) : جمع مقمعة بكسر الميم لأنها آلة القمع يقال قمعه يقمعه من باب قطع إذا ضربه بشيء يزجره به ويذله والمقمعة المطرقة وقيل : السوط وفي الأساس : « **قمع خصمه قهره وأذله فانقمع وتقمع** والناس على باب القاضي متقمّعون وانقمع في بيته وتقمع : جلس وحده وقمعته بالمقمع والمقمعة وبالمقامع وهي الجِرزة ، وتقمّعت الدواب ذبّبت عن رءوسها القَمَع وهي ذِبّان كبار زُرق من ذبان الكلأ التي تغنى الواحدة قمعة ، وأنشد الجاحظ :

كأنّ مَشَافِرَ النَجَداتِ منها
إذا ما مسّها قَمَعُ الذباب
بأيدي مأتم متساعدات
نِعال السبت أو عَذَب الثياب

من النجد : العرق ، وقال أوس :

ألم تر أن الله أرسل مُزْنَةً
وعُفْرُ الظّباء في الكِناس تَقَمّعُ

وهم يكللون الجفان بالقَمَع جمع قمعة وهي أعلى السنام ، ومن المجاز « ويل لأقماع القول » وهم الذين يسمعون ولا يعون وفلان قَمعُ الأخبار يتتبّعها ويتحدّث بها وتقول : ما لكم أسماع ، إنما هي

أقماع » وفي القاموس وشرحه « والقمع أيضاً بتثليث القاف آلة توضع فوق الاناء فتصب فيه السوائل وجمعه أقماع » .

وللقاف مع الميم خاصة عجيبة وهي أنهما إذا اجتمعتا فاء وعيناً للكلمة دلت على القهر والاذلال والغلبة تقول : قمؤ الرجل قماءة وقمأ قمأً إذا ذل وصغر في الأعين وهو صاغر قميء وأقمأ الرجل أذله ، وقمحت السويق وغيره بكسر الميم واقتحمته إذا أخذته في راحتك الى فيك ومنه القمح وهو الحب الذي يطحن ويتخذ منه الخبز وشهر أقماح أشد أشهر الشتاء برداً ، قال الهذلي :

فتىً ما ابن الأغر إذا شتونا وحبُّ الزاد في شهريْ قماح

ومن المجاز : أقمح المغلول فهو مقمح إذا لم يتركه عمود الغل الذي ينخس ذقنه أن يطأطىء رأسه « فهم مقمحون » وقمر الرجل غلبه وسلبه ماله وقمر الرجل بكسر الميم تحير بصره من الثلج وكأن القمر سمي بذلك لأنه متحير في سمائه ، وقمز الشيء جمعه وأخذه بأطراف أصابعه ، وقمسه في الماء غمسه وغرق في قاموس البحر : في قعره الأقصى وشبه القاموس بأعماق البحار لاشتماله على الكثير من مفردات اللغة وهو اسم لكتاب الفيروزبادي في اللغة ويطلق في زماننا على كل كتاب في اللغة فهو يرادف كلمة معجم وليس ذلك بعيداً ، وقمص يقمص بكسر الميم وضمها في المضارع قماصاً بالكسر كالنفار والشراد وتقامص الصبيان وبينهم مقامصة وقمص الفرس رفع يديه معاً وطرحهما معاً وعجن برجليه وتقمص مطاوع قمص لبس القميص ويقال على الاستعارة تقمص الولاية والإمارة وتقمصت الروح انتقلت من جسد الى جسد آخر على زعم بعضهم ومنه القميص وهو ما يلبس ، وقمط الأسير جمع

بين يديه ورجليه بالحبل وهو القِماط وقمط الصبي بقماطة وهي الخرقة التي تلف عليه في المهـــد والعامة تستعمله كثـيراً وهو عربي فصيح والقمّاط اللص وقمط الطائر اتاه والرجل امرأته فعـل بها ، وقمقم ما على المائدة تتبع ما عليها وجمعه ، وقمـل رأسه صار ذا قمل يَقْمَلُه ، وقمّ الشيء يقمه بضم القاف استأصله وقممه جففه ، والقمن بفتحتين الجدير بالأمر كأنه يغلبه ويتحكم به ويكون بلفظ واحـد مع المذكر والمؤنث والمفرد والمثنى والجمع ويقال : هذا المنزل لك موطن قمن أي جدير بأن تسكنه ، وقمه البعير يقمه قموهاً رفع رأسه فلم يشرب الماء كأن شيئاً غلبه وهذا من الغريب بمكان •

الاعراب :

﴿ ألـم تر أن الله يسجد لـه من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجـوم والجبال والشجر والـدواب ﴾ : الهمزة للاستفهـام التقريري ولم حرف نفي وقلب وجزم وتر فعـل مضارع مجزوم بلم والفاعل مستتر تقديره أنت والرؤية هنا علمية وذلك لأن رؤية سجود هذه الأمور إنما تتأتى عن طريق العقل لا عن طريق البصر وأن ومافي حيزها سدت مسد مفعولي تر وأن واسمها وجملة يسجد لخبرها وله متعلقان بيسجد ومن فاعل وفي السموات ومن في الأرض متعلقان بمحذوف صلة الموصول والشمس وما بعدها عطف خاص على قوله من في السموات ومن في الأرض ونص على هذه الأمور لما ورد من أن بعضهـم كان يعبدها ، والسجود يشمل الملائكة والآدميـين والجبال والشجر والدواب وغـيرها وأفرد الشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب بالذكر لشهرتها واستبعاد السجود منها •

(وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب) شغلت هذه الآية المفسرين والمعربين كثيراً فمن منع استعمال المشترك في معنييه الحقيقي والمجازي لم ينظم كثيراً في المفردات المتناسقة الداخلة تحت حكم الفعل وجعله مرفوعاً بفعل مضمر يدل عليه قوله يسجد أي ويسجد له كثير من الناس سجود طاعة وعبادة وذلك أن السجود المسند لغير العقلاء غير السجود المسند للعقلاء فلا يسوغ عطفه عندهم على ما قبله لاختلاف الفعل المسند اليهما في المعنى فسجود العقلاء هو الكيفية المخصوصة المعرفة وسجود غير العقلاء هو الاذعان والطاعة وأما الذين أجازوا استعمال المشترك في معنييه الحقيقي والمجازي فهم ينسقونه على ما تقدم ولهم في تبرير ذلك تأويلات ثلاثة وهي :

آ ــ ان المراد بالسجود هو المعنى العام المشترك بين العقلاء وغيرهم وهو الخضوع والاذعان فيكون الاشتراك معنوياً .

ب ــ انه لا يمنع الاشتراك اللفظي وقد يشترك المجاز والحقيقة .

جـ ــ انه يجوز الجمع بين المجاز والحقيقة وسيأتي مزيد بسط لهذا الموضوع في باب البلاغة .

ووقف فريق من المعربين موقفاً ثالثاً فلم يرفعوه بفعل مضمر لأن حذف فعل الفاعل غير وارد عندهم ولم ينسقوه على ما تقدم بل أعربوه مبتدأ وخبره محذوف تقديره مطيعون أو مجزيون أو مثابون أو نحو ذلك،ومن الناس صفة كثير وكثير حق عليه العذاب عطف على سابقه .
(ومن يُهن اللهُ فماله من مكرم إن الله يفعل ما يشاء) الواو استئنافية أو عاطفة ومن شرطية في محل نصب مفعول به مقدم ليهن والله فاعل وما نافية وله خبر مقدم ومن حرف جر زائد ومكرم مجرور بمن لفظاً

مبتدأ مرفوع محلاً وإن واسمها وجملة يفعل خبرها والجملة تعليلية .
(هذان خصمان اختصموا في ربهم) الجملة مستأنفة مسوقة لسرد قصة
المتبارزين يوم بدر وهم حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث وعتبة وشيبة
ابنا ربيعة والوليد بن عتبة وقيل هم المختصمون من أهل الكتاب
والمسلمين في دين الله وهذان مبتدأ وخصمان خبره وجملة اختصموا
صفة لخصمان ولك أن تجعل الجملة خبراً وخصمان بدل من هذان
وفي ربهم متعلقان باختصموا وهو على حذف مضاف أي في دينه وقال
خصمان ثم جمع الفعل لأن الخصم في الأصل مصدر ولذلك يوحّد
ويذكر غالباً ويجوز أن يثنى ويجمع أو الجمع مراعاة للمعنى لأن
المتخاصمين كانوا فرقاً شتى وطوائف كثيرة . (فالذين كفروا قطعت
لهم ثياب من نار يصب من فوق رءوسهم الحميم) الفاء عاطفة والذين
مبتدأ وجملة كفروا صلة وجملة قطعت خبر ولهم متعلقان بقطعت
وثياب نائب فاعل ومن نار صفة لثياب وسيأتي تفصيل معنى الثياب هنا
في باب البلاغة وجملة يصب خبر ثان لاسم الموصول أو حالية من
الضمير في لهم أو تجعلها مستأنفة ويصب فعل مضارع مبني للمجهول
ومن فوق رءوسهم متعلقان بيصب والحميم نائب فاعل . (يصهر به
مافي بطونهم والجلود) جملة يصهر حالية من الحميم وهو بالبناء
للمجهول وبه متعلقان به وما نائب فاعل وفي بطونهم متعلقان بمحذوف
صلة ما والجلود عطف على ما واختار بعضهم أن يكون الجلود مرفوعاً
بفعل مضمر أي وتحرق الجلود قالوا لأن الجلود لا تذاب وانما تنقبض
إذا صليت بالنار فهو من باب : علفتها تبناً وماء بارداً أي وسقيتها ماء
لأن الماء لا يكون علفاً . (ولهم مقامع من حديد) الواو عاطفة ولهم
خبر مقدم ومقامع مبتدأ مؤخر ومن حديد صفة لمقامع واختلف في عودة
الضمير في لهم فقيل يعود على الذين كفروا واللام للاستحقاق ، وقيل

يعود على أعوان جهنم أي الزبانية ولـم يتقـدم لهم ذكر ولكن سياق الكلام يدل عليه • (كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق) كلما ظرف متضمن معنى الشرط وقد تقدم كثيراً وأرادوا فعل وفاعل وأن وما بعدها في تأويل مصدر مفعول بـه لأرادوا ومنها متعلقان بيخرجوا ومن غم بدل من الجار والمجرور قبله بدل اشتمال لأنها تشمل عليه ويجوز أن تكون من للتعليـل فتتعلق بيخرجوا أيضاً أي يخرجوا من النار من أجل الغم الذي لحق بهم وجملة أعيدوا لا محل لها لأنها جواب كلما وفيهـا متعلقان بأعيدوا والواو حرف عطف والمعطوف محذوف تقديره وقيل لهم وجملة ذوقوا عذاب الحريق مقول القول المحذوف •

البلاغـة :

١ ـ الحقيقة والمجاز :

الحقيقة هي اللفظ الدال عـلى موضعه الأصلي وأما المجـاز فهو ما أريد به غير المعنى الموضوع في أصل اللغة كما تقدم وقد وعدناك أن نقول قولاً شافياً في جواز الجمع بين الحقيقة والمجاز فالواقع أن كل مجاز له حقيقة لأنه لم يصح أن يطلق عليه اسم المجاز إلا لنقله عن حقيقة موضوعة له ، وبديه أن المخلوقات كلها تفتقر الى أسماء يستدل بها عليها ليعرف كل منها باسمه من أجل التفاهم الذي لا بد منه فالاسم الموضوع بازاء المسمى هو حقيقـة له فاذا نقل الى غـيره صار مجازاً والفرق الدقيق بينهما هو أن الحقيقة جارية على العموم في نظائر ألا ترى أنا إذا قلنا فلان « عالم » صدق على كل ذي علم بخلاف «واسأل القرية» لأنه لا يصـح إلا في بعض الجمادات دون بعض إذ المراد أهـل القرية

لأنهم ممن يصح السؤال لهم ولا يجوز أن يقال واسأل الحجر والتراب وقد يحسن أن يقال واسأل الربع والطلل قال الأعشى :

ألم تسأل الربـع القواء فينطق وهل تخبرنك اليوم بيداء سملق

٢ ـ الاستعارة التمثيلية في قطعت لهم ثياب :

في قوله تعالى : « قطعت لهم ثياب من نار » استعارة تمثيلية جعل تقطيع الثياب وتفصيلها على قدود الكفار بمثابة الاحاطة بهم مع التهكم الـذي ينطوي عليه أي أنها تشتملهـم وتحتويهم كما تشتمل الثياب لابسها وتحتويه أما الروعة فهي كامنة في قوله « يصب فوق رءوسهم الحميم » وهو ما يسمى بالارداف فإن الثياب تشمل جميع الجسد غير الرأس ، أفرد الرؤوس بالذكر بقوله : يصب •

إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾ وَهُدُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَـٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَـٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾

الاعراب :

(إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار) تقدم إعراب نظيرها فجدد به عهداً . (يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها من حرير) يحلون فعل مضارع مبني للمجهول والواو نائب فاعل وفيها متعلقان بيحلون ومن أساور اضطربت أقوال المعربين فيها كما استشهد بها جميع النحويين على مجيء من لبيان الجنس وهي قوله من ذهب وعلامتها أن يصح الإخبار بما بعدها عما قبلها فتقول الأساور هي من ذهب ، ومن البيانية ومجرورها في موضع نصب على الحال مما قبلها إن كان معرفة كقوله تعالى « فاجتنبوا الرجس من الأوثان » وفي موضع النعت كقوله من ذهب ، ولم أر بينهم جميعاً من تعرض لإعراب من أساور إلا بقول مبهم لا يبل أواماً ولا يشفي غليلاً ولعل أقرب ما أراه فيها أن تكون نعتاً لمفعول محذوف أي حلياً ناشئاً من أساور كائنة من ذهب ، واكتفى ابن هشام بقوله هي للابتداء وقال أبو البقاء مثل قولنا ولم يتعرض الزمخشري لها وقال شهاب الدين الحلبي « وقوله من أساور من ذهب ، في من الأولى ثلاثة أوجه أحدها أنها زائدة والثاني أنها للتبعيض أي بعض أساور والثالث أنها لبيان الجنس ومن في من ذهب لابتداء الغاية وهي نعت لأساور » وقوله متهافت متدافع كما ترى .

ولؤلؤاً عطف على محل من أساور لأن محلها النصب ، كذا قال المعربون ولكن الزمخشري لم يرتض هذا القول فجعلها منصوبة بفعل محذوف تقديره ويؤتون لؤلؤاً ، وجملة يحلون حالية أو خبر ثان لإن ولباسهم الواو عاطفة ولباسهم مبتدأ وفيها حال وحرير خبر . وفي هذا العدول عن الفعلية الى الاسمية دلالة على الديمومة حيث لم يقل ويلبسون حريراً فقد دل على أن الحرير ثيابهم المعتادة والدائمة في

الجنة كما أن فيه رعاية للمحافظة على الفواصل لأنه لو قال ويلبسون حريراً لكان في آخر الفاصلة الألف في الكتابة والوقف بخلاف البقية (وهدوا الى الطيب من القول وهدوا الى صراط الحميد) الواو عاطفة وهدوا فعل ماض مبني للمجهول والواو نائب فاعل والى الطيب متعلقان بهدوا ومن القول متعلقان بمحذوف حال من الضمير المستكن في الطيب وهدوا الى صراط الحميد عطف على الجملة السابقة أي الى طريق الله المحمود ودينه القويم • (إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد) إن واسمها وجملة كفروا صلة والجملة مستأنفة ويصدون الواو حرف عطف ويصدون عطف على كفروا وفي عطفه على الماضي تأويلات أولها أن لا يقصد بالمضارع الدلالة على زمن معين من حال أو استقبال وإنما يراد به مجرد الاستمرار ومثله « الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله » أو انه مؤول بالماضي لعطفه على الماضي أو انه على بابه وان الماضي قبله مؤول بالمستقبل وقد أجاز أبو البقاء وغيره أن تكون الواو حالية والجملة في محل نصب على الحال من فاعل كفروا وهو قول متهافت لأنه مضارع مثبت وما كان كذلك لا تدخل عليه الواو وما ورد منه على قلته مؤول فلا يسوغ حمل القرآن عليه وعن سبيل الله متعلقان بيصدون والمسجد الحرام عطف على سبيل الله والذي صفة ثانية للمسجد وجملة جعلناه صلة ونا فاعل والهاء مفعول به أول وللناس حال لأنه كان صفة وتقدم ، وسواء مفعول به ثان ان كانت جعل متعدية لاثنين وان كانت متعدية لواحد أعربت سواء حالاً من هاء جعلناه والعاكف فاعل سواء لأنه مصدر وصف فهو في قوة اسم الفاعل المشتق أي بمعنى مستو أي جعلناه مستوياً فيه العاكف أي المقيم ، والباد بحذف الياء تبعاً لرسم المصحف معطوف على العاكف ومعناه الطارىء ، وقد انفرد حفص بقراءة النصب في سواء والجمهور على رفعها على انه

خبر مقدم والعاكف والباد مبتدأ مؤخر والجملة في محل نصب مفعول به ثان أو حال وخبر إن محذوف تقديره خسروا أو هلكوا أو نحو ذلك وقدره الزمخشري نذيقهم من عذاب أليم واعترض عليه بأنه يكون بعد المسجد الحرام وفيه فصل بين الصفة والموصوف • (ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم) الواو عاطفة ومن اسم شرط جازم مبتدأ ويرد فعل الشرط وفيه متعلقان بيرد ومفعول يرد محذوف ليتناول كل ما يمكن تناوله وبإلحاد حال وبظلم حال أيضاً فهما حالان مترادفتان كأنه قال ومن يرد فيه مراداً عادلاً عن القصد ظالماً وهذا أولى من تقدير زيادة الباء في إلحاد وجعله هو المفعول ، قال أبو عبيدة : « مفعول يرد هو بإلحاد والباء زائدة في المفعول قال الأعشى : ضمنت برزق عيالنا أرماحنا أي رزق» وقال أبو حيان : « والأحسن أن يضمن معنى يرد يلتبس فيتعدى بالباء» ونذقه جواب الشرط والفاعل مستتر تقديره نحن والهاء مفعول به ومن عذاب متعلقان بنذقه وأليم صفة وقدر أبو حيان الخبر مستنتجاً من قوله نذقه ، وهو إعراب تفسيري لا صناعي فالأولى أن يقدر تقديراً أي نذيقهم عذاباً أليماً •

وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٣٦﴾ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٣٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَـٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَـٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَـٰمِ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٣٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٩﴾

اللغـــة :

(رجالاً) : مشاة جمع راجل كقائم وقيام يقال رجل يرجل بفتح انجيم رجلاً بفتحتين : سار على رجليه لا راكبا ، ويقال هذا رجل أي كامل في الرجال بين الرَّجولية والرُّجولية وهذا أرجل الرجلين وهو راجِل ورجِل بين الرُّجْلة وحملك الله عن الرُّجلة ومن الرُّجلة وقومٌ رُجّال ورِجال ورجّالة ورجْل ورَجْلى ورُجالى وأراجيل وترجلوا في القتال نزلوا عن دوابهم للمنازلة ورآه فترجل له ورجل أرْجَل عظيم الرجل ورجل رجيل وذو رُجلة مشّاء .

(ضامر) : في المختار ضمر الفرس من باب دخل وضمر أيضاً بالضم ضُمراً بوزن قفل فهو ضامر ، وناقة ضامر وضامرة وتضمير الفرس أيضاً أن تعلفه حتى يسمن ثم ترده الى القوت وذلك في أربعين يوماً . والبعير يطلق على الجمل والناقة .

(فج) : الفج بفتح الفاء ويجمع على فجاج بكسر الفاء والفجاج بضم الفاء : الطريق الواسع الواضح بين الجبلين .

(تفثهم) : أوساخهم وقضاء التفث المراد به قص الأظافر ونتف الإبط وفي المصبـاح : تفث تفثاً فهو تفث مثل تعب تعباً فهو تعب إذا ترك الأدهان والاستحداد فعلاه الوسخ وقولــه تعالى : « ثم ليقضوا تفثهم » قيل هو استباحة ما حرم عليهم بالاحرام بعد التحلل » وقال غـيره : « التفث قيل أصله من التف وهو وسخ الأظفـار قلبت الفاء كمعثور في مغفور وقيل هو الوسخ والقذر يقال : ما تفثك ؟ وحكى قطرب : تفث الرجل إذا كثر وسخه في سفره ومعنى ليقضوا ليصنعوا ما يصنعه المحرم من ازالة شعر وشعث ونحوهما عند حله » .

الاعراب :

(وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشركْ بي شيئاً) الواو استئنافية والظرف متعلق بمحذوف تقديره اذكر وجملة بوأنا مضافة اليها الظرف وبوأنا فعل وفاعل ولابراهيم متعلقان ببوأنا ومكان البيت مفعول بوأنا واختار أبو البقاء وغيره أن تكون اللام زائدة أي أنزلناه مكان البيت والدليل عليه قوله تعالى « ولقد بوأنا بني اسرائيل » اما على الاول فيكون معنى بوأنا هيأنا وإن هي المفسرة لأنها واقعة بعد قول مقدر أي قائلين له لا تشرك ولا ناهية وتشرك فعل مضارع مجزوم بلا الناهية وقيل هي مصدرية فعلنا ذلك لئلا تشرك وجعل النهي صلة لها وبي متعلقان بتشرك وشيئاً مفعول تشرك ، وعبارة أبي حيان : وأن مخففة من الثقيلة قاله ابن عطية والأصل أن يليها فعل تحقيق أو ترجيح كحالها إذا كانت مشددة أو حرف تفسير قاله الزمخشري وابن عطية وشرطها أن يتقدمها جملة في معنى القول وبوأنا ليس فيه معنى القول والأولى عندي أن تكون أن الناصبة للمضارع إذ يليها الفعل المتصرف من ماض ومضارع وأمر والنهي كالأمر • (وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود) وطهر الواو عاطفة وطهر فعل أمر فاعله مستتر تقديره أنت وبيتي مفعول طهر وللطائفين متعلق بطهر والقائمين والركع عطف على ما تقدم والسجود صفة للركع والأولى أن تجعل الكلمتين بمثابة الكلمة الواحدة لأنهما عملان في عمل واحد وهو الصلاة • (وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق)وأذن فعل أمر أي ناد بدعوةالحج والأمر به والخطاب لابراهيم كما يقتضيه السياق وعليه المفسرون جميعاً وعن الحسن انه خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أن يفعل ذلك في حجة الوداع

وهو أقوى من جهة التشريع ، وفي الناس متعلقان بأذن وبالحج متعلقان بمحذوف حال أي معلناً ويأتوك مضارع مجزوم لأنه وقع جواباً للطلب والواو فاعل والكاف مفعول به ورجالاً حال وعلى كل ضامر عطف على رجالاً أي مشاة وركباناً ويأتين فعل مضارع مبني على السكون لاتصاله بنون النسوة والنون فاعل وجملة يأتين صفة لكل ضامر لأنه في معنى الجمع وقرىء يأتون صفة للرجال والركبان ومن كل فج متعلقان بيأتين وعميق صفة لفج . ﴿ ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات ﴾ اللام للتعليل ويشهدوا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعدها وهي متعلقة مع مجرورها بيأتوك أو بأذّن ومنافع مفعول به ولهم صفة لمنافع ويذكروا عطف على يشهدوا والواو فاعل واسم الله مفعول به وفي أيام متعلقان بيذكروا ومعلومات صفة لأيام وسيأتي ذكر هذه الأيام في باب الفوائد . ﴿ على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير ﴾ على ما رزقهم متعلقان بيذكروا أيضاً ومعنى على هنا التعليل ومثله قوله تعالى « ولتكبروا الله على ما هداكم » وقول الشاعر :

علام تقول الرمح يثقل عاتقي إذا أنا لم أطعن إذا الخيل كرت

ومن بهيمة الأنعام متعلقان برزقهم ، فكلوا الفاء الفصيحة وكلوا فعل أمر وفاعل ومنها متعلقان بكلوا وأطعموا عطف على كلوا والبائس مفعول به والفقير صفة . ﴿ ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق ﴾ ثم حرف عطف واللام لام الأمر وسيأتي بحث مفيد عنها في باب الفوائد ويقضوا مضارع مجزوم بلام الأمر وتفثهم مفعول به وليوفوا نذورهم عطف على يقضوا تفثهم وليطوفوا بالبيت العتيق عطف أيضاً وبالبيت متعلقان بيطوفوا والعتيق صفة للبيت وسيأتي السر في تسميته بالعتيق في باب الفوائد .

الفوائـد :

١ ـ لام الأمر :

لام الأمر ويسميها النحاة اللام الطلبية سواء أكانت أمر أم دعاء فالأول نحو « لينفق ذو سعة من سعته » والثاني نحو « ليقض علينا ربك » وتكون للالتماس ، فالأمر من الأعلى والدعاء من الأدنى والالتماس من المساوي ، ولام الأمر مكسورة إلا إذا وقعت بعد الواو والفاء فالاكثر تسكينها نحو « فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي » وقد تسكن بعد ثم ، وتدخل لام الأمر على فعل الغائب معلوماً ومجهولاً وعلى المخاطب والمتكلم المجهولين •

٢ ـ لماذا سمي البيت العتيق :

اختلف المفسرون في هذه التسمية فرجح الزمخشري انه القديم لأنه أول بيت وضع للناس ، وقال ابن عباس : سمي عتيقاً لأن الله أعتقه من تسلط الجبابرة عليه فكم من جبار سار اليه ليهدمه فمنعه الله ، وقال الزمخشري في تأييد هذا الوجه « فإن قلت : قد تسلط عليه الحجاج فلم يمنع ؟ قلت : ما قصد التسلّط على البيت وانما تحصن به ابن الزبير فاحتال لاخراجه ثم بناه ولما قصد التسلط عليه أبرهة فعل به ما فعل » كما سيأتي ، وقيل بيت كريم من قولهم عتاق الخيل والطير •

ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ

وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾

اللغـــة :

(حرمات الله) : الحرمات بضمتين ويقال في الجمع أيضاً حرمات بضم ففتح وحرم بضم ففتح جمع حرمة بضم فسكون وحرمة بضمتين وحرمة بضم ففتح وهي الذمة والمهابة وما وجب القيام به من حقوق الله وحرم التفريط به ومالا يحل انتهاكه وتفاصيل الحرمات تؤخذ من كتب الفقـــه .

(الرجس) : بتشديد الراء المكسورة وسكون الجيم والرَّجَس بتشديد الراء المفتوحة وفتح الجيم والرجس بتشديد الراء المفتوحـة وكسر الجيم : **القذر والأوساخ وسمي الأوثان رجساً على طريق التشبيه لأنها قذر معنوي .**

(الزور) : الشرك بالله والباطل والكذب ومن معانيه أيضاً العقل والقوة يقال ماله زور ولا صَيّور أي لا قوة له ولا مرجع اليه والرأي والسيد والزعيم ولذة الطعام وطيبه ولين الثوب وتقاؤه ومجلس الغناء وهو من الزور أو الازورار وهو الانحراف وفي الاساس « وكلمة زوراء دنية معوجة ومنارة زوراء : مائلة عن السمت ورمى بالزوراء : بالقوس

وفلاة زوراء وهو أزور عن مقام الذل وتقول : قوم عن مواقف الحق زور ، فعلهم رياء وقولهم زور ، ومالكم تعبدون الزور وهو كل ما عبد من دون الله وأنا أُزيركم ثنائي وأزرتكم قصائدي » هـذا وقد نظم بعضهم معاني هذه المادة بالأبيات التالية :

الصّدر والزائرُ فهو زَوْرُ وكـلُّ زوار النسـاء زير
في جمع أزور يقـال زُور أعني به ذا ميـل في الصدر
زيـارة أي مـرة فزوره وهيئـة الزيـارة ادع زيره
وقطعـة الكتان أما الزُّوره فموضـع ذو شجـر وطـين

وسميت بغداد بالزوراء لانحراف قبلتها قال الطغرائي :

فيم الإقامة بالزوراء لا سكني بها ولا ناقتي فيها ولا جملي

(فتخطفـه) : في القاموس : خطف يخطف من باب تعب خطفاً الشيء استلبه بسرعة وخطف البرق البصر ذهب به بسرعة .

(سحيق) : بعيد أي فهو لا يرجى خلاصه .

(شعائر الله) : جمـع شعيرة أو شعارة بالكسر وفي المصباح : « والشعائر أعـلام الحج وأفعاله الواحـدة شعيرة أو شعارة بالكسر والمشاعر مواضع المناسك » .

الأعراب :

(ذلك ومن يعظـم حرمات الله فهو خـير له عند ربه) ذلك قال الزمخشري : « خبر مبتدأ محذوف أي الأمر والشأن ذلك كما يقدم

الكاتب جملة من كتابه في بعض المعاني ثم إذا أراد الخوض في معنى آخر قال : هذا وقد كان كذا » ومعنى هذا انه يذكر للفصل بين كلامين أو بين وجهي كلام واحد ، وقيل مبتدأ محذوف الخبر أي ذلك الأمر الذي ذكرته وقيل في موضع نصب تقديره امتثلوا ذلك ونظير هذه الاشارة البليغة قول زهير في وصف هرم بن سنان :

هذا وليس كمن يعيا بخطبته وسط الندي إذا ما ناطق نطقا

وكان وصفه قبل هذا بالكرم والشجاعة ثم وصفه في هذا البيت بالبلاغة فكأنه قال : هذا خلقه وليس كمن يعيا بخطبته .

والواو استئنافية ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ ويعظم فعل الشرط وفاعله مستتر يعود على من وحرمات الله مفعول به والفاء رابطة وهو مبتدأ وخير خبر وله متعلقان بخير والجملة في محل جزم جواب الشرط وفعل الشرط وجوابه خبر من وعند ربه الظرف متعلق بمحذوف حال . (وأحلت لكم الأنعام إلا ما يتلى عليكم) الواو عاطفة وأحلت فعل ماض مبني للمجهول ولكم متعلقان بأحلت والأنعام نائب فاعل وإلا أداة استثناء وما يستثنى يجوز فيه الاتصال والانقطاع وقد تقدم اعراب هذه الآية وما استثناه الله في كتابه فالانقطاع على انه ذكر في آية المائدة ماليس من جنس الأنعام كالدم ولحم الخنزير والاتصال على صرفه الى ما يحرم من الأنعام بسبب عارض كالموت ونحوه وجملة يتلى صلة ونائب الفاعل ضمير مستتر وعليكم متعلقان بيتلى . (فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور) الفاء تفريع على قوله ومن يعظم حرمات الله ، واجتنبوا الرجس فعل أمر وفاعل ومفعول به ومن الأوثان بيان للرجس فهو في محل نصب على الحال واختار الزمخشري أن يكون

تمييزاً ومثل لذلك بقولك : عندي عشرون من الدراهم لأن الرجس منهم يتناول غير شيء كأنه قيل فاجتنبوا الرجس الذي هو الأوثان ، وليس قوله ببعيد واجتنبوا قول الزور عطف على ما تقـدم . (حنفاء لله غير مشركين به) حنفاء لله حال مؤسسة من ضمير اجتنبوا وغير مشركين حال مؤكدة منه أيضاً وبه متعلقان بمشركـين وسيأتي بحثهما في باب الفوائد . (ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطـير أو تهوي به الريح في مكان سحيق) هذه الجملة مستأنفة مسوقة لضرب المثل لمن يشرك بالله ومن اسم شرط جازم مبتدأ ويشرك بالله فعل الشرط، فكأنما الفاء رابطة وكأنما كافة ومكفوفة وخر فعل ماض وفاعل مستتر ومن السماء متعلقان بخرّ ، فتخطفـه عطف عـلى خرّ وإنما عدل الى المضارع لسر سيأتي في باب البلاغة ، والطير فاعل أو تهوي به الريح عطف أيضاً وفي مكان متعلقـان بتهوي أيضاً وسحيق نعت لمكـان . (ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب) ذلك خبر لمبتدأ محذوف كما تقدم ومن يعظم شعائر الله تقدم اعرابها والفاء رابطة وان واسمها ومن تقوى القلوب خبرها . (لكم فيها منافع الى أجل مسمى ثم محلها الى البيت العتيق) لكم خبر مقـدم وفيها حال ومنافع مبتدأ مؤخر والى أجل صفة لمنافع ومسمى صفة لأجل ثم حرف عطف ومحلها مبتدأ وهو اسم مكان من حل يحـل أي صار حلالاً والى البيت خبر والعتيق صفة .

البلاغـة :

١ ـ التشبيه المركب والتمثيلي وقـد تقدم انه ما كان وجـه الشبه فيـه صورة منتزعة من متعـدد وبيان ذلك انه لما انقسمت حال الكافر الى قسمين لا مزيد عليهما الاول منهما المتذبذب الشاكّ المتمادي

على الشك وعدم التصميم على ضلالة واحدة فهذا القسم من المشركين شبه بمن اختطفته الطير وتوزعته فلا يستولي طائر على مزعة منه إلا انتهبها منه آخر وذلك حال المذبذب لا يلوح له خيال إلا اتبعه ونزل عما كان عليه والثاني مشرك مصمم على معتقد باطل لو نشر بالمناشير لم يتراجع عن تصميمه لا سبيل الى تشكيكه ولا مطمع في نقله عما هو عليه فهو فرح مبتهج لضلالته فهذا مشبه في اقراره على كفره باستقرار من هوت به الريح الى واد سحيق سافل فاستقر فيه ونظير تشبيهه بالاستقرار في الوادي السحيق الذي هو أبعد ما يكون عن السماء .

وأجاز الزمخشري أن يكون هذا التشبيه من المركب والمفرق قال « فإن كان تشبيهاً مركباً فكأنه قال من أشرك بالله فقد أهلك نفسه إهلاكاً ليس بعده نهاية بأن صور حاله بصورة حال من خر من السماء فاختطفته الطير فتفرق مزعاً في حواصلها أو عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المطاوح البعيدة وان كان مفرقاً فقد شبه الايمان في علوه بالسماء والذي ترك الايمان وأشرك بالله بالساقط من السماء والاهواء التي تتوزّع أفكاره بالطير المتخطفة والشيطان الذي يطوح به في وادي الضلالة بالريح التي تهوي بما عصف به في بعض المهاوي المتلفة » .

وكلام الزمخشري فيه نظر لأن التشبيه التمثيلي مافي ذلك شك ولا مساغ لجعله مفرقاً .

٢ ــ العدول الى لفظ المضارع :

سياق الكلام يقتضي أن يعطف فتخطفه على مضارع مع أنه في الآية معطوف على خر وهو ماض ، وإنما عدل عن ذلك لتصوير الواقع والتقدير فهي تخطفه فيكون من عطف الجملة على

الجملة ولكنه آثر المخالفة لاستحضار الصورة الغريبة التي تصوره مزعاً في حواصل الطير .

الفوائد :

١ ــ الحال إما مؤسسة وإما مؤكدة فالمؤسسة هي التي لا يستفاد معناها بدونها نحو جاء خالد راكباً ، وأكثر ما تأتي الحال من هذا النوع ، والمؤكدة هي التي يستفاد معناها بدونها وانما يؤتى بها للتوكيد، وهذه أنواع ثلاثة :

آ ــ ما يؤتى بها لتوكيد عاملها وهي التي توافقه معنى فقط أو معنى ولفظاً فالأول نحو « تبسم ضاحكاً » ومنه قوله تعالى « ولا تعثوا في الأرض مفسدين » والثاني كقوله تعالى : « وأرسلناك للناس رسولا» وقول الشاعر :

أصخ مصيخاً لمن أبدى نصيحته
والزم توقي خلط الجد باللعب

ب ــ ما يؤتى بها لتوكيد صاحبها كقوله تعالى : « ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً » .

جـ ــ ما يؤتى بها لتوكيد مضمون جملة معقودة من اسمين معرفتين جامدين نحو : هو الحق بيناً أو صريحاً ، وقول الشاعر :

أنا ابن دارة معروفاً بها نسبي وهل بدارة يا للناس من عار

٢ ــ لماذا أنث الضمير في فإنها :

في قوله تعالى : « ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب »

سؤال مهم وهو لمـاذا أنث الضمير ؟ وعلى أي شيء يعود ؟ والجواب لا يستقيم إلا بتقدير مضافات محذوفة ولا يستقيم المعنى إلا بتقديرها لأن الضمير يعود على الشعائر أي فإن تعظيمها من أفعال تقوى القلوب والعائد على من محذوف أي منه ويجوز أن الضمير ضمير مصدر مؤنث تقديره فإن العظمة أو الحرمة أو الخصلة .

وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا ۗ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ ۗ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ * إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾

اللغــة :

(منسكاً) : بفتح السين وكسرها فالفتح على أنها مصدر ميمي والكسر على أنها اسم مكان وفي المصباح نسك لله ينسك من باب قتل تطوع بقربة والنسك بضمتين اسم منــه وفي التنزيــل : « ان صلاتي ونسكي » والمنسك بفتح السين وكسرها يكون زماناً ومصدراً ويكون اسم المكان الذي تذبح فيــه النسيكة وهي الذبيحــة وزناً ومعنى ، ومناسك الحج عباداته وقيل مواضع العبادات ومن فعل كذا فعليه نسك أي دم يريقه ، ونسك تزهد وتعبد فهو ناسك والجمع نساك مثل عابد وعباد » وفي القاموس : « المنسك بفتح السين المكان المألوف والمنسك بالفتح أيضاً مصدر نسك والمنسك بالكسر شرعة النسك وموضع تذبح فيه النسيكة » .

(المخبتين) : المطيعين المتواضعين والإخبات نزول الخبت وهو المكان المنخفض وسيأتي في باب البلاغة بحث قيم حول هذا الوصف .

(البدن) : بضم الباء جمع بدنة سميت بذلك لعظم بدنها وهي خاصة بالابل كما قال الأزهري أو هي تشمــل الابل والبقر كمــا قال صاحب الصحاح قال القسطلاني : « البدن عند الشافعي خاصة بالإبل وعند أبي حنيفة من الإبل والبقر فكلام الشافعية موافق لكلام الأزهري وكلام الحنفية موافق لكلام الصحاح » .

(صواف) : قائمات قد صففن أيديهن وأرجلهن وقرىء صوافن من صفون الفرس وهو أن يقوم على ثلاث وينصب الرابعة على طرف سنبكه لأن البدنة تعقل احدى يديها .

(وجبت جنوبها) : وجوب الجنوب وقوعها على الأرض من وجب الحائط وجبة اذا سقط ووجبت الشمس وجبة غربت قال أبو تمام :

فالشمس طالعـــة من ذا وقـــد غربت

والشمس واجبـــة من ذا ولـم تجب

(القانع) : السائل المتذلل والخارج من مكان الى مكان وخادم القوم وأجيرهم والجمع قانعون وقنّع أو بمعنى القَنِع أي الراضي بما قسم له يقال قنع يقنع من باب تعب تعباً قَنَعاً وقناعة وقُنْعاناً : رضي بما قسم له يقال قنع يقنع من باب تعب تعباً : قَنَعاً وقناعة وقُنعاناً: رضي بمـا قسم له وقنع يقنع من باب فتـح قنوعاً : سأل وتذلل وفي الأساس واللسان : « العز في القناعة والذل في القنوع وهو السؤال وفلان قنع بالمعيشة وقنيع وقنوع وقانع ، أنشد الكسائي :

فإن ملكت كفاك قوطاً فكن به قنيعـاً فإن المتقي الله قانـــع

وقنع بالشيء واقتنع وتقنّع ، وأقنعك الله بما أعطـاك ، وفلان حريص ما يقنعه شيء وبيت شوقي المشهور :

شباب قنـع لا خـير فيهم وبورك بالشباب الطامحينـا

يدل على ضلاعته باللغة وتمكنه منها .

(المعتر) : المعترض بسؤال وعرّه وعرّاه بمعنى واحـد وقيل القانع السائل والمعتر المعترض من غير سؤال وقال قوم بالعكس وفي المصباح : « المعتر الضيف الزائر والمعتر : المتعرض للسؤال من غير طلب يقال عره واعتره وعراه واعتراه إذا تعرض للمعروف من غير مسألة »

وفي القاموس « والمعتر الفقير والمعترض للمعروف من غير أن يسأل عرّه ، عراً واعتره وبه » وفي الاساس واللسان : « وعن عائشة رضي الله عنها : مال اليتيم عـُرة لا أدخله في مالي ولا أخلطه به ». ولا تفعل هذا لا تصبك منه معرّة وفي الحديث « كلما تعاررت ذكرت الله » وكان سلمان رضي الله عنه إذا تعارّ في الليل قال : سبحان رب النبيين وإله المرسلين ، وهو أن يهب من النوم مع كلام من عِرار الظليم وهو صياحه و « أطعموا القانع والمعتر » أي المعترض بسؤاله » .

الاعراب :

(ولكل أمة جعلنا منسكاً ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام) الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لتقرير التشريع الخاص بكل أمة ونوع التعبد الذي يتقربون به الى الله ولكل أمة متعلقان بمحذوف مفعول جعلنا الثاني المقدم وجعلنا فعل وفاعل ومنسكاً مفعول جعلنا الأول وليذكروا اللام للتعليل ويذكروا مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل والجار والمجرور متعلقان بجعلنا واسم الله مفعول به وعلى ما رزقهم متعلقان بيذكروا وجملة رزقهم صلة ومن بهيمة الأنعام متعلقان برزقهم . (فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين) الفاء الفصيحة وإلهكم مبتدأ وإله خبره وواحد صفة فله الفاء عاطفة وله متعلقان بأسلموا وأسلموا فعل أمر وفاعل وبشر الواو عاطفة وبشر فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت والمخبتين مفعول به . (الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون) الذين نعت للمخبتين أو بدل منه وإذا

ظرف لما يستقبل من الزمن خافض لشرطه منصوب بجوابه وجملة ذكر الله مضاف اليها وجملة وجلت قلوبهم لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم واذا وفعلها وجوابها لا محل لها لأنها صلة والصابرين عطف على الذين وعلى ما متعلقان بالصابرين وجملة أصابهم صلة للموصول والمقيمي الصلاة عطف أيضاً وحذفت النون للاضافة ومما متعلقان بينفقون وجملة رزقناهم صلة وجملة ينفقون صلة أيضاً • (والبدن جعلناها لكم من شعائر الله) الواو عاطفة والبدن مفعول لفعل محذوف فهي منصوبة على الاشتغال أي وجعلنا البدن ، وجعلناها فعل وفاعل ومفعول به ولكم متعلقان بجعلناها ومن شعائر الله مفعول به ثان لجعلناها التي هي بمعنى التصيير • (لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف) لكم خبر مقدم وفيها حال وخير مبتدأ مؤخر والجملة مستأنفة مسوقة لتقرير ما قبلها ويجوز جعلها حالاً من الهاء في جعلناها، فاذكروا الفاء الفصيحة واذكروا فعل أمر وفاعل واسم الله مفعول به وعليها متعلقان باذكروا وصواف حال من الهاء أي بعضها الى جنب بعض • (فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر) الفاء عاطفة واذا ظرف مستقبل وجملة وجبت جنوبها مضافة الى الظرف والفاء رابطة لجواب إذا وجملة كلوا منها لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم وأطعموا القانع والمعتر عطف على جملة كلوا منها • (كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون) كذلك الكاف نعت لمصدر محذوف أي سخرها تسخيراً مثل ذلك التسخير وسخرناها فعل وفاعل ومفعول به والجملة حال ولكم متعلقان بسخرناها ولعل واسمها وجملة تشكرون خبرها والجملة في محل نصب على الحال من الكاف في لكم • (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم) لن حرف

نفي ونصب واستقبال وينال فعل مضارع منصوب بلن ولفظ الجلالة مفعول به مقدم ولحومها فاعل ينال ولا دماؤها عطف على لحومها والمعنى لن تبلغ مرضاته ولن تقع منه موقع القبول والمراد أصحاب اللحوم والدماء قال أبو حيان في البحر : « أراد المسلمون أن يفعلوا فعل المشركين من الذبح وتشريح اللحم منصوباً حول الكعبة وتضميخ الكعبة بالدم تقرباً الى الله تعالى فنزلت هذه الآية » ولكن الواو عاطفة ولكن حرف استدراك مهمل لأنه مخفف وينالَه فعل مضارع ومفعول به والتقوى فاعل ومنكم حال من التقوى أي يرفع إليه منكم العمل الصالح الخالص له مع الايمان • (كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين) الكاف نعت لمصدر محذوف وقد تقدمت نظائره وسخرها فعل ماض وفاعل مستتر ومفعول به ولكم متعلقان بسخرها ولتكبروا اللام للتعليل وتكبروا منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل واللام وما في حيزها متعلقة بسخرها وتكبروا فعل مضارع وفاعل ولفظ الجلالة مفعول به ، على ما هداكم : ما مصدرية أو موصولة أي على هدايته إياكم أو على ما هداكم اليه وعلى متعلقة بتكبروا لتضمينه معنى الشكر وبشر الواو استئنافية وبشر فعل أمر وفاعل مستتر والمؤمنين مفعول به • (إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور) جملة مستأنفة مسوقة لتأكيد البشرى للمؤمنين بالنصر المحتوم وإن الله ان واسمها وجملة يدافع خبر وعن الذين متعلقان بيدافع وجملة آمنوا صلة ومفعول يدافع محذوف تقديره : عوادي المشركين وغوائلهم ، وجملة إن الذين تعليل للجملة السابقة وان واسمها وجملة لا يحب خبرها وكل خوان مفعول به وكفور صفة لخوان •

أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾

اللغــــة :

(صوامع) : الصوامع جمع صَوْمَعَة وصومع وهو جبل أو مكان مرتفع يسكنه الراهب أو المتعبد قصد الانفراد ثم أطلقت الكلمة على الدير ، والصومعة أيضاً : العقاب والبرنس وأعلى كل جبل إذا كان مستدقّ الرأس .

(بيع) : جمع بيعة بكسر الباء المعبد للنصارى واليهود والجمع بيع وبيعات بكسر الباء وفتح الياء وبيعات بكسر الباء وسكون الياء .

(وصلوات) : بفتح الصاد واللام جمع صلاة وسميت الكنيسة صلاة لأنه يصلّى فيها وقيل هي كلمة معربة أصلها بالعبرية صلوثاً بفتح الصاد والثاء المثلثة كما في الخفاجي على البيضاوي قال : وبه قرىء في الشواذ ومعناه في لغتهم المصلى فلا يكون مجازاً .

الاعراب :

﴿ أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير ﴾ الجملة مستأنفة مسوقة للإذن بقتال المشركين ، كان المؤمنون يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين مضروب ومشجوج يشكون فيقول لهم اصبروا فإني لم أؤمر بالقتال حتى هاجر فنزلت هذه الآية وهي أول آية أذن فيها بالقتال بعد ما نهي عنه في نيف وسبعين آية . وأذن فعل ماضي مبني للمجهول والمأذون فيه محذوف للعلم به أي أذن للذين يقاتلون في القتال وللذين متعلقان بأذن وجملة يقاتلون صلة ويقاتلون مضارع مبني للمجهول والواو نائب فاعل وبأنهم متعلقان بأذن أيضاً والباء للسببية أي بسبب ظلمهم وجملة ظلموا خبر أنهم وإن الله على نصرهم لقدير الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة للوعد لهم بالنصر على طريق الرمز والكناية ، وان واسمها وقدير خبرها واللام المزحلقة وعلى نصرهم متعلقان بقدير . ﴿ الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ﴾ الذين نعت أو بدل من الموصول الأول ، ولك أن ترفعه على أنه خبر لمبتدأ محذوف تنويهاً بقدرهم ورفعاً لشأنهم، وجملة أخرجوا صلة والواو نائب فاعل ومن ديارهم متعلقان بأخرجوا وبغير حق حال وإلا أداة استثناء وأن يقولوا المصدر المؤول مستثنى منقطع في محل نصب واختار الزمخشري وغيره أن يكون الاستثناء مفرغاً لوجود النفي بغير فإلا أداة حصر وان يقولوا في محل جر على الابدال من حق أي بغير موجب سوى التوحيد الذي ينبغي أن يكون موجب الاقرار والتمكين لا موجب الاخراج والتسيير ومثله « هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله » وربنا مبتدأ والله خبر والجملة في محل نصب مقول القول . ﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ﴾ الواو استئنافية ولولا

حرف امتناع لوجود متضمن معنى الشرط ودفع الله مبتدأ محذوف الخبر وجوباً والناس مفعول به لدفع لأنه مصدر مضاف الى فاعله وهو الله والمعنى ولولا أن دفع الله الناس بعضهم ببعض لغلب المفسدون وتعطلت المصالح ويقل عمله عكسه وهو أن يضاف المصدر الى مفعوله ثم يأتي فاعله مرفوعاً كقول الاقيشر الاسدي :

أفنى تلادي وما جمعت من نَشَبٍ

قرع القواقيز أفواه الأباريق

فقرع بالقاف والعين المهملة مرفوع على الفاعلية بأفنى وهو مصدر مضاف الى مفعوله وهو القواقيز بقافين وزاي معجمة : أقداح يشرب بها الخمر واحدها قاقوزة بزاءين معجمتين فجمعها قوازيز ، وأفواه فاعل المصدر وهو جمع فم وأصله فوه فلذلك ردت في الجمع على أنه روي البيت بنصب الأفواه فيكون من القسم الأول .

وبعضهم بدل بعض من الناس وببعض متعلق بدفع واللام واقعة في جواب لولا وهدمت فعل ماض مبني للمجهول وصوامع نائب فاعل وبيع وصلوات ومساجد عطف على صوامع وأخر ذكر المساجد لأن الصوامع والبيع والكنائس أقدم منها في الوجود وجملة يذكر صفة للمواضع المذكورة وفيها متعلقان بيذكر واسم الله نائب فاعل وكثيراً صفة لمصدر محذوف أي ذكراً كثيراً أو صفة لظرف محذوف أي وقتاً كثيراً . (ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز) الواو استئنافية واللام موطئة للقسم وينصرن فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة . والله فاعل ومن موصول مفعول به وجملة ينصره صلة وجملة ان وما بعدها تأكيد لتعليل النصر والله اسمها واللام المزحلقة وقوي خبرها الأول وعزيز خبرها الثاني . (الذين إن

مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر) الذين بدل من الذين السابقة أو نعت ثان للذين الأولى أو خبر لمبتدأ محذوف ولك وجه آخر وهو أن تعربها بدلاً من «من ينصره» ذكر هذا الوجه الزجاج قال : أي لينصرن الله الذين إن مكناهم ، وإن شرطية ومكناهم فعل ماض وفاعل ومفعول به وهو في محل جزم فعل الشرط وفي الأرض متعلقان بمكناهمُ وأقاموا فعل ماض وفاعل وهو في محل جزم جواب الشرط والصلاة مفعول به وما بعده عطف عليه . (ولله عاقبة الأمور) الواو استئنافية أو عاطفة ولله خبر مقدم وعاقبة الأمور مبتدأ مؤخر .

الفوائد :

الجهاد ذروة سنام الاسلام :

والأحاديث في الجهاد كثيرة نورد منها ما يسمو الى ذروة البلاغة جرياً على نهجنا في هذا الكتاب فعن أبي هريرة رضي الله عنه : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أي العمل أفضل ؟ قال : إيمان بالله ورسوله قيل : ثم ماذا ؟ قال الجهاد في سبيل الله ، قيل : ثم ماذا ؟ قال : حجٌ مبرور » رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن خزيمة في صحيحه .

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج بالناس قبل غزوة تبوك فلما أن صبح صلى بالناس صلاة الصبح ثم إن الناس ركبوا فلما أن طلعت الشمس نعس الناس على إثر الدّلجة ولزم معاذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلو إثره والناس تفرقت بهم ركابهم على جوادّ الطرق تأكل وتسير فبينا معاذ على إثر رسول الله صلى

الله عليه وسلم وناقته تأكل مرة وتسير أخرى عثرت ناقة معاذ فحنكها بالزمام فهبت حتى نفرت منها ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كشف عنه قناعه فالتفت فإذا ليس في الجيش أدنى اليه من معاذ فناداه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا معاذ فقال لبيك يا رسول الله قال : ادن دونك فدنا منه حتى لصقت راحلتاهما إحداهما بالأخرى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما كنت أحسب الناس منا بمكانهم من البعد فقال معاذ : يا نبيّ الله نعس الناس فتفرقت ركابهم ترتع وتسير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وأنا كنت ناعساً فلما رأى معاذ بشر رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلوته له فقال : يا رسول الله : ائذن لي أن أسألك عن كلمة أمرضتني وأسقمتني وأحزنتني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سل عما شئت ، قال : يا نبي الله حدثني بعمل يدخلني الجنة لا أسألك عن شيء غيره ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بخ بخ بخ لقد سألت لعظيم ثلاثاً وإنه ليسير على من أراد الله به الخير ، وانه ليسير على من أراد الله به الخير وإنه ليسير على من أراد الله به الخير فلم يحدثه بشيء إلا أعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات حرصاً لكيما يتقنه عنه فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم : تؤمن بالله واليوم الآخر وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتعبد الله وحده لا تشرك به شيئاً حتى تموت وأنت على ذلك ، قال يا رسول الله أعدلي فأعادها ثلاث مرات ثم قال نبي الله صلى الله عليه وسلم : إن شئت يا معاذ حدثتك برأس هذا الأمر وقوام هذا الأمر وذروة السّنام؟ فقال معاذ: بلى يا رسول الله حدثني بأبي أنت وأمي فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم إن رأس هذا

الأمر : أن تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وإن قوام هذا الأمر : إقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وان ذروة السّنام منه الجهاد في سبيل الله ، انما أمرت أن أقاتل الناس ، حتى يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ويشهدوا أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله فاذا فعلوا ذلك فقد اعتصموا وعصموا دماءهم وأموالهم إلا بحقّها وحسابهم على الله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده ما شحب وجه ولا اغبرّت قدم في عمل تُبْتَغَى به درجات الآخرة بعد الصلاة المفروضة كجهاد في سبيل الله ولا ثقّل ميزان عبد كدابّة تنفق في سبيل الله أو يحمل عليها في سبيل الله .

وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾

اللغـــة :

(بئر) : في المختار : « بأر بئراً بهمزة بعـد الباء حفرها وبابه قطـع » والبئر فعِل بمعنى مفعول كالـذبح بمعنى المذبوح حفرة في الأرض عظيمة يستقى منها الماء والجمع آبار وأبآر وبئار وأبؤر وهي مؤنثة • وفي الأساس : « الفاسق من ابتأر ، والفويسق من ابتهر يقال : ابتأرت الجارية إذا قال فعلت بها وهو صادق وابتهرتها إذا قال ذلك وهو كاذب وأنشد الكميت :

قبيـح بمثـلي نعت الفتـا ة إما ابتهـاراً وإما ابتئـارا

(معطلة) متروكـة بموت أهلها مـع أنها عامرة فيها الماء ومعها آلات الاستقاء •

(مشيد) : مرتفع مجصص من شاد البناء أي رفعه ويقال شيّد وأتى به في النساء من شيّد لأنه هناك وقع بعد جمع أما هنا فقد وقع بعد مفرد فناسب التخفيف •

الاعراب :

(وإن يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود) الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لتسلية النبي صلى الله عليه وسلم وانه ليس بأوحدي في التكذيب ، وإن شرطية ويكذبوك فعل الشرط والواو فاعل والكاف مفعول به ، فقد الفاء رابطة للجواب لاتصاله بقد وقد حرف تحقيق وكذبت فعل ماض والتاء تاء التأنيث الساكنة والجملة في محل جزم جواب الشرط وقبلهم ظرف زمان متعلق بكذبت وقوم

نوح فاعل وعاد وثمود معطوفان على قوم وأنّث القوم باعتبار معنى الأمة أو القبيلة ولم يقل قوم عاد وثمود استغناء بشهرتهما بهذين الاسمين • (وقوم ابراهيم وقوم لوط) عطف على ما تقدم • (وأصحاب مدين وكُذب موسى فأمليت للكافرين) وأصحاب مدين عطف وعدل عن قوم شعيب لأن أصحاب مدين أعرق من أصحاب الأيكة في التكذيب فلذلك خصهم بالذكر ، وكذب فعل ماض مبني للمجهول وموسى نائب فاعل وخالف في الكلام فلم يقل قوم موسى لأنه لما صدر الكلام بحكاية تكذيبهم ثم عدد أصناف المكذبين وطوائفهم ولم ينته الى موسى إلا بعد طول الكلام حسن تكريره ليلي قوله فأمليت فيتصل المسبب بالسبب كما قال في آية « ق » بعد تعديدهم : « كل كذب الرسل فحق وعيد » فربط العقاب والوعيد ووصلهما بالتكذيب بعد أن جدد ذكره ، فأمليت : الفاء عاطفة وأمليت فعل وفاعل وللكافرين متعلقان بأمليت • (ثم أخذتهم فكيف كان نكير) ثم حرف عطف للترتيب مع التراخي وأخذتهم فعل وفاعل ومفعول به ، فكيف الفاء عاطفة وكيف اسم استفهام في محل نصب خبر كان المقدم ونكير اسم كان أي إنكاري فحذفت الياء والنكير مصدر بمعنى الإنكار والتغيير حيث أبدلهم بالنعمة نقمة وبالحياة هلاكاً وبالبناء خراباً وسيأتي معنى الاستفهام في باب البلاغة • (فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة) الفاء استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لتأكيد ما تقدم بضرب الأمثلة والشواهد وكأين خبرية ومحلها الرفع على الابتداء ومن قرية تمييز كأين وقد تقدم تحقيقه وجملة أهلكناها من الفعل والفاعل والمفعول به خبر كأين ويجوز نصب كأين على الاشتغال بفعل محذوف يفسره أهلكناها فتكون جملة أهلكناها مفسرة ، وهي ظالمة الواو للحال وهي مبتدأ وظالمة خبر والجملة نصب على الحال • (فهي خاوية على عروشها

وبئر معطلة وقصر مشيد) الفاء عاطفة وهي مبتدأ وخاوية خبر والجملة معطوفة على جملة أهلكناها وعلى عروشها إما متعلقان بخاوية فيكون المعنى انها ساقطة على سقوفها أي خرت سقوفها على الأرض ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف واما أن يكون خبراً ثانياً لهي كأنه قيل هي خالية وهي عـلى عروشها أي قائمة مطلة عـلى عروشها بمعنى أن السقوف سقطت الى الارض فصارت في سمت الحيطان وبقيت الحيطان مواثل باهتة مشرفة على السقوف الساقطة وكلا التقديرين جميل ووارد، وبئر عطف على قرية أي وكم من بئر ، ومعطلة صفة لبئر وقصر مشيد عطف أيضاً وهل هي بئر معينة وقصر معين أم هما واردان مورد المثل ، سيأتي الكلام عن هذا كله في باب الفوائد . (أفلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها) الهمزة للاستفهام الانكاري إن كانوا قد سافروا أو للحث على السفر ليروا مصارع من تقدمهم ، والفاء عاطفة على مقدر يقتضيه المقام أي أغفلوا وأهملوا وسافروا فلم ينتفعوا ، ولم حرف نفي وقلب وجزم ويسيروا فعل مضارع مجزوم بلم والواو فاعله وفي الارض متعلقان بيسيروا فتكون الفاء للسببية وتكون فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد فاء السببية ولهم خبر تكون المقدم وقلوب اسمها المؤخر وجملة يعقلون صفة لقلوب وبها متعلقان بيعقلون وأو حرف عطف وآذان عطف على قلوب وجملة يسمعون بها صفة لآذان وواضح أن التفريع عـلى المنفي يوجب النفي أيضاً . (فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) الفاء للتعليل وان واسمها والضمير يعود على القصة أو الشأن وجملة لا تعمى الأبصار خبر ولكن الواو عاطفة ولكن حرف استدراك أهمـل لأنه خفف وتعمى القلوب فعل مضارع وفاعل والتي صفة القلوب وفي الصدور متعلقان بمحذوف صلة الموصول وسيأتي سر قوله في الصدور في باب البلاغة .

البلاغـة :

١ ـ الاستفهام في قوله تعالى « فكيف كان نكير » معناه التقرير وهو حمل المخاطب على الاقرار بما يعرفه ويماري فيه ، ويلجأ الى المكابرة والسفسطة في مخالفته ، وقال أبو حيان : « ويصحب هذا الاستفهام معنى التعجب فكأنه قيل ما أشد ما كان انكاري عليهم » وهذا واضح أيضاً فالاستفهام إذن للتقرير التعجبي .

٢ ـ الانفصال في قوله تعالى « ولكن تعمى القلوب التي في الصدور » فإن لقائل أن يقول ان القلوب لا تكون إلا في الصدور فأية فائدة في ذكر ما هو متعارف وكائن لأنه معلوم والانفصال عن ذلك أن يقال ان المتعارف ان العمى الحقيقي مكانه البصر لأنه إصابة الحدقة بما يطمس نورها واستعماله في القلب مجاز فلما أريد نقله من الحقيقة الى المجاز كان الكلام بمثابة إثبات ما هو خلاف المتعارف وما هو الاصل فاحتاج الى زيادة تعيين ليتقرر أن العمى مكانه هو القلوب لا الأبصار كما تقول ليس المضاء للسيف ولكنه للسانك الذي بين فكيك فقوله بين فكيك تقرير لما ادعيته للسانه ونفي المضاء عن السيف وهو المتعارف وهذا من أوابد البيان فافهمه ، وجملة الأمر ان الخلل ليس في مشاعرهم فهي سليمة لا عيب فيها وإنما الخلل في عقولهم المرتكسة وأحلامهم المعطلة .

الفوائـد :

البئر المعطلة والقصر المشيد : قيل هما خاصان قال الخطيب الشربيني في تفسيره : « روي أن هذه البئر نزل عليها صالح مع أربعة آلاف نفر ممن آمن به ونجاهم الله تعالى من العذاب وهي بحضرموت

وإنما سميت بذلك لأن صالحاً حضرها حين مات وثم بلدة عبد البئر اسمها حاضورا بناها قوم صالح وأمّروا عليهم جلهس بن جلاس وأقاموا بها زماناً ثم كفروا وعبدوا صنماً وأرسل الله اليهم حنظلة بن صفوان نبياً فقتلوه فأهلكهم الله تعالى وعطل بئرهم وخرب قصورهم والأولى أن تكون البئر عامة وأن يكون القصر عاماً أي كم من قرية أهلكناها وكم من بئر عطلناها من سقاتها وكم من قصر مشيد تفرق عنه أهلوه وتحمل عنه ساكنوه •

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُۥ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَىَّ الْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ الصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ الْجَحِيمِ ﴿٥١﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى الشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِى الشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى الشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ الظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾

الاعراب :

(ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده) الواو عاطفة ويستعجلونك فعل مضارع وفاعل ومفعول به وبالعذاب متعلقان بيستعجلونك أي يطلبون عجلتك على سبيل الاستهزاء والواو عاطفة ولن حرف نفي ونصب واستقبال ويخلف فعل مضارع منصوب بلن والله فاعل ووعده مفعول به . (وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون) الواو للحال وان واسمها وعند ربك الظرف متعلق بمحذوف حال والكاف خبر إن ومما صفة لسنة وجملة تعدون صلة واقتصر في التشبيه على الألف لأن الألف منتهى العدد بلا تكرار وأيام الشدائد مستطالة على حد قول الشاعر :

فقصارهن مع الهموم طويلة وطوالهن مع السرور قصار

(وكأين من قرية أمليت لها وهي ظالمة ثم أخذتها وإليّ المصير) الواو عاطفة قال الزمخشري في كشافه : « فإن قلت لم عطفت الأولى بالفاء وهذه بالواو ؟ قلت الأولى وقعت بدلاً من قوله « فكيف كان نكير » وأما هذه فحكمها حكم الجملتين المعطوفتين بالواو أعني قوله « ولن يخلف الله وعده » و« ان يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون » وكأين خبرية في محل رفع مبتدأ ومن قرية في محل نصب تمييز كأين وجملة أمليت لها صفة لقرية والواو حالية وهي مبتدأ وظالمة خبر والجملة في محل نصب على الحال ثم أخذتها عطف على أمليت وإليّ الواو عاطفة أو حالية وإليّ خبر مقدم والمصير مبتدأ مؤخر . (قل يا أيها الناس إنما أنا لكم نذير مبين) يا حرف نداء وأيها منادى نكرة مقصودة مبني على الضم في محل نصب على النداء والهاء للتنبيه والناس بدل من أي وإنما

كافة ومكفوفة وأنا مبتدأ ونذير خبر ومبين صفة • (فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم) الفاء تفريعية والذين مبتدأ وجملة آمنوا صلة وعملوا عطف على آمنوا والصالحات مفعول به ولهم خبر مقدم ومغفرة مبتدأ مؤخر ورزق عطف على مغفرة وكريم صفة لرزق وجملة لهم مغفرة خبر الذين • (والذين سعوا في آياتنا معاجزين أولئك أصحاب الجحيم) الواو عاطفة والذين مبتدأ وجملة سعوا صلة وفي آياتنا متعلقان بسعوا ومعنى السعي في الآيات إفسادها وتزييفها وإبطالها يقال سعيت في أمر فلان إذا أصلحته أو أفسدته بهذا السعي ومعاجزين حال أي مسابقين في زعمهم وتقديرهم قد سولت لهم أنفسهم أنهم يستطيعون إبطالها وصرف الناس عن اتباعها فالمفاعلة لا تخلو من معنى الظن والاعتقاد بالنسبة اليهم ، وأولئك مبتدأ وأصحاب الجحيم خبره والجملة خبر الذين • (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته) الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة للشروع في تسلية ثانية للنبي صلى الله عليه وسلم ، وما نافية وأرسلنا فعل وفاعل ومن قبلك متعلقان بأرسلنا ومن لابتداء الغاية ومن رسول من زائدة ورسول مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه مفعول به لأرسلنا ولا نبي عطف على من رسول وإلا أداة حصر وإذا ظرف مستقبل وجملة تمنى في محل جر بإضافة الظرف وجملة ألقى الشيطان لا محل لها والجملة الشرطية بعد إلا تحتمل وجوهاً أرجحها أن تكون في محل جر صفة لرسول على اللفظ والنصب على المعنى ويجوز أن تكون حالاً ولك أن تجعل الاستثناء منقطعاً فتكون إلا أداة استثناء والجملة نصب على الاستثناء وفي أمنيته متعلقان بألقى وسيأتي معنى هذا الالقاء وقصة سبب النزول في باب الفوائد ، وقد استشكل أبو حيان مجيء جملة ظاهرها الشرط بعد إلا وهو إذا تمنى ألقى ،

وأجاب عن ذلك بأن اذا جردت للظرفية ولا شرط فيها وفصل بها بين إلا والفعل الذي هو ألقى وهو فصل جائز فيكون إلا قد وليها ماض في التقدير ووجه شرط وهو تقدم فعل قبل إلا وهو أرسلنا قال ابن هشام : والذي يظهر انما هو فيما إذا ولي إلا لفظ الفعل وهذا لم يقع في الآية فلا اشكال ولا حاجة لتأويل إذا بأنها خرجت عن الشرطية .
(فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم) الفاء استئنافية وينسخ الله فعل مضارع وفاعل وما مفعول به وجملة يلقي الشيطان صلة ثم حرف عطف ويحكم الله فعل وفاعل وآياته مفعول به والله عليم حكيم جملة اعتراضية مؤلفة من مبتدأ وخبريه .
(ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم) اللام للتعليل والفعل بعدها منصوب بأن مضمرة وهي متعلقة بيحكم أي ثم يحكم الله آياته ليجعل ويجوز أن تتعلق بينسخ وما موصولية أو مصدرية وهي على كل حال مفعول به أول وجملة يلقي الشيطان صلة وفتنة مفعول به ثان وللذين صفة لفتنة وفي قلوبهم خبر مقدم ومرض مبتدأ مؤخر والجملة صلة للذين والقاسية عطف على الذين وقلوبهم فاعل القاسية ومن المفيد أن نذكر أن ال في القاسية موصولة والقاسية صفتها وأنثها لأن مرفوعها وهو قلوبهم مؤنث مجازي . (وإن الظالمين لفي شقاق بعيد) الواو حالية أو استئنافية وإن واسمها واللام المزحلقة وفي شقاق خبرها وبعيد صفة لشقاق .

الفوائد :

أسطورة الغرانيق :

نعرض الآن لمسألة شغلت علماء المسلمين في القديم والحديث ، واستأثرت باهتمام الكثيرين منهم لخطورتها ، وجسامة ما تنطوي عليه

من أمور لا يجوز للباحث أن يمرّ بهـا مرور الراكب العجلان ، فهي تمسّ جوهر العقيدة ، وتتعلق بعصمة صاحب الرسالة ، فإلقاء الكلام على عواهنه فيها من غير تمعن ولا تمحيص لا يجوز بحال وسنعمد الى سرد الأسطورة عـلى علاتها وكما نقلها المفسرون من غير تفنيد لها أو اثارة للشكوك حولها ، وكثر تناقلها حتى أصبحت حديث السمر تروّح به النفس ويزجى بها الفراغ والناس بطبعهم ميالون الى كل غريب وهذه هي الاسطورة :

لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم إعراض قومه عنه ، لعيبه أصنامهم وزرايته بآلهتهم ، أخذه الضجر من هذا الإعراض ، ولحرصه على إسلامهم وتهالكه عليه تمنى أن لا ينزل عليه ما ينفرهم لعله يتخذ ذلك طريقاً الى استمالتهـم واستنزالهم عن غيهـم وعنادهم فاستمر به ما تمناه حتى نزلت عليه سورة « والنجم إذا هوى » وهو في نادي قومه وذلك التمني في نفسه فأخـذ يقرؤها فلما بلـغ قوله : « ومناة الثالثة الأخرى » « ألقى الشيطان في أمنيته » التي تمناها بأن وسوس له بما شيعهـا به فسبق لسانه عـلى سبيل السهو والغلط الى أن قال : تلك الغرانيق العلى ، وإن شفاعتهن لترتجى ، وروى الغرانقة ولم يفطن له حتى أدركته العصمة فتنبه اليه وقيل نبهه جبريل عليه السلام أو تكلم الشيطان بذلك فأسمعه الناس فلما سجد في آخرها سجد معه جميع من في النادي وطابت نفوسهم وكان تمكين الشيطان من ذلك محنة من الله وابتلاء زاد المنافقون به شكاً وظلمة والمؤمنون نوراً وإيقاناً .

وفيما يلي طائفـة من أقوال العلمـاء والمفسرين فقال الرازي ما خلاصته :

هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل ، ثم تكلم في أن رواة هـذه القصة مطعونون وأيضاً فقد روى البخاري في صحيحه أنه عليه الصلاة والسلام قرأ سورة النجم وسجد معـه المسلمون والمشركون والانس والجن وليس فيه حديث الغرانيق بل روي هذا الحديث من طرق كثيرة وليس فيها البتة حديث الغرانيق ولا شك أن من جوز عـلى الرسول تعظيم الأوثان فقد كفر لأن من المعلوم بالضرورة أن أعظم سعيه كان في نفي الأوثان ولو جوّزنا ذلك ارتفع الأمان عن شرعه وجوزنا في كل واحد من الأحكام والشرائع أن يكون كذلك أي مما ألقاه الشيطان على لسانه ويبطل قوله تعالى : « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته » فانه لا فرق في العقل بين النقصان من الوحي وبين الزيادة فيه فبهذه الوجوه النقلية والعقلية عرفنا عـلى سبيل الإجمال أن هذه القصة موضوعة وقد قيل : إن هذه القصة من وضع الزنادقة لا أصل لها . اهـ كلام الرازي .

أما شيخ الاسلام ابن حجر العسقلاني شارح البخاري فقد نبه في فتح الباري على البخاري على ثبوت أصلها وقال سامحه الله : « أخرج ابن أبي حاتم والطبري وابن المنذر من طرق عن شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير قال : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة والنجم فلما بلغ : « أفرأيتـم اللات والعزى ، ومنـاة الثالثة الأخرى » ألقى الشيطان على لسانه : « تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى » فقال المشركون : ما ذكر آلهتنا بخير قبل اليوم فلما ختم السورة سجد وسجدوا فكبر ذلك على النبي فنزل تسلية له « وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبيّ إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته » أي في قراءته بين كلماته .

وأخرجه البزار وابن مردويه من طريق أمية بن خالـد عن شعبة فقال في إسناده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فيما أحسب ثم ساق الحديث المذكور وقال البزار : لا يروى إلا متصلاً بهذا الاسناد وتفرد بوصله أمية بن خالد وهو ثقة مشهور .

وأوردها الطبري من طريق العوفي عن ابن عباس . ومعناهم كلهم في ذلك واحد وكل من طرقها سوى طريق سعيد بن جبير إما ضعيف وإما منقطع ولكن كثرة الطرق تدل على أن للقصة أصـلاً مع أن لها طريقين آخرين مرسلين رجالهما على شرط الصحيح ، أحدهما ما أخرجه الطبري عن طريق يونس بن زيد عن ابن شهاب ، حدثني أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فذكر نحوه ، والثاني ما أخرجه من طريق المعتمر بن سليمان وحماد بن سلمة كلاهما عن داود بن أبي هند عن أبي العالية .

وقال ابن حجر العسقلاني في معرض رده على القاضي أبي بكر ابن العربي : « وقد تجرأ ابن العربي كعادته فقال : ذكر الطبري في ذلك روايات كثيرة لا أصل لها وهو إطلاق مردود عليه وكذا قول القاضي عياض : هذا الحديث لم يخرجه أهل الصحة ولا رواة ثقة بسند سليم متصل مع ضعف نقلته واضطراب رواياته وانقطاع أسانيده وكذا قول عياض أيضاً : ومن حكيت عنه هذه القصة من التابعين والمفسرين لم يسندها أحـد منهم ولا رفعها الى صحابي وأكثر الطرق عنهم في ذلك ضعيفة واهية فهذا مردود أيضاً .

وتتمة كلام القاضي عياض تدل على مدى تحرره من غائلة التقليد ومحاولته تمحيص الحقائق قال : « وقد بين البزاز أن الحديث لا يعرف طريق يجوز ذكره إلا من طريق أبي بشر عن سعيد بن جبير مع الشك

الذي وقع في وصله وأما الكلبي فلا تجوز الرواية عنه لقوة ضعفه ثم رده من طريق النظر بأن ذلك لو وقع لارتد كثير ممن أسلم قال : ولم ينقل ذلك » •

قال الحافظ بن حجر : « وجميع ذلك لا يتمشى مع قواعد المحدثين فإن الطرق إذا كثرت وتباينت مخارجها دلّ ذلك على أن لها أصلاً وقد ذكرنا أن ثلاثة أسانيد منها على شرط الصحيح وهي مراسيل يحتج بمثلها من يحتجّ بالمرسل وكذا من لا يحتجّ به لاعتضاد بعضها ببعض وإذا تقرر ذلك تعين تأويل ما وقع فيها مما يستنكر وهو قوله : ألقى الشيطان على لسانه تلك الغرانيق العلا وان شفاعتهن لترتجى ، فإن ذلك لا يجوز حمله على ظاهره لأنه يستحيل عليه صلى الله عليه وسلم أن يزيد في القرآن عمداً ما ليس فيه وكذا سهواً إذ كان مغايراً لما جاء به من التوحيد لمكان عصمته » ومضى قائلاً : « وقد سلك العلماء في ذلك التأويل مسالك نحو السبعة فقيل جرى ذلك على لسانه حين أصابته سنة من النوم وهو لا يشعر فلما أعلمه الله بذلك أحكم آياته وهذا أخرجه الطبري عن قتادة » •

ورد القاضي عياض بأنه لا يصح لكونه لا يجوز على النبي ذلك ولا ولاية للشيطان عليه في النوم •

وقيل : ان الشيطان ألجأه الى أن قال ذلك بغير اختيار • ورده ابن العربي بقوله تعالى حكاية عن الشيطان « وما كان لي عليكم من سلطان ••• الآية » قال : فلو كان للشيطان قوة على ذلك لما بقي لأحد قوة على طاعة •

وقيل : ان المشركين كانوا اذا ذكروا آلهتم وصفوها بذلك فعلق

ذلك بحفظه صلى الله عليه وسلم فجرى على لسانه سهواً . وقد رد القاضي عياض ذلك فأجاد .

وقيل : لعله قال ذلك توبيخاً للكفار ، قال القاضي عياض وهذا جائز إذا كان هناك قرينة تدل على المراد ولا سيما وقد كان الكلام في ذلك الوقت في الصلاة جائزاً والى هذا نحا الباقلاني .

وقيل : انه لما وصل الى قوله « ومناة الثالثة الأخرى » خشي المشركون أن يأتي بعدها بشيء يذم آلهتهم به كعادته إذا ذكرها فبادروا الى ذلك الكلام فخلطوه في تلاوة النبي صلى الله عليه وسلم على عادتهم في قولهم : « لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه » أي أظهروا اللغو برفع الاصوات تخليطاً وتشويشاً عليه ونسب ذلك الى الشيطان لكونه الحامل لهم عليه أو المراد بالشيطان شيطان الانس .

وقيل : المراد بالغرانيق العلا الملائكة وكان الكفار يقولون : الملائكة بنات الله ويعبدونها فنسق ذكر الكل ليرد عليهم بقوله « ألكم الذكر وله الأنثى » فلما سمعه المشركون حملوه على الجميع وقالوا قد عظم آلهتنا ورضوا بذلك فنسخ تينك الكلمتين وهما قوله : تلك الغرانيق العلا ، وان شفاعتهن لترتجى وأحكم آياته .

وقيل : كان النبي صلى الله عليه وسلم يرتل القرآن فترصّده الشيطان في سكتة من السكتات ونطق بتلك الكلمات محاكياً صوت النبي صلى الله عليه وسلم بحيث سمعه من دنا اليه فظنها من قول النبي وأشاعها . قال القاضي عياض وهذا أحسن الوجوه وهو الذي يظهر ترجيحه ويؤيده ما روي عن ابن عباس في تفسير تمنى بتلا وكذا استحسن ابن العربي هذا التأويل وقال : معنى قوله في أمنيته أي في

تلاوته فأخبر تعالى في هـذه الآية أن سنة الله في رسله إذا قالوا قولاً زاد الشيطان فيه من قبل نفسه فهذا نصٌّ في أن الشيطان زاد في قول النبي صلى الله عليه وسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قاله لأنه معصوم.

قال في فتح الباري : « وقد سبق الى ذلك الطبري مع جلالة قدره وسعة علمه وشدة ساعده في النظر فصوب هذا المعنى » اهـ .

ما ما ورد في صحيح البخاري بصدد هذه القصة فهو : « وقال ابن عباس في « إذا تمنى ألقى الشيطـان في أمنيته » إذا حـدث ألقى الشيطان في حديثه فيبطل الله ما يلقي الشيطان ويحكم الله آياته ، ويقال أمنيته قراءته « الأماني يقرءون ولا يكتبون » فتراه حكى تفسير الأمنية بالقراءة بلفظ يقال بعد ما فسـرها في الحديث رواية عن ابن عباس ، وهذا يدل على المغايرة بين التفسيرين ، فما يدعيه الشراح أن الحديث في رأي ابن عباس بمعنى التـلاوة يخالف ظـاهر العبارة ، ثم حكايته تفسير الامنية بمعنى القراءة بلفظ يقال يفيد انه غير معتبر عنده وسيأتي ان المراد بالحديث حديث النفس .

وقال القسطلاني في شرح البخاري : « وقد طعن في هذه القصة غير واحد من الأئمة حتى قال ابن اسحق وقد سئل عنها : هي من وضع الزنادقة » وكفى في انكار حديث أن يقول فيه ابن اسحق أنه من وضع الزنادقة مع حال ابن اسحق المعرفة عند المحدثين .

وهذا نص ما قاله القاضي عياض : « والذي ورد في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ والنجم » وهو بمكة فسجد معه المسلمون والمشركون والجن والانس وقد يكون ذلك لبلاغـة السورة وشدة قرعها وعظم وقعها » ثم قال القاضي : « قد قامت الحجة وأجمعت الأمة على عصمته صلى الله عليه وسلم ونزاهته عن هذه الرذيلة » .

أما من تمنيه أن ينزل عليه مثل هذا من مدح آلهة غير الله وهو كفر أو أن يتسوّد عليه الشيطان ويشبه عليه القرآن حتى يجعل فيه ما ليس منه ويعتقد النبي صلى الله عليه وسلم أن من القرآن ما ليس منه وحتى يفهمه جبريل عليه السلام وذلك كله ممتنع في حقه صلى الله عليه وسلم أو يقول ذلك النبي صلى الله عليه وسلم من قبل نفسه عمداً وذلك كفراً وسهواً وهو معصوم من هذا كله وقد قررنا بالبراهين والاجماع عصمته صلى الله عليه وسلم من جريان الكفر على لسانه أوقلبه لا عمداً ولا سهواً أو أن يشتبه عليه ما يلقيه الملك بما يلقي الشيطان أو يكون للشيطان عليه سبيل ، أو أن يتقول على الله — لا عمداً ولا سهواً — ما لم ينزل عليه وقد قال الله تعالى : « ولو تقول علينا بعض الاقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين » وقال « إذن لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيراً » .

ووجه ثان وهو استحالة هذه القصة نظراً وعرفاً وذلك أن هذا الكلام لو كان كما روي لكان بعيد الالتئام متناقض الأقسام ممتزج المدح بالذم ، متخاذل التأليف والنظم ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم ومن بحضرته من المسلمين ، وصناديد المشركين ممن يخفى عليه ذلك وهذا لا يخفى على أدنى متأمل فكيف بمن رجح حلمه واتسع في باب البيان ومعرفة فصيح الكلام علمه .

ووجه ثالث انه علم من عادة المنافقين ، ومعاندة المشركين ، وضعفة القلوب والجهلة من المسلمين تفورهم لأول وهلة وتخليط العدو على النبي صلى الله عليه وسلم لأقل فتنة ، وتعييرهم المسلمين والشماتة بهم الفينة بعد الفينة ، وارتداد من في قلبه مرض ممن أظهر الاسلام لأدنى شبهة ، ولم يحك أحد في هذه القصة شيئاً سوى هذه الرواية الضعيفة

الأصل ، ولو كان ذلك لوجـدت قريش بها عـلى المسلمين الصولة ، ولأقامت اليهـود عليهم الحجة ، كما فعلوا مكابرة في قصة الإسراء ، ولا فتنة أعظم من هذه البلية لو وجدت ، ولا تشغيب للمعادي حينئذ أشد من هذه الحادثة لو امكنت ، وما ورد عن معاند فيها كلمة ولا عن مسلم بسببها بنت شفة فدل على بطلها ، واجتثاث أصلها ، ولا شك في ادخال بعض شياطـين الانس والجن هـذا الحديث على بعض مغفلي المحدثين ، ليلبس به على بعض ضعفاء المسلمين .

ووجه رابع : ذكر الرواة لهذه القصة أن فيها نزلت : « وان كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا اليك » الآيتان ، هاتان الآيتان تردّ أن الخبر الذي رووه لأن الله تعالى ذكر أنهم كادوا يفتنونه حتى يفتري ولولا أن ثبته لكاد يركن اليهـم شيئاً قليلاً ، فمضمون هذا ومفهومـه أن الله عصمه من أن يفتري وثبته حتى لم يركن اليهم قليلاً فكيف كثيراً وهم يروون في أخبارهم الواهية أنه زاد على الركون والافتراء بمدح آلهتهم وانه صلى الله عليه وسلم قال : افتريت عـلى الله وقلت ما لم يقل وهي تضعف الحديث لو صح فكيف ولا صحة له ؟ وهذا مثل قوله تعالى في الآية الأخرى : « ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك وما يضلون إلا أنفسهم وما يضـرونك من شيء » قـال القشيري: ولقد طالبته قريش وثقيف إذ مرّ بآلهتهم أن يقبل بوجهه اليها ووعدوه الإيمان به إن فعل فما فعل ولا كان ليفعل ، قال ابن الانباري : « ما قارب الرسول ولا ركن » .

أما ما ذكره ابن حجر من أن القصة رويت مرسلة من ثلاث طرق على شرط الصحيح وانه يحتج بها الخ ما سبق فقد ذهب عليه أن العصمة من العقائد التي يطلب فيها اليقين فالحديث الذي يفيد خرمها ونقضها

لا يقبل على أي وجه جاء وقد عد الأصوليون الخبر الذي يكون على تلك الصفة من الأخبار التي يجب القطع بكذبها ، هذا لو فرض اتصال الحديث فما ظنك بالمراسيل ؟ وانما الخلاف في الاحتجاج بالمرسل وعدم الاحتجاج به فيما هو من قبيل الاعمال وفروع الأحكام لا في أصول العقائد ومعاقد الإيمان بالرسل وما جاءوا به فهي هفوة من ابن حجر يغفرها الله له.وقد استغل بروكلمان المستشرق الألماني الشهير هذه الرواية فنقلها بأمانة واعتبرها من المسائل المفروغ من إثباتها وذلك في كتابه « تاريخ الشعوب الاسلامية » الذي أخرجه للناس عام ١٩٣٩ للميلاد فقال في الحديث عن محمد : « ولكنه على ما يظهر اعترف في السنوات الأولى من بعثته بآلهة الكعبة الثلاث اللواتي كان مواطنوه يعتبرونها بنات الله ولقد أشار اليهن في احدى الآيات الموحاة اليه بقوله : تلك الغرانيق العلى ، وان شفاعتهن ترتجى ، أما بعد ذلك حين قوي شعور النبي بالوحدانية فلم يعترف بغير الملائكة شفعاء عند الله ، وجاءت السورة الثالثة والخمسون وفيها إنكار" لأن تكون الآلهة الثلاث بنات الله ، ولم يستطع التقليد المتأخر أن يعتبر ذلك التسليم إلا تحولاً أغراه به الشيطان ولذلك أرجئت حوادثه إلى أشد الأوقات ضيقاً في مكة ثم ما لبث أن أنكره وتبرأ منه في اليوم التالي » هذا ما ذكره بروكلمان وهو ينضح بالتعصب وينادي على نفسه بالافتئات ولم يقتصر الأمر على بروكلمان وحده فكثير من المبشرين وبعض المستشرقين تشبثوا بهذه الرواية وزعموا أن الرسول فعل ذلك لما قاومه المشركون بمكة فأحب أن يتقرب منهم فمدح آلهتهم ثم عدوا عمله هذا تراخياً عن تشدده في التوحيد ومهاجمة الاصنام ، هذا وقد تصدى لهم كثيرون من علماء المسلمين في العصر الحديث ففندوا افتراءاتهم وطوحوا

بأراجيفهم ، وحسبنا أن نلمع الى اثنين من كبار هؤلاء العلماء ملخصين ما قالاه ضاربين صفحاً عن التطويل فيما لا يتفق مع منهاج الكتاب .

خلاصة ما كتبه العالم الهندي محمد علي :

« إن هذه الرواية وردت عند الواقدي وعند الطبري ومع ذلك فانها لا ظل لها من الحقيقة فإن كل عمل من أعمال رسول الله مناقض لمثل هذا الاتجاه،أضف الى ذلك أن الواقدي معروف بسرد الاسرائيليات وبسرد الخرافات وكذلك الطبري معروف بالجمع الكثير واستقصاء الروايات مهما كان حظها من الصحة ، على أننا لو رجعنا الى رواية محمد ابن اسحق أو الى صحيح البخاري وهو الذي لم يغادر من حياة الرسول شيئاً إلا ذكره لم نر لقصة الغرانيق أثراً وابن اسحق جاء قبل الواقدي بأربعين سنة وقبل الطبري بنحو مائة وخمسين سنة أو تزيد ، أما البخاري فقد كان معاصراً للواقدي ومع ذلك لم يذكر هذه القصة ثم ان الواقدي معروف عند المحدثين بأنه يضع الأحاديث وانه غير ثقة فيما يروي وكذلك لم يذكرها أحد من رواة الحديث .

وإذا عدنا الى قراءة الآيات نفسها بالتسلسل وجدناها : « أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ، ألكم الذكر وله الأنثى ؟ تلك اذن قسمة ضيزى ، إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ، إن يتبعون إلا الظنّ وما تهوى الأنفس ، ولقد جاءهم من ربهم الهدى » فليس من المعقول أن تحشر بين هذه الآيات المتتالية آية مناقضة لها في أصل العقيدة الاسلامية وصلب دعوة محمد صلى الله عليه وسلم وهنالك تفاصيل كثيرة في نقض هذه الرواية لا جدوى من ذكرها » .

هذا ما ذكره العالم الهندي مولانا محمد علي وهو كاف في الرد على هؤلاء المستشرقين الذين ينظرون الى نبوة محمد نظرة مادية مجردة من الايحاء الإلهي وما ذلك إلا من قبيل التعصب الديني المبني على عداء سياسي انهم ينكرون أن يكون محمد ذا نبوة صحيحة بينما هم يقرون بهذه النبوة نفسها لجميع أنبياء بني إسرائيل •

خلاصة البحث الجليل الذي كتبه الامام محمد عبده :

والآن آن لنا أن نلخص البحث الممتع الذي كتبه الامام الشيخ محمد عبده وفيه قطعت جهيزة قول كل خطيب :

« لا يخفى على كل من يفهم العربية وقرأ شيئاً من القرآن أن قوله تعالى « وما أرسلنا قبلك من رسول ولا نبي ... الآيات » يحكي قدراً قدر للمرسلين كافة لا يعدونه ولا يقفون دونه ويصف شنشنة عرفت فيهم وفي أممهم فلو صح ما قال أولئك المفسرون لكان المعنى أن جميع الانبياء والمرسلين قد سلط الشيطان عليهم فخلط في الوحي المنزل اليهم ولكنه بعد هذا الخلط ينسخ الله كلام الشيطان ويحكم الله آياته وهذا من أقبح ما يتصور متصور في اختصاص الله تعالى لأنبيائه واختيارهم من خاصة أوليائه فلندع هـذا الهذيان ولنعد الى ما نحن بصدده » وبعد أن أفاض الاستاذ الامام في ذكر الله لنبيه أحوال الانبياء والمرسلين قبله ليبين له سنته فيهم وانه لم يبعث واحد منهم في أمـة إلا كان له خصوم يؤذونه بالتأويل والتحريف قال « فعلى هذا المعنى الذي يتفق مع ما لقيه الأنبياء جميعاً يجب أن تفسر الآية وذلك يكون على وجهين :

الأول :

أن يكون تمنى بمعنى قرأ والأمنية بمعنى القراءة وهو معنى قد

يصح وقد ورد استعمال اللفظ فيه قال حسان بن ثابت في عثمان رضي الله عنهما :

تمنى كتاب الله أول ليلة وآخره لاقى حمام المقادر

غير أن الالقاء لا يكون على المعنى الذي ذكروه بل على المعنى المفهوم من قولك : ألقيت في حديث فلان إذا أدخلت فيه ما ربما يحتمله لفظه ولا يكون قد أراده أو نسبت اليه ما لم يقله تعللاً بأن ذلك الحديث المذكور يؤدي اليه وذلك من عمل المعاجزين الذين ينصبون أنفسهم لمحاربة الحق ، يتبعون الشبهة ، ويسعون وراء الريبة ، فالإلقاء بهذا المعنى دأبهم ونسبة الإلقاء الى الشيطان لأنه مثير الشبهات بوساوسه مفسد القلوب بدسائسه ، وكل ما يصدر من أهل الضلال ينسب اليه ويكون المعنى : وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا اذا حدث قومه عن ربه أو تلا وحياً أنزل اليه فيه هدى لهم قام في وجهه مشاغبون يحولون ما يتلوه عليهم عن المراد منه ويتقولون عليه ما لم يقله ، وينشرون ذلك بين الناس ليبعدوهم عنه ويعدلوا بهم عن سبيله ثم يحق الله الحق ويبطل الباطل ، ولا زال الانبياء يصبرون على ما كذبوا وأوذوا ويجاهدون في الحق ولا يعتدون بتعجيز المعجزين ولا بهزء المستهزئين الى أن يظهر الحق بالمجاهدة ، وينتصر على الباطل بالمجالدة فينسخ الله تلك الشبهة ويجتثها من أصولها ويثبت آياته ويقررها وقد وضع الله هذه السنة في الناس ليتميز الخبيث من الطيب فيفتتن الذين في قلوبهم مرض وهم ضعفاء العقول بتلك الشبه والوساوس فينطلقون وراءها ويفتتن بها القاسية قلوبهم من أهل العناد والمجاحدة فيتخذونها سنداً يعتمدون عليه في جدلهم ثم يتمحص الحق عند الذين أوتوا العلم ، ويخلص لهم بعد ورود كل شبهة عليه فيعلموا انه الحق من ربك

فيصدقوا به فتخبت وتطمئن قلوبهم والذين أوتوا العلم هم الذين رزقوا قوة التمييز بين البرهان القاطع الذي يستقر بالعقل في قرارة اليقين وبين المغالطات وضروب السفسطة التي تطيش بالفهم ، وتطير به مع الوهم ، وتأخذ بالعقل تارة ذات الشمال وأخرى ذات اليمين •

الثاني :

ان التمني على معناه المعروف وكذلك الأمنية وهي أفعولة بمعنى المنية وجمعها أماني كما هو مشهور وقال أبو العباس أحمد بن يحيى : التمني حديث النفس بما يكون وبما لا يكون والتمني سؤال الرب وفي الحديث : « إذا تمنى أحدكم فليتكثر فإنما يسأل ربه » وفي رواية فليكثر ، قال ابن الأثير : التمني تشهي حصول الأمر المرغوب فيه وحديث النفس بما يكون ومالا يكون • وقال أبو بكر : تمنيت الشيء إذا قدرته وأحببت أن يصير لي ، وكل ما قيل في معنى التمني على هذا الوجه فهو يرجع الى ما ذكرنا ويتبعه معنى الأمنية • ما أرسل الله من رسول ولا نبي ليدعو قوماً الى هدى جديد أو شرع سابق شرعه لهم ويحملهم على التصديق بكتاب جاء به نفسه إن كان رسولا أو جاء به غيره ان كان نبياً بعث ليحمل الناس على اتباع من سبقه إلا وله أمنية في قومه وهي أن يتبعوه وينحازوا الى ما يدعوهم اليه وما يستشفوا من دائهم بدوائه ، ويعصوا أهواءهم بإجابة ندائه ، وما من رسول أرسل إلا وقد كان أحرص على إيمان أمته وتصديقهم برسالته منه على طعامه الذي يطعم وشرابه الذي يشرب وسكنه الذي يسكن اليه ويغدو عنه ويروح عليه وقد كان نبينا صلى الله عليه وسلم من ذلك في المقام الأعلى والمكان الأسمى قال الله تعالى : « فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً » وقال: « وما أكثر الناس ولو حرصت

بمؤمنين » وقـال : « أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » وفي الآيات مما يطول سرده مما يدل على أمانيه صلى الله عليه وسلم المتعلقة بهداية قومه وإخراجهم من ظلمـات ما كانوا فيه الى نور ما جاء به ، وما من رسول ولا نبي اذا تمنى هذه الأمنية السامية إلا ألقى الشيطان في سبيله العثرات وأقام بينه وبين مقصده العقبات ووسوس في صدور الناس وسلبهم الانتفاع بما وهبوا من قوة العقل والإحساس فثاروا في وجهه وصدوه عن قصده وعاجزوه حتى لقد يعجزونه ، وجادلوه بالقول والسلاح حتى لقد يقهرونه ، فإذا ظهروا عليه والدعوة في بدايتها وسهل عليهم إيذاؤه وهو قليل الأتباع ضعيف الانصار ظنوا الحق من جانبهم وكان فيما ألقوه من العوائق بينه وبين ما عمد اليه فتنة لهم ، غلبت سنة الله في أن يكون الرسل من أواسط قومهم أو من المستضعفين فيهم ليكون العامل في الاذعان بالحق محض الدليل ، وقوة البرهان ، وليكون الاختيار المطلق هو الحامل لمن يدعى اليه عـلى قبوله ولكيلا يشارك الحق الباطل في رسائله و يشاركـه في نصب شراكه وحبائله أنصار الباطل في كل زمان ، هم أهـل القوة والأنفة والجاه والاعتزاز بالأموال والأولاد والعشـيرة والاعوان والغرور بالزخارف ، والزهو بكثرة المعارف ، وتلك الخصال انما تجتمع كلها أو بعضها في الرؤساء وذوي المكانة من الناس فتذهلهم عن أنفسهم وتصرف نظرهم عن سبيل رشدهم ، فإذا دعا الى الحق داع عرفته القلوب النقية من أوضار هذه الفواتن ، وفزعت اليه النفوس الصافية والعقول المستعـدة لقبولـه بخلوصها من هذه الشواغل ، وقلما توجـد الا عند الضعفاء وأهـل المسكنة فإذا التف هؤلاء حول الداعي ، وظاهروه على دعوته قام أولئك المغرورون يقولون : « ما نراك إلا بشراً مثلنا وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين »

فإذا استدرجهم الله على سنته وجعل الجدال بينهم وبين المؤمنين سجالاً افتتن الذين في قلوبهم مرض من أشياعهم ، وافتتنوا بما أصابوا من الظفر في دفاعهم ولكن الله غالب على أمره فيمحق ما ألقاه الشيطان من هذه الشبهات ويرفع هذه الموانع وتلك العقبات ويهب السلطان لآياته فيحكمها ويثبت دعائمها وينشيء من ضعف أنصارها قوة ، ويخلف لهم من ذلهم عزة وتكون كلمة الله هي العليا ، وكلمة الشيطان هي السفلى « فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض » .

خاتمة هامة للأستاذ الامام :

« ولو صح ما قاله نقلة قصة الغرانيق لارتفعت الثقة بالوحي وانتقض الاعتماد عليه كما قاله البيضاوي وغيره ولكان الكلام في الناسخ كالكلام في المنسوخ يجوز أن يلقي الشيطان فيه ما يشاء ولانهدم أعظم ركن للشرائع الإلهية وهو العصمة وما يقال من المخرج في ذلك ينفر منه الذوق ولا ينظر اليه العقل على أن وصف العرب لآلهتهم بأنها الغرانيق العلى لم يردلا في نظمهم ولا في خطبهم ولم ينقل عن أحد أن ذلك الوصف كان جارياً على ألسنتهم إلا ما جاء في معجم ياقوت غير مسند ولا معروف بطريق صحيح وهذا يدل على أن القصة من اختراع الزنادقة كما قال ابن اسحق وربما كانت منشأ ما أورده ياقوت ولا يخفى أن الغرنوق والغرنيق لم يعرف في اللغة إلا اسماً لطائر مائي أسود أو أبيض أو هو اسم الكركي أو طائر يشبهه ، والغرنيق بالضم كزنبور وقنديل وسموءل وفردوس وقرطاس وعلابط معناه الشاب الابيض الجميل وتسمى الخصلة من الشعر المفتلة الغرنوق كما يسمى به ضرب من الشجر ويطلق الغرنوق والغرانق على ما يكون في أصل العوسج اللين النبات ولا يقال لمة غرانقة وغرانقية أي ناعمة تضيئها

الريح أو الغرنوق الناعم المستتر من النبات الخ ولا شيء من هذه المعاني يلائم الإلهام والأصنام حتى يطلق عليها في فصيح القول الذي يعرض على ملوك البلاغة وأمراء الكلام فلا أظنك تعتقد إلا أنها من مفتريات الأعاجم ومختلقات الملبسين ممن لا يميز بين حر الكلام ، وما استعبد منه لضعفاء الأحلام ، فراج ذلك على من يذهله الولوع بالرواية ، عما تقتضيه الدراية ، « ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب » .

وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُواْ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوْ مَاتُواْ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ * ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾

الاعراب :

(وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربهم فيؤمنوا به) الواو عاطفة وليعلم عطف على ليجعل وقد تقدم تعليق ليجعل والذين فاعل وجملة أوتوا العلم صلة والعلم مفعول به ثان لأوتوا وأنه الحق سدت مسد مفعولي يعلم ومن ربهم حال فيؤمنوا عطف على يعلم وبه متعلقان بيؤمنوا .(فتخبت له قلوبهم وإن الله لهاد الذين آمنوا الى صراط مستقيم) فتخبت عطف على فيؤمنوا به وله متعلقان بتخبت أي تطمئن له قلوبهم وقلوبهم فاعل والواو استئنافية وأن واسمها ولهاد اللام المزحلقة وهاد خبر إن والذين مفعول هاد لأنه اسم فاعل وجملة آمنوا صلة والى صراط مستقيم متعلقان بهاد . (ولا يزال الذين كفروا في مرية منه) الواو عاطفة على ما تقدم ليستكمل شرح حال الكافرين ويستوفيها ولا يزال فعل مضارع ناقص والذين كفروا اسمها وفي مرية خبرها ومنه صفة لمرية وهي بكسر الميم وضمها والضمير يعود الى القرآن أو الى الرسول أو الى ما ألقاه الشيطان . (حتى تأتيهم الساعة بغتة أو يأتيهم عذاب يوم عقيم) حتى حرف غاية وجر وتأتيهم مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى والهاء مفعول به والساعة فاعل وبغتة حال وأو حرف عطف ويأتيهم عطف على تأتيهم وعذاب يوم فاعل وعقيم صفة . (الملك يومئذ لله يحكم بينهم) الملك مبتدأ ويومئذ ظرف مضاف الى مثله وهو متعلق بالاستقرار الذي تعلق به الخبر وهو لله والتنوين عوض عن محذوف تقديره يوم يؤمنون أو يوم تزول حريتهم وجملة يحكم بينهم مستأنفة كأنها وقعت جواباً لسؤال مقدر تقديره ماذا يصنع بهم فقيل يحكم بينهم ولا يبعد أن تكون حالاً من اسم الله والظرف متعلق بيحكم . (فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم) الفاء

عاطفة للتفريع والذين مبتدأ وجملة آمنوا صلة وجملة وعملوا الصالحات عطف على جملة آمنوا وفي جنات النعيم خبر • (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين) والذين مبتدأ أيضاً وجملة كفروا صلة وجملة كذبوا بآياتنا عطف على جملة كفروا فأولئك الفاء رابطة لما في الموصول من رائحة الشرط وأولئك مبتدأ ولهم خبر مقدم وعذاب مهين مبتدأ مؤخر والجملة خبر أولئك وجملة أولئك الخ خبر الذين • (والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقاً حسناً)

(والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقاً حسناً)

قتلوا أو ماتوا عطف على قتلوا ، ليرزقنهم اللام موطئة للقسم ويرزقنهم فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة والهاء مفعول به والله فاعل ورزقاً مفعول مطلق وحسناً صفة والجملة القسمية وجوابها خبر الذين وهذا أولى من تقدير خبر • (وإن الله لهو خير الرازقين) الواو عاطفة وان واسمها واللام المزحلقة وهو مبتدأ وخير الرازقين خبر هو والجملة خبر إن • (ليدخلنهم مُدْخلاً يرضونه وان الله لعليم حليم) اللام موطئة للقسم وجملة يدخلنهم جواب القسم وجملة القسم وجوابه بدل من الجملة القسمية الأولى أو هي مستأنفة والهاء مفعول به ومدخلاً مفعول مطلق لأنه مصدر ميمي وجملة يرضونه صفة لمدخلاً ، وان الله لعليم حليم الواو عاطفة وان واسمها واللام المزحلقة وعليم حليم خبران لإن • (ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به) ذلك خبر مبتدأ محذوف وقد تقدم اعراب نظيره والواو استئنافية ومن اسم شرط جازم أو موصوله مبتدأ وعاقب فعل ماض في محل جزم فعل الشرط وبمثل متعلقان بعاقب وما موصول مضاف اليه وجملة عوقب به صلة •

(ثم بغي عليه لينصرنّه الله إن الله لعفو غفور) ثم بغي عليه عطف على عاقب واللام موطئة للقسم والجملة القسمية خبر من وجملة ان الله لعفو غفور تعليلية لا محل لها .

البلاغـة :

(يوم عقيم) : استعارة مكنية فقد شبه مالا خير فيه من الزمان بالنساء العقم أو لأن يوم الحرب يقتل فيه أولاد النساء فيصرن كأنهن عقم لم يلدن .

ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾

الاعراب :

﴿ ذلك بأن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وأن الله سميع بصير ﴾ الجملة مستأنفة لتقرير قدرته تعالى على النصر وان من قدر على ايلاج الليل والنهار وايلاج النهار في الليل وغير ذلك من روائع قدرته قادر ولا شك عـلى النصر ، وذلك مبتدأ والاشارة الى النصر الموعود وبأن الله خبره والباء للسببية وجملة يولج الليل في النهار خبر ان وجملة ويولج النهار في الليل عطف على الجملة الاولى وان الله سميع بصير عطف أيضاً على بأن الله الخ ومعنى ايلاج الليل في النهار وبالعكس تحصيل ظلمة هذا في مكان ضياء ذاك وبالعكس • ﴿ ذلك بأن الله هو الحق ﴾ جملة مستأنفة ثانية لتقرير دليل آخر الى جانب الدليل الاول وهو القدرة على جميع الممكنات وهو كونه تعـالى حقاً ثابتاً وما عداه معدوم وزائل وذلك مبتدأ وبأن خبر والله اسم ان وجملة هو الحق من المبتدأ والخبر خبر أن • ﴿ وأن ما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير ﴾ عطف على ما تقدم وقوله من دونه متعلقان بمحذوف حال • ﴿ ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرّة ﴾ الهمزة للاستفهام التقريري ولم حرف نفي وقلب وجزم وتر فعل مضارع مجزوم بلم وفاعله مستتر تقديره أنت وان وما في حيزها سدت مسد مفعولي تر لأنهـا علمية كما سيأتي وجمـلة أنزل خبر أن ومن السماء متعلقـان بأنزل وماء مفعول به ، فتصبـح الفاء عاطفـة لا سببية لأن الاستفهام تقريري كما قدمنا مؤول بالخبر أي قد رأيت والخبر لاجواب له وأيضاً لا تصـح السببية هنا فإن الرؤية لا يتسبب عنها اخضـرار الارض بل انما يوجبه انزال الماء بعد أن تصبح وسيأتي مزيد تفصيل لهذه النكت البلاغية في باب البلاغـة ، فتصبح الفاء عاطفـة وتصبح

معطوف على أنزل وهو فعل مضارع ناقص وسيأتي سر المخالفة في عطف المضارع على الماضي والارض اسم تصبح ومخضرة خبرها ، واختار أبو البقاء أن تكون تصبح تامة والارض فاعلاً ومخضرة حالاً • (إن الله لطيف خبير) الجملة تعليل لما تقدم وان واسمها وخبراها • (له مافي السموات ومافي الارض وإن الله لهو الغني الحميد) الجملة حالية أو مستأنفة وله خبر مقدم وما مبتدأ مؤخر وفي السموات متعلقان بمحذوف صلة ما ومافي الارض عطف على مافي السموات وان الله الواو عاطفة وان واسمها واللام المزحلقة وهو الغني مبتدأ وخبر والجملة خبر إن والحميد خبر ثان لهو • (ألم تر أن الله سخر لكم مافي الارض والفلك تجري في البحر بأمره) الهمزة للاستفهام التقريري ولم حرف نفي وقلب وجزم وتر مضارع مجزوم بلم وأن الله مفعول تر وجملة سخر خبر أن ولكم متعلقان بسخر وما مفعول سخر وفي الارض صلة ما والفلك عطف على ما أي سخر لكم مافي الارض وسخر لكم الفلك وجملة تجري حال من الفلك وفي البحر متعلقان بتجري وبأمره حال (ويمسك السماء أن تقع على الارض إلا بإذنه) الواو عاطفة ويمسك فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره هو والسماء مفعول به وأن تقع المصدر المؤول في محل نصب مفعول لأجله فالبصريون يقدرون كراهة أن يقع والكوفيون لئلا تقع واختار أبو البقاء وغيره أن تكون بدل اشتمال من السماء أي ويمسك وقوعها بمعنى يمنعه وعلى الارض متعلقان بتقع وإلا أداة حصر لأن الكلام غير موجب أو في قوة النفي أي لا يتركها تقع في حالة من الاحوال فهو استثناء مفرغ من أعم الاحوال فقوله باذنه متعلقان بمحذوف حال أي ملتبسة بمشيئته تعالى واذنه والباء للملابسة • (إن الله بالناس لرؤوف رحيم) الجملة تعليلية وان واسمها وبالناس متعلقان برءوف واللام المزحلقة ورءوف خبر أول ورحيم خبر ثان •

البلاغـة :

في قوله تعـالى : « ألم تر أن الله أنزل من السماء مـاء فتصبح الارض مخضرة » عطف المضارع المستقبل على الماضي ولم يقل فأصبحت عطفاً على أنزل وذلك لإفادة بقاء أثر المطر زماناً بعد زمان فانزال الماء مضى وجوده واخضرار الأرض باق لم يمض وهذا كما تقول أنعم على فلان فأروح وأغدو شاكراً له ولو قلت فرحت وغدوت شاكراً له لم يقع ذلك الموقـع لأنه يدل عـلى ماض قد كان وانقضى وهـذا موضـع جدير بالتأمل •

والسؤال الوارد هنا لم لم ينصب فتصبـح جواباً للاستفهام ؟ والجواب لو نصب لأعطى عكس ما هـو الغرض لأن معنـاه اثبـات الاخضرار فينقلب بالنصب الى نفي الاخضرار مثاله أن تقول لصاحبك : ألم تر أني أنعمت عليك فتشكر إن نصبته فأنت ناف لشكـره شاك تفريطـه فيه وان رفعته فأنت مثبت للشكر • قـال سيبويه : وسألته (يعني الخليل) عن « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة » فقال هذا واجب وهو تنبيه كأنك قلت أتسمع أنزل الله من السماء ماء فكان كذا وكذا » قال ابن خروف في شرح كتاب سيبويه : « وقوله فقال هذا واجب وقوله فكان كذا يريد أنهما ماضيان وفسر الكلام بأن تسمع ليريك أنه لا يتصل بالاستفهام لضعف حكم الاستفهام فيه » وقال بعض شراح الكتاب : « فتصبح لا يمكن نصبه لأن الكلام واجب ألا ترى أن المعنى أن الله أنزل الماء فالأرض هذه حالها » وقال الفراء « وانما عبر بالمضارع لأن فيه تصويراً للهيئة التي الارض عليها والحالة التي لابست الأرض والماضي يفيد انقطاع الشيء وهذا كقول جحدر

ابن معونة العكلي يصف حالـه مع أشد نازلة في قصة جرت له مـع الحجاج بن يوسف :

يسمو بناظرتين تحسب فيهما ... لمـا أجالهمـا شعاع سراج

لمـا نزلت بحصن أزبرمهضر ... للقرن أرواح العـدا مجاج

فأكر أحمل وهو يقعي باسته ... فاذا يعود فراجـع أدراجي

وعلمت اني إن أبيت نزالـه ... أني من الحجاج لست بنـاج

فقوله : فأكر تصوير للحالة التي لابسها .

وقال ابن هشام في المغني : « وقيـل الفاء في هذه الآية للسببية وفاء السببية لا تستلزم التعقيب بدليـل صحة قولك إن يسلـم فهو يدخل الجنة ومعلوم ما بينهما من المهلة » .

بحث ممتع للرازي :

وللامام الرازي بحث جيد هنا يمكن تلخيصه بما يلي :

« ذكر هنا من آثار قدرته ستة أشياء :

١ ـ انزال الماء الناشيء عنه اخضرار الارض وفسر الرؤية بالعلم دون الابصار لأن المـاء وان كان مرئياً إلا أن كون الله منزلاً له من السماء غير مرئي وقال فتصبح الأرض دون أصبحت لإفادته بقاء أثر المطر زماناً بعد زمان .

٢ ـ قوله : « له مافي السموات ومافي الأرض » ومن جملته خلق المطر والنبات نفعاً للحيوان مع أن الله لا يحتاج لذلك ولا ينتفع به .

٣ ـ تسخير مافي الارض أي ذلل لكم ما فيها كالحجر والحديد والنار لما يراد منها والحيوان للأكل والركوب والحمل عليه والنظر اليه •

٤ ـ تسخير الفلك بالماء والرياح فلولا أن الله سخرها لكانت تغوص أو تقف •

٥ ـ إمساك السماء لأن النعم المتقدمة لا تكمل إلا به والسماء جرم ثقيل وما كان كذلك لا بد له من السقوط لولا مانع يمنع منه وهو القدرة فأمسكها الله بقدرته لئلا تقع فتبطل النعم التي امتن بها علينا •

٦ ـ الإحياء ثم الإماتة ثم الإحياء • نبه بهذا على أن هذه النعم لمن أحياه الله فنبه بالاحياء الاول على انعامه في الدنيا بكل ما تقدم ونبه بالإماتة والإحياء ثانياً على إنعامه علينا في الآخرة •

وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ۖ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِ ۚ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾

اللغـــة :

(منسكاً) : بفتح السين وكسرها شريعة لأنه مأخوذ من النسيكة وهي العبادة • وقد تقدم الكلام مستوفياً عن هذه المادة •

الاعراب :

(وهو الذي أحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم إن الانسان لكفور) الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لنهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الالتفات الى قولهـم وتمكينهم من منازعته تثبيتاً له وحفزاً لهمته على المضي في الأمر الذي عهد الله اليه به ، وهو مبتدأ والذي خبر وجملة أحياكـم صلة ثم حرف عطف للتراخي ويميتكـم فعل وفاعل ومفعول به أي عند انتهاء الآجال، ثم حرف عطف وتراخ أيضاً ويحييكم فعل مضارع مرفوع والكاف مفعوله أي عند البعث وجملة إن الانسان لكفور مستأنفة تفيد التعليل لعـدم الاعتبار والتبصر بعد هـذه العبر والدلائل وإن واسمها واللام المزحلقة وكفور خبرها • (لكل أمة جعلنا منسكاً هم ناسكوه فلا ينازعنك في الأمر وادع الى ربك إنك لعلى هدى مستقيم) لكل أمة مفعول ثان مقدم لجعلنا ومنسكاً هو المفعول الاول والجملة مستأنفة لا تعلق لها بما قبلها ولذلك لم يأت بالواو الاستئنافية وهي مسوقة لزجر منازعيه من أهـل الاديان السماوية وهم مبتـدأ وناسكوه خبر والجملة الاسمية صفة لمنسكاً والفاء الفصيحة ولا ناهية وينازعنك فعـل مضارع مجزوم بلا وعلامة جزمه حذف النون لتوالي الامثال والواو المحذوفة لالتقاء الساكنين هي واو الجماعة في محـل

رفع فاعل والنون المشددة نون التوكيد الثقيلة ولم تؤثر في بناء المضارع لأنه لم تباشره وقد مرت لها نظائر والكاف مفعول به وفي الأمر متعلقان بينازعنك وادع فعل أمر وفاعله أنت والى ربك متعلقان بادع على حذف مضاف أي الى دينه وسبيله وجملة انك لعلى هدى مستقيم تعليلية لا محل لها وان واسمها واللام المزحلقة وعلى هدى خبرها ومستقيم صفة لهدى • (وإن جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون) الواو عاطفة وان شرطية وجادلوك فعل ماض في محل جزم فعل الشرط والواو فاعل والكاف مفعول به ، فقل الفاء رابطة وقل فعل أمر والله مبتدأ وأعلم خبر والجملة مقول القول وجملة فقل جواب الشرط وبما متعلقان بأعلم وتعملون صلة • (الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون) جملة مستأنفة مسوقة لتسلية النبي مما كان يلقى والله مبتدأ وجملة يحكم خبر وبينكم ظرف متعلق بيحكم ويوم القيامة متعلق بيحكم أيضاً وفيما متعلقان بمحذوف حال وجملة كنتم صلة وكان واسمها وفيه متعلقان بتختلفون وجملة تختلفون خبر كنتم • (ألم تعلم أن الله يعلم مافي السماء والارض) الهمزة للاستفهام التقريري ولم حرف نفي وقلب وجزم وتعلم فعل مضارع مجزوم وفاعله مستتر تقديره أنت وأن وما في حيزها سدت مسد مفعولي يعلم وان واسمها وجملة يعلم خبرها وما مفعول به وفي السماء صلة ما والارض عطف على السماء • (إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير) جملتان تعليليتان لما سبق وان واسمها وفي كتاب خبرها وإن واسمها ويسير خبرها وعلى الله متعلقان بيسير •

﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ (٧١) وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٧٢) يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ (٧٣) مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٧٤) ﴾

اللغــــة :

(يسطون) : يبطشون والسطو الوثب والبطش ولذلك عدي بالباء وإلا فهو يتعدى بعــلى يقال سطا عليه وأصله القهر والغلبة وفي الأساس « وسطا بقرنه وعلى قرنه وثب عليه وبطش به ، والفحل يسطو على طروقته ومن المجاز : سطا الماء كثر وزخر ، وما سطوت في طعــام أحد : ما تناولته ولهم أيد سواطٍ عواطٍ قال المتنخّل يصف خمراً :

ركودٌ في الإنــاء لها حُمَيّا ‏ ‏ ‏ ‏ تلذّ بأخذها الأيدي السواطي

وللسين مع الطاء فاء وعيناً للكلمة صفة الامتداد ، تقول رأيتهم قاعدين على المساطب وهي الدكاكين الممتدة حول رحبة المسجد وبات فلان على المسطبة وتقول : كم أبات هذا البيت رجالاً على المساطب ، وأوقعهم في المتالف والمعاطب ؛ تريد فسر في بلاد الله ، وتقول : إما أن يبيتك على المسطبة، أو يرفعك الى المسطبة وهي المجرّة، وسطح الشيء : بسطه وسواه ومنه سطح الخبز بالمسطح وهو المحور وسطح الثريدة في الصحفة ومنه سطح البيت وسطحٌ مسطح : مستو وأنف مسطح منبسط جداً وبسط لنا المِسْطح والمساطح وهو الحصير من الخوص وضربه فسطحه إذا بطحه على قفاه ممتداً فانسطح وهو سطيح ومنسطح وبه سمي سطيح وضربه بالمسطح وهو عمود الخباء وشرب من السطيحة وهي المزادة ، وسطر واستطر كتب وكتب سطْراً من كتابه وسَطَراً وأسطُراً وسطوراً وأسطاراً وهو مسيطر علينا ومتسيطر ، ونار ساطعة ممتدة ونور ساطع وسطع الفجر وسطع الغبار سطوعاً وسطع البعير والظليم مدّ عنقه الى السماء قال ذو الرمة يصف ظليماً :

يظلّ مختضعاً طوراً فتنكره حيناً ويسطع أحياناً فينتسب

وسطع بيديه رفعهما مصفقاً بهما ومن المجاز سطعت رائحة المسك وأعجبني سطوع رائحته ، واغتسلت بالسّطل والسّيطل وهما القدَس الذي يتطهر به في الحمّام ، وحرك النار بالاسطام وسيف مصقول السّطام وهو الحدّ وأنشد سيبويه لكعب بن جعيل :

وأبيض مصقول السطام مهنّداً

وذا حلق من نسج داود مِسْردا

ومن المجاز ليل طما أسطمّه وهو في أسطمّة قريش في وسطهم وعاد الملك في اسطمّه : في أصله ، قال :

يا ليتها قــد خرجت من فـُمّه حتى يعــودَ الملك في اسطمّه

والعرب سطام الناس .

(الذباب) : اسم جنس واحــده ذبابة يقع عــلى المذكر والمؤنث ويجمع عــلى ذبّان بالكسر كغربان وذبان بالضم كقضبان وعلى أذبّة كأغربة وهو أجهل الحيوانات لانه يرمي نفسه في المهلكات ومدة عيشه أربعون يوماً وأصل خلقته من العفونات ثم يتوالد بعضه من بعض يقع روثه على الشيء الابيض فيرى أسود وعلى الأسود فيرى أبيض،والذباب مأخوذ من ذب إذا طرد وآب إذا رجع لأنك تذبه فيرجــع عليك وقد ذكره امرؤ القيس في شعره قال :

أرانا موضعــــين لأمر غيب ونسحر بالطعــام وبالشراب
عصافــير وذبّـــان ودود وأجرأ من مُجَلّحــة الــذئاب

وسيأتي بحث مسهب عنه في باب البلاغة .

الاعراب :

(ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطاناً) الواو استئنافية والجملة مستأنفة ويعبدون فعل مضارع والواو فاعل ومن دون الله حال وما موصول مفعول به وجملة لم ينزل صلة ما وبه حــال لأنه كان في الأصل صفــة لسلطاناً وسلطاناً مفعول به . (وما ليس لهــم به علم وما للظالمين من نصير) وما عطف على ما الاولى وجملة ليس صلة ولهم

خبر ليس المقدم وبه متعلقان بعلم وعلم اسم ليس المؤخر وما الواو عاطفة وما نافية وللظالمين خبر مقدم ومن حرف جر زائد ونصير مجرور لفظاً مرفوع محلاً مبتدأ مؤخر . (وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر) الواو عاطفة وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وجملة تتلى في محل جر بإضافة إذا اليها وتتلى فعل مضارع مبني للمجهول وعليهم متعلقان بتتلى وآياتنا نائب فاعل وبينات حال وجملة تعرف لا محل لها لأنها جواب إذا وفي وجوه متعلقان بتعرف والذين مضاف اليه وجملة كفروا صلة والمنكر مفعول به وفيه وضع الظاهر موضع المضمر وهو الذين كفروا تشنيعاً عليهم وتسجيلاً للشهادة عليهم بالكفر . (يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا) جملة يكادون حال من الموصول وان كان مضافاً لأن المضاف جزؤه ويجوز أن يكون حالاً من وجوه لأن المراد بها أصحابها ويكادون من أفعال المقاربة ، والواو اسمها وجملة يسطون خبرها وبالذين متعلقان بيسطون وجملة يتلون صلة وعليهم متعلقان بيتلون وآياتنا مفعول به . (قل أفأنبئكم بشر من ذلكم النار) قل فعل أمر والفاعل مستتر تقديره أنت والجملة مستأنفة ، أفأنبئكم الهمزة للاستفهام والفاء عاطفة على محذوف أي أخاطبكم فأنبئكم وأنبئكم فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول به وبشر متعلقان بأنبئكم ومن ذلكم متعلقان بشر والنار خبر لمبتدأ محذوف ، أو النار مبتدأ وخبره جملة وعدها والجملة لا محل لها لأنها مفسرة لشر . (وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير) جملة وعدها الله إما خبر ثان واما خبر النار ووعدها الله فعل ومفعول به أول وفاعل والذين كفروا مفعول به ثان لوعدها ويجوز أن يكون الضمير هو المفعول الثاني والذين كفروا هو المفعول الاول ولعل هذا أرجح لسر سيأتي في باب الفوائد وبئس المصير فعل وفاعل والمخصوص بالذم

محذوف أي هي • (يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له) كلام مستأنف مسوق لضرب المثل وهو إن يكن أشبه بالقصة إلا انه في سيرورته واستغرابه سمي مثلاً ، يا أيها الناس تقدم اعرابها كثيراً وضرب مثل فعل ماض مبني للمجهول ونائب فاعل ، فاستمعوا الفاء الفصيحة واستمعوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل وله متعلقان باستمعوا • (إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له) الجملة مفسرة للمثل وان واسمها وجملة تدعون صلة ومن دون الله حال وجملة لن يخلقوا ذباباً خبر ان وذباباً مفعول به ولو الواو عاطفة على محذوف هو حال أي انتفى خلقهم الذباب على كل حال ولو في هذه الحال التي اجتمعوا لها ولو شرطية واجتمعوا فعل وفاعل وله متعلقان باجتمعوا • (وان يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب) الواو عاطفة وان شرطية ويسلبهم فعل الشرط والهاء مفعول به والذباب فاعل وشيئاً مفعول به ثان ولا نافية ويستنقذوه جواب الشرط والواو فاعل والهاء مفعول به ومنه متعلقان بيستنقذوه وجملة ضعف الطالب والمطلوب حال • (وما قدروا الله حق قدره إن الله لقوي عزيز) الواو استئنافية مسوقة للرد على أحبار اليهود ورؤسائهم الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء وما نافية وقدروا فعل وفاعل ولفظ الجلالة مفعول به وحق قدره مفعول مطلق وجملة ان الله تعليل لما تقدم وان واسمها واللام المزحلقة وقوي خبر إن الاول وعزيز خبر إن الثاني •

البلاغة :

سلامة الاختراع :

وهو أن يخترع الشاعر أو الكاتب معنى لم يسبق اليه ولم يتبع

فيه فقوله تعالى « إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً » الآية من أبلغ ما أنزله الله في تجهيل الكافرين واستركاك عقولهم لغرابة التمثيل الذي تضمن الافراط في المبالغة مع كونها جارية على الحق خارجة مخرج الصدق وذلك حين اقتصر سبحانه على ذكر أضعف المخلوقات وأقلها سلباً لما تسلبه وتعجيز كل من دونه سبحانه كائناً من كان عن خلق مثله مع التضافر والاجتماع ثم نزل في التمثيل عن رتبة الخلق إذ هما مما يعجز عن مثلهما كل قادر غير الله عز وجل الى استنقاذ النزر التفه الذي يسلبه هذا الخلق الضعيف على ضعفه ويعجز كل قادر من المخلوقين عن استنقاذه منه فتنقل في النزول في التمثيل على ما تقتضيه البلاغة على الترتيب في هذا المكان ، لما علم سبحانه انه لا مبالغة في تعجيزهم عن الخلق والاختراع الذي لا يدعيه جبار ولا يتعاطاه من المخلوقين أحد وإن أوتي قدرة وأعطي قوة وكان فيه من التغالي بالكفر والجهل ما يدعي معه الالهية وينتحل الربوبية ، فنزل بهم الى استنقاذ ما يسلبه هذا المخلوق الضعيف على ضعفه وقوتهم ليريهم عجزهم فتستيقنه نفوسهم وإن لم تقرّ به ألسنتهم فجاء بما يقضي الظاهر أنه أيسر من الخلق وهو الحقيقة مثله في العمر فإن الظفر بنفس هذا المخلوق أيسر من الظفر بما يسلبه فاستنقاذ ما يسلبه في العجز عنه مثل خلقه ولم يسمع مثل هذا التمثيل في بابه لأحد قبل نزول الكتاب العزيز .

هذا وقد قسم علماء البيان سلامة الاختراع إلى ضربين :

أولهما : يبتدعه صاحبه من غير أن يقتدي فيه بمن سبقه وهذا الضرب يعثر عليه عند الحوادث المتجددة ، وينتبه له عند الأمور الطارئة فمن ذلك ما ورد في شعر لأبي تمام في قصيدة له يمدح بها المعتصم بالله ويذكر حرق الافشين ومطلعها :

الحق أبلــج والسيوف عوار فحذار من أُسْد العرين حذار

وفيها يخترع وصف المصلبين فيقول :

بكـــروا وأســروا في متون ضــوامر
قيـــدت لهـــم من مربط النّجّـــار

لا يبرحـــون ومن رآهـــم خالهـــم
أبـــداً عـــلى سفـر من الأسفـــار

وهذا المعنى مما يعثر عليه عند الحوادث المتجددة ، والخاطر في مثل هذا المقام ينساق الى المعنى المخترع من غير كبير كلفة لشاهد الحال الحاضرة ، ومما قاله فيها في صفة من أحرق بالنار :

ما زال سر الكفر بين ضلوعه حتى اصطلى سرّ الزناد الواري
ناراً يساور جسمَه من حرها لهبٌ كما عصفرت شِقّ إزار
طارت لها شُعَلٌ يهدّم لفحها أركانه هــدماً بغــير غبار

فصّلْنَ منه كــلَّ مَجْمَعِ مَفْصِلٍ
وفعلـــن فاقـــرةً بكـــل فقـــار

مشبوبــةً رفعت لأعظـــم مشـــرك
ما كـــان يَرفـــع ضوءها للســـاري

صـــلى لهـــا حيـــاً وكـــان وقودهـــا
ميتـــاً ويدخلهـــا مـــع الفجـــار

وقد ذيل البحتري على ما ذكره أبو تمام في وصف المصلبين فقال :

كم عزيز أباده فغدا ير ... كب عوداً مركّباً في عود
أسلمته الى الرقاد رجال ... لم يكونوا عن وترهم برقود
تحسد الطير فيه ضبع البوادي ... وهو في غير حالة المحسود
غاب عن صحبه فلا هو موجو ... د" لديهم وليس بالمفقود
وكأن امتداد كفيه فوق الجـ ... ـذع في محفل الردى المشهود
طائر مدّ مستريحاً جناحيـ ... ـه استراحات متعب مكدود
أخطب الناس راكباً فإذا أر ... جل خاطبت منه عين البليد

ومن هذا الضرب ما جاء في شعر أبي الطيب المتنبي في وصفه الحمى :

وزائرتي كأن بها حياء ... فليس تزور إلا في الظلام
بذلت لها المطارف والحشايا ... فعافتها وباتت في عظامي
كأن الصبح يطردها فتجري ... مدامعها بأربعة سجام
أراقب وقتها من غير شوق ... مراقبة المشوق المستهام

ومن بديع ما أتى به في هذا الموضع أن سيف الله بن حمدان كان مخيماً بأرض ديار بكر على مدينة ميا فارقين ، فعصفت الريح بخيمته فتطيّر الناس لذلك وقالوا فيه أقوالاً فمدحه أبو الطيب بقصيدة يعتذر فيها عن سقوط الخيمة أولها :

أينفع في الخيمة العُذّل ... وتشمل من دهرها يشمل

ومما أحسن فيه غاية الاحسان وعدّ من أوابده التي لا تبلى قوله:

تضيق بشخصك أرجاؤها ويركض في الواحد الجحفل
وتقصر ما كنت في جوفها وتركز فيها القنا الذبّل
وكيف تقوم على راحة كأن البحار لها أنمل
فليت وقارك فرّقته وحملت أرضك ما تحمل
فصار الأنامُ به سادةً وسدتَهُمُ بالذي يفضُل
رأت لون نورك في لونها كلون الغزالة لا يُغْسَلُ
وأنّ لها شرفاً باذخاً وأن الخيام بها تخجل
فلا تنكرنّ لها صرعة فمن فرح النفس ما يقتل
ولو بُلّغ الناس ما بُلّغتْ لخانتهمُ حولك الأرجل
ولما أمرت بتطنيبها أشيع بأنك لا ترحل
فما اعتمد الله تقويضها ولكن أشار بما تفعل
وعرّف انك من همه وأنك في نصره ترفل
فما العاندون وما أمّلوا وما الحاسدون وما قوّلوا
هُمُ يطلبون فمن أدركوا؟ وهم يكذبون فمن يقبل؟
وهم يتمنّون ما يشتهون ومن دونه جَدُّكَ المقبل

والمعاني المخترعة فيها واضحة للعيان وكفى المتنبي فضلاً أن يأتي بمثلها .

وفي كتاب الروضة لأبي العباس المبرد ، وهو كتاب جمعه واختار فيه أشعار شعراء بدأ فيه بأبي نواس ثم بمن كان في زمانه فقال مما أورده من شعره : وله معنى لم يسبق اليه باجماع وهو قوله :

تدار علينا الراح في عسجدية حبتها بأنواع التصاوير فارس

قرارتها كسرى وفي جنباتها مها تدّريها بالقسيّ الفوارس

فللراح ما زرت عليه جيوبها وللماء ما دارت عليه القلانس

فالمعنى مخترع ولكنه ـ كما يقول الجاحظ ـ من المعاني المشاهدة فإن هذه الخمر لم تحمل إلا ماء يسيراً وكانت تستغرق صور هذه الكأس الى مكان جيوبها وكان الماء فيها قليلاً بقدر القلانس التي على رؤوسها وهذا حكاية حال مشاهدة بالبصر .

وثانيهما : المعاني التي تستخرج من غير شاهد حال متصورة فانها أصعب منالاً مما يستخرج بشاهد الحال وقد قيل : إن أبا تمام أكثر الشعراء المتأخرين ابتداعاً للمعاني وقد عدت معانيه المبتدعة فوجدت ما يزيد على عشرين معنى :

فمن ذلك قوله :

يا أيها الملك النائي برؤيته وجودُه لمراعي جوده كثب

ليس الحجاب بمقصٍ عنك لي أملاً

إن السماء ترجّى حين تحتجب

وكذلك قوله في الهجاء :

وأنت تـــدير قطـب رحـىً عليــا
ولـــم نر للــرحى العليـــاء قطبـــا
ترى ظفـــراً بكـــل صـــراع قرن
إذا ما كنــت أسفـــل منـــه جنبـا

وكذلك قوله :

وإذا أراد اللـــــه نشـــر فضـيلة
طويت أتـــاح لهـــا لســان حســـود
لـــولا اشتعـــال النار فيمـــا جاورت
ما كـــان يعرف طيـبُ عرف العـــود

وكذلك له في الشيب :

شعلــةٌ في المفـــارق استودعتـــني
في صميـــم الفؤاد ثكـــلا صميمـــا
يستشـــير الهمـــوم ما اكتنّ منهـــا
صُعُـــداً وهي تستشير الهمومـــا

على أن ابن الرومي فاق شعراء العربية جميعاً في خلق الأشكال للمعاني المجردة أو خلق الرموز لبعض الاشكال المحسوسة بل فاق بها شعراء الدنيا جميعاً • استمع لوصفه لحركة الرقاق في يد الخباز :

ما أنس لا أنس خبازاً مررت به
يدحو الرقاقة مثل اللمح بالبصر
ما بين رؤيتها في كفه كرة
وبين رؤيتها قوراء كالقمر
إلا بمقدار ما تنداح دائرة
في صفحة الماء يرمى فيه بالحجر

ووصفه للحركة البطيئة في سير السحائب :

سحائبُ قيستْ في البلاد فألفيت
غطاء على أغوارها ونجودها
حدتها النّعامى مثقلات فأقبلت
تهادى ، رويداً ، سيرها كركودها

وله :

واذا امرؤ مدح امرأً لنواله
وأطال فيه فقد أراد هجاءه
لو لم يقدر فيه بعد المستقى
عند الورود لما أطال رشاءه

وله قوله الممتع :

عـدوك من صـديقك مستفـاد
فـلا تستكثرنّ من الصحـاب
فإن الـداء أكثـر ما تـراه
يكـون من الطعـام والشـراب

وكذلك قوله :

لما تؤذن الـدنيا به من صروفهـا
يكون بكـاء الطفـل ساعة يولـد
وإلا فمـا يبكيـه منهـا وانهـا
لأوسـع ممـا كـان فيه وأرغـد
إذا أبصـر الـدنيا استهـل كأنـه
بمـا هو لاق من أذاهـا يهـدد

قول جامع للجاحظ :

وللجاحظ فصل ممتـع انتهى فيه الى وصف الذباب الذي نحن بصدد الحديث عنه قال : « ولا يعلم في الأرض شاعر تقدم في تشبيه مصيب تام وفي معنى غريب عجيب أو في معنى شريف كريم أو في بديع مخترع إلا وكل من جاء من الشعراء من بعده أو معه إن هو لم يقدر على لفظه فيسرق بعضه أو يدعيه بأسره فإنه لا يدع أن يستعين بالمعنى

ويجعل نفسه شريكاً فيه كالمعنى الذي تتنازعه الشعراء فتختلف ألفاظهم وأعاريض أشعارهم ولا يكون أحد منهم أحق بذلك المعنى من صاحبه ، أو لعله يجحد أنه سمع بذلك المعنى قط وقال انه خطر على بالي من غير سماع كما خطر على بال الأول هذا إذا قرعوه به إلا ما كان من عنترة في صفة الذباب فإنه وصفه فأجاد وصفه فتحامى معناه جميع الشعراء فلم يعرضوا له قال عنترة :

جادت عليها كلّ عين ثرّة ... فتركن كل حديقة كالدرهم
فترى الذباب بها يغني وحده ... هزجاً كفعل الشارب المترنّم
غرداً يحكّ ذراعه بذراعه ... فعل المكبّ على الزناد الأجذم

يريد فعل الأقطع المكب على الزناد ، والأجذم المقطوع اليدين فوصف الذباب اذا كان واقعاً ثم حك إحدى يديه بالأخرى فشبهه عند ذلك برجل مقطوع اليدين يقدح بعودين ومتى سقط الذباب فهو يفعل ذلك » .

قصة قاضي البصرة :

وبعد أن تحدث الجاحظ طويلاً كعادته في الاستطراد عن الذباب روى قصة قاضي البصرة وهي طويلة تصور إلحاح الذباب وقدرته على العض وهي مثبتة في كتاب الحيوان للجاحظ فليرجع اليه من شاء .

الفوائد :

متى اجتمع بعد ما يتعدى الى اثنين شيئان ليس ثانيهما عبارة عن الأول فالفاعل المعنوي رتبته التقديم وهو المفعول الأول ويعني بالمفعول

الأول من يتأتى منه فعل فإذا قلت : وعدت زيداً ديناراً فالدينار هو المفعول الثاني لأنه لا يتأتى من فعل وهو نظير أعطيت زيداً درهماً فزيد هو الفاعل لأنه آخذ للدرهم .

اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (٧٥) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۗ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (٧٦) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٧٧) ۩ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۚ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ ۖ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ (٧٨)

الاعراب :

(الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس إن الله سميع بصير) جملة مستأنفة مسوقة لتقرير اصطفائه تعالى الرسل والله مبتدأ وجملة يصطفي خبر ومن الملائكة حال لأنه كان في الأصل صفة لرسلاً وتقدم عليه ولك أن تعلقه بيصطفي ورسلاً مفعول به ومن الناس عطف على من

الملائكة وحذف من الثاني لدلالة الاول عليه أي ويصطفي من الناس رسلاً وجملة إن الله سميع بصير تعليلية لما تقدم أي سميع لما يقولونه بصير بمن يتخذه رسولاً وان واسمها وسميع خبرها الاول وبصير خبرها الثاني • (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم والى الله ترجع الأمور) جملة يعلم خبر ثالث أو مستأنفة ويعلم فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره هو وما موصول مفعول به وبين أيديهم الظرف متعلق بمحذوف صلة وما خلفهم عطف على ما بين أيديهم والى الله الواو عاطفة والى الله متعلقان بترجع وترجع فعل مضارع مبني للمجهول والأمور نائب فاعل • (يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم) يا أيها الذين آمنوا تقدم اعرابها وجملة آمنوا صلة واركعوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل واسجدوا عطف على اركعوا واعبدوا ربكم عطف أيضاً • (وافعلوا الخير لعلكم تفلحون) وافعلوا الخير عطف على ما تقدم وجملة لعلكم تفلحون حال من الواو في اركعوا وما عطف عليه أي افعلوا هذه الأمور حال كونكم راجين الفلاح • (وجاهدوا في الله حق جهاده) وجاهدوا عطف أيضاً وفي الله متعلقان بجاهدوا ولا بد من حذف مضاف بعد حذف مفعول جاهدوا أي جاهدوا أعداءكم في ذات الله ومن أجله ففي للسببية وحق جهاده مفعول مطلق •

(هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج) هو مبتدأ وجملة اجتباكم أي اختاركم خبر والجملة حال من الله وما الواو عاطفة وما نافية وجعل فعل ماض وفاعله مستتر تقديره هو وعليكم متعلقان بمحذوف مفعول به ثان لجعل وفي الدين حال ومن حرف جر زائد وحرج مجرور لفظاً منصوب محلاً لأنه مفعول جعل الأول • (ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا) ملة في

نصبها أوجه أظهرها ما ذكره الزمخشري ونصه : « نصب الملة بمضمون ماتقدمها كأنه قيل وسع دينكم توسعة ملة أبيكم ثم حذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه ويجوز نصبها على الاختصاص أي أخص بالدين ملة أبيكم» أو بتقدير فعل مضمر تقديره اتبعوا وهناك أوجه أخرى لا تخرج عن هذه الأوجه ، وأبيكم مضاف اليه وابراهيم بدل من أبيكم وهو مبتدأ وجملة سماكم خبر والجملة حال من ابراهيم وسماكم فعل وفاعل مستتر ومفعول به أول والمسلمين مفعول به ثان ومن قبل حال أي من قبل هذا الكتاب وفي هذا عطف على من قبل أي وفي هذا القرآن .

(ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس) اللام للتعليل وقيل للعاقبة ويكون فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام واللام ومدخولها متعلقة بسماكم والرسول اسم يكون وشهيداً خبر يكون وعليكم متعلقان بشهيداً وتكونوا شهداء على الناس عطف على نظيرتها . (فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله) الفاء الفصيحة وأقيموا الصلاة فعل أمر وفاعل ومفعول به وما بعده عطف عليه . (هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير) الجملة حالية من الله وهو مبتدأ ومولاكم خبر فنعم المولى الفاء استئنافية ونعم فعل ماض جامد لانشاء المدح والمولى فاعل والمخصوص بالمدح محذوف أي هو ، ونعم النصير عطف على نعم المولى .